

الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشراقي

المتوفى ٩٧٣ هـ

ولييه

الوصايا والنصائح الخلوئية

الشيخ هبة مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١٢٦٩ هـ

والشيخ حسنة بن رزوان المالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

محقق ومراجعة

أحمد فريد المزيدي

الكوكب الشاهق

في الفرقين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشبراوي

المتوفى ٩٧٣ هـ

وإليه

الوصايا والنصائح الخالوتية

لشيخ الهداية مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ

والشيخ حسنة بن شعوان المالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

تقريب وترتيب

أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Islamiyah

لقد تم طبع هذا الكتاب في

سنة ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

DKI

الكوكب الشاهق

في الفرقين

المريد الصادق وغيره لصا دق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشراقي

المتوفى ٩٧٣ هـ

وليته

الوصايا والنصائح الخلوئية

للشيخ العلامة مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٩ هـ

والشيخ حسنة بن رضوان المالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

تحقيقه وتخرجه وتعليقه

أحمد فريد المزيري



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

**Title : Al-kawkab al-šāhiq
fi al-farq bayn al-murīd
al-šādiq waḡayr al-šādiq**

Author : Al-waṣāyā wal-Naṣā'ih al-Halwatīyyah

classification: Sufism

Author : 'Abdul-Wahhāb al-Ša'rānī

and Muṣṭafā al-Bakrī

and Ḥasan ben Raḡwān al-Ḥālīdī

Editor : Aḥmad Farīd al-Mīzyādī

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 216

Year : 2008

Printed in : Lebanon

Edition : 1^{re}

الكتاب : الكوكب الشاهق

في الفرق بين المرید الصادق وغير الصادق

تأليف : النصائح والوصايا الخلوتية

التصنيف : تصوف

المؤلف : الشيخ عبد الوهاب الشعراني

والشيخ مصطفى البكري

والشيخ حسن بن رضوان الخالدي

المحقق : أحمد فريد المزيدي

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات : 216

سنة الطباعة : 2008

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



**Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés**



جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة نشر الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أنظمة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات صلبة إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ م - ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Monamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Arsamoun, al-Quetbeh,

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel : +961 5 804 810/11/12

Fax: +961 5 804813

P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon

Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

فرحسون - القبيّة

مبنى دار الكتب العلمية

هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤ ٨١٠/١١/١٢

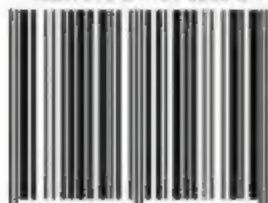
فاكس: + ٩٦١ ٥ ٨٠٤ ٨١٣

ص.ب: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

رياض السله بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

ISBN 2-7451-5285-8 (10 dig)

ISBN 978-2-7451-5285-8 (13 dig)



9 0000

9 782745 152855

http://www.al-ilmiyah.com

sales @al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أسبغ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وجعلنا خير أمة، وأنزل الكتاب هدىً للناس ورحمة، وبعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

والصلاة والسلام على نبيه وصفيه سيدنا محمد الذي من الله به علينا أي منة، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة المتخلقة بأخلاق الكتاب والسنة، والراغبين من الأئمة.

وبعد.. فهذه درر لأمعة، وأنوار ساطعة وشار ياتعة، أتحفنا بها إمام الأئمة، والمربي القدوة: سيدي عبد الوهاب الشعراني، الذي حاز المرتبة العليا في تربية المريدين، والدرجة العظمى في سلوك العارفين، فصنف وأبدع ما كان دستوراً للمهتدين.

فقد بين أخلاق المريد الصادق مع ربه ونبيه وشيخه، السعيد الذي حظي بتوفيق خالقه.

وحذر من سلوك غير مرضي، يوقع بالعبد في الطرد، وحرمانه من العطاء بالسلب. ولأهمية هذا الكتاب النافع المهم جداً لك مريد للسلوك السوي الرشيد، دعانا شيخنا الولي الأشهر، التقي الذكي الأظهر، ذي المواهب والأسرار، والمناقب التي لا تُحصى بالعد والانهصار، المربي طيب الأرواح، المتصرف في القلوب والأشباح، شيخ شيوخ عصره، ومنبع البركات في أفطار الأرض، الخوث الشيخ، مصطفى بن عبد السلام قدس الله سره، ونور ضريحه، إلى تحقيقه، حتى ينتفع به الإخوان في طريق القوم، وطلاب العلم الشريف.

فإدركنا إلى ضبطه، وتصحيحه، وتخريج أحاديثه وآثاره، والتعليق عليه، والترجمة لأعلامه، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وأصل الكتاب مصوراً بجامعة الإسكندرية، ومكتبة البلدية بها، وجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وهو بنار الكتب المصرية، وقد سبق طبعه قديماً من قبل.

وإليك أيها القارئ الكريم الكتاب في حالته الجديدة، سائلاً الله أن يتقبله منا، وهو ولي التوفيق. كتبه: أبو الحسن أحمد فريد المزيدي المصطفوي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

أرخ سيدي عبد الوهاب الشعراوي لنفسه في كتابه لطائف المنن فقال:

أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى، المكنى في بلاد البهنسا بأبي الصمران، جدي السادس ابن السلطان أحمد بن السلطان سعيد، بن السلطان فاشين، بن السلطان محيا، بن السلطان زوقا، بن السلطان ريان، بن السلطان محمد بن موسى، بن السيد محمد ابن الحنفية، بن الإمام علي بن أبي طالب ؑ.

وكان جدي السابع الذي هو السلطان أحمد سلطاناً في مدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي مدين المغربي، ولما اجتمع به جدي موسى قال الشيخ أبو مدين: لمن تنسب؟ قال: والذي السلطان أحمد، فقال له: إنما عنت تسبك من جهة الشرف، فقال: أنتسب إلى السيد محمد ابن الحنفية، فقال: ملك، وشرف، وفقير، أي تصوف لا يجتمعن، فقال: يا سيدي قد خلعت ماعدا الفقر، فرباه فلماً كما في الطريق أمره بالسفر إلى صعيد مصر، وقال له: اسكن بناحية هو ((أحدى مدن محافظة قنا)) فإن بها قبرك فكان الأمر كما قال.

ولم يحدد لنا التاريخ السنة التي هاجر فيها موسى إلى مصر، ولكن كتب التاريخ حددت لنا تاريخ وفاته، فقد توفي ببلدة ((هو)) عام ٧٠٧ هـ بعد أن نجحت دعوته.

واهتدى هديه الصوفي جمهور ضخم في الصعيد الأعلى، واستمرت أسرة الشعراوي بالصعيد حتى مطلع القرن التاسع الهجري، فهاجر عميدها أحمد إلى ساقية أبي شعرة بالمتوفية، وأسس بها زاوية للعلم وللعبادة وانتقل إلى جوار ربه عام ٨٢٨ هـ.

مولده ونشأته:

ولد الشعراوي على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧ رمضان عام ٨٩٨ هـ ببلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه، ثم انتقل بعد أربعين يوماً من ولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة وإليها انتسب، فنقب بالشعراوي، وعرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سقى نفسه في مولفاته بالشعراوي.

ولقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده، فلقد ذكر صاحب ((النور الأسافر))

تاريخاً لمولده قبل هذا التاريخ بقليل، والمناوي وعلي مبارك والمستشرق شاخت فقد ألفوا التاريخ الذي ذكرناه، وهو المعتمد.

واضطرب رجال التاريخ أيضاً في الحديث عن طفولته ونشأته، فذهب المستشرقان كرومر وليكسون إلى أنه اشتغل في مطلع حياته بالنسيج.

والشيخ الشعراوي يقول في صراحة: إن من متن الله عليه أنه لم تكن هناك عوائق تعيقني عن طلب العلم والعبادة منذ طفولتي، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي، وهذه القناعة أغنتني عن الوقوع في الذل لأحد من أبناء الدنيا، ولم يقم لي أنني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دينوي، منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا احتسب إلى وقتي هذا، وعرضوا على الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئاً، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما في صحن جامع الغمري، فيلتقطه المهاورون.

وحفظ الشعراوي في قريته كما يحدثنا في المتن القرآن الكريم، ثم حفظ أبا شجاع والأجرومية، ودرسهما على أخيه الشيخ عبد القادر.

وتوفي والده قبل أن يبلغ العاشرة، فنشأ يتيماً من الأبوين، وكان الله وحده كما يقول هو نصبره ووليه.

ويقص علينا الشعراوي تاريخ حضوره إلى القاهرة بذلك الأسلوب القلبي الأخاذ الذي عرف عن الشعراوي فيقول:

وكان يجيء إلى القاهرة سنة عشرة وتسعمائة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، فأقيمت في جامع سيدي أبو العباس الغمري، وحين الله علي شيخ الجامع وأولاده فمكثت بينهم كأني واحد منهم، أكل ما ياكلون، وأليس ما يلبسون، فأقيمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية والآنها على الأشياخ.

ثم يقول: ولم أرل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي معتقداً عند الناس، يعرضون علي كثيراً من الذهب والفضة والثياب، فتارة أردتها، وتارة أطرحها في صحن الجامع، فيلتقطها المهاورون.

ولث الشعراوي في مسجد الغمري، يعلم ويتعلم ويتعبد ويتعبد سبعة عشر عاماً، ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، وفي تلك المدرسة بزغ نجم الشعراوي وتألّق.

حياته ومكانته العلمية وسلوكه طريق القوم:

يقول الشعراني: ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق اتس لدهم المفاتيح والأبواب، فلم يكن لي ودعة عند أحد منهم.

قرأ الشيخ على العلماء والأئمة كتب ومتون ما لا يحصى كثرة، وحجبه إليه علم الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونه ثقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، نه دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهي عن الخط على الفلاسفة وتقيصهم، وينفر ممن يذمهم، ويقول هؤلاء عفلاء، ثم أقبل على الاشتغال بالطريق بمجاهدة نفسه مدة، ولطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ولا نهاراً، بل اتخذ له جبلاً يسقف خلوته يجعله في عنقه ليلاً حتى لا يسقط.

وكان يطوى الأيام المتولية، ويدم الصوم، ويفطر على أوقية من الخبز، ويجمع الخروق من الكيمان فيجعلها مرقعة يستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكيمان وقصاصة الجلود، واستمر كذلك حتى قويت روحانيته، وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء، فلا يختمه إلا عند الفجر.

فقد عاش الشعراني حياته تحت ظلال المساجد ليلاً ونهاره متيناً في طلب العلم، عالماً في التعميد، عاش نقياً طاهراً بمجاهدة في سبيل الكمال العلمي والكمال الخفقي.

فكان صوفياً في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول في المتن: إن من من الله على أن ألمسني بمجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي.

وأصبحت زاوية الشعراني التي أسسها ليتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر مع أذواق الباطن من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وغدت مثابة للعلماء والأدباء، ومنبراً للدعوة والإرشاد، وساحة للذكر والعبادة، ورواقاً يرسل الشعاع الروحي النقي في عصر انطفأت فيه المصاييح، وخضت مشاعل الحياة.

وأصبح الشعراني قطب الرحي في عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى باب الزاوية يزدحم الأمراء والكبراء.

فكان الإمام متخلق بخلق النصف متأدب بأدابه وأخذ نفسه بكل ما كتب وسطر في كتبه فكان خلقه صورة رسالته.

كان الشعراي يرى أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا إذا شارك الناس كافة في أحزانهم وآلامهم؛ لأن الإنسانية وحدة متماسكة خيرها مشترك، وعذابها مشترك، يقول: من ضحك أو استمتع بزوجه أو لبس مبعراً أو ذهب إلى مواضع المتنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وكان رحيماً بالناس، ورحيماً بنوع خاص بالعصاة والمذنبين، لأهم أشد الناس ضعفاً، وأحوجهم إلى العطف والنصح والرحمة.

يقول متحدثاً عن مبادئه: ثم ستري لعورات الناس وعيوبهم ورحمتي بالعصاة حال تبسهم بالمعصية، فلنهم أشقى الناس حينئذ.

ثم يقول واصفاً خلقه: ثم غيرتي على أذني أن تسمع زوراً، وعيني أن تنظر محرماً، ولساني أن يتكلم باطلاً.

وكان الشعراي يرى أن العبادة لا تصلح إلا بصلاح القلب ونقاء الأخلاق، فكان لا يقوم إلى الصلاة إلا إذا فتن قلبه، هل فيه غل أو حقد، أو حسد، أو نيمية، أو شهوة صغيرة أو كبيرة، بل كان يستحي أن ينام وفي قلبه شيء من هذا؛ لأن النوم رحلة الروح إلى الملأ الأعلى.

ويسمو الشعراي في أدب النفس، ويرتفع في معارج الخلاق، فيقول: وما أنعم الله به عليّ عدم خروجي من بيتي إلا إذا علمت من نفسي القدرة بإذن الله على هذه الثلاث خصال: تحمل الأذى عن الناس، وتحمل الأذى منهم، وجلب الراحة لهم.

وقال ابن العماد الحنبلي:

حسده طوائف قدسوا عليه كلمات بخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظباً على السنة مبالغاً في الورع، مؤثراً ذوى الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحماً للأذى موزعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسلك وإفادة، واجتمع بزائوته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بهم نفقة وكسوة، وكان عظيم الهبة والفر الجاه والحرمة، تأتي إلى بابه الأمراء.

وكان يسمع لزائوته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً.

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ ولم يزل مقيماً على ذلك معظماً

في صدور الصدور إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته.

ومن كلامه: دوروا مع انشراح كيف كان لا مع الكشف فإنه قد يخطئ.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحظت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعته، وقالوا: إنه حجاب جهلاً منهم.

وقال: ذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوان فهم تكليف الهي برسول منهم في دوائهم لا يشعر به إلا من كشف عن بصره، فإن لله الحجة على خلقه فلا يعذب أحدًا إلا جزاء، فلا إشكال في إيلام الدواب.

وقال: الخمر آخر ما تنتهي إليه المعادير، وذلك سبب مآل أهل اترحة إلى الرحمة.

تصانيفه:

حال قدم الشعراي في كل أفاق من أفاق المعرفة العلمية والتدوية.

مكتب في الأصول، في التصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والتفسير، والحديث، والتاريخ والمسابق، واللغة، والمحو، والطب، وغيرها، فذكر بعضها:

١- المحو المصور والسر المرقوم فيما تنتحه الحلوة من الأسرار والعلوم.

٢- الدرة المنورة في زيد العلوم المشهورة.

٣- نوافح الأنوار في طبقات الأخيار الكبري، والوسطى، والصغرى.

٤- المقدمة النحوية في علم العربية.

٥- شرح جمع الجوامع للسبكي.

٦- الميراث الشعراية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية.

٧- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.

٨- مدارج السالكين. بتحقيقنا.

٩- لطائف المس والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق.

١٠- رسالة في آداب تلقين الذكر.

١١- درة العواصم على فتاوى الخواص.

- ١٢- الجواهر والدرر الصغرى، والكبرى، والوسطى. تحت قيد التحقيق.
- ١٣- هجة النفوس والأحداق. يسر الله لنا تحقيقه.
- ١٤- الأخلاق المتبولة المعاصرة من الحضرة المحمدية.
- ١٥- البحر المورود في المواقف والعبود.
- ١٦- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان. بتحقيقنا.
- ١٧- خبايا الزوايا. تحت قيد التحقيق.
- ١٨- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.
- ١٩- تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس.
- ٢٠- رسالة في العناقد.
- ٢١- رسالة في التسليك.
- ٢٢- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.
- ٢٣- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.
- ٢٤- مختصر تذكرة السويدي في الطب، طبع بتحقيقنا.
- ٢٥- مختصر اعتقاد أهل السنة للبيهقي. تحت قيد الطبع بتحقيقنا.
- ٢٦- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع. طبع بتحقيقنا.
- ٢٧- الدرر الستية على انوصية المتبولة.
- ٢٨- البدر المنير في غريب أحاديث البشير.
- ٢٩- منحة المنة في التلبس بالسنة.
- ٣٠- تنبيه المعترفين أواخر القرن العاشر على ما حالوا فيه سلفهم الظاهر.
- ٣١- المنهج المبين في مذاهب الأئمة المجتهدين.
- ٣٢- إرشاد المفضلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحة الأمراء.
- ٣٣- مفهم الأكباد في مواد الاجتهاد.
- ٣٤- مختصر تذكرة القرطبي.

- ٣٥- لوائح الخدلان على من لم يعمل بالقرآن.
- ٣٦- حد الحسام على من أوجب العمل بالإمام.
- ٣٧- البرق الخاطف لبصر من عمل بالهواتف.
- ٣٨- الاقتباس في القياس.
- ٣٩- لوائح الأنوار القدسية مختصر الفتوحات المكية. تحت قيد التحقيق.
- ٤٠- مختصر السنن الكبرى للبيهقي.
- ٤١- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية.
- ٤٢- ردع الفقهاء عن دعوى الولاية الكبرى.
- ٤٣- سير المير والتزود ليوم السير.
- ٤٤- الطراز الأبهج على خطبة المنهج.
- ٤٥- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد.
- ٤٦- علامات الخدلان على من لم يعمل بالقرآن.
- ٤٧- فتح الوهاب في فضائل الأئمة والأصحاب.
- ٤٨- القواعد الكشفية الموضحات لمعاني الصفات الإلهية.
- ٤٩- الكوكب الشاهق في انفرق بين المرید العبادي وغير الصادق (كتابا هنا).
- ٥٠- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.
- ٥١- مختصر المدونة الكبرى لسحنون.
- ٥٢- مختصر الألفية لابن مالك في النحو.
- ٥٣- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.
- ٥٤- المنن الوسطى. تحت قيد التحقيق.
- ٥٥- المنن الصفري. تحت قيد التحقيق.
- ٥٦- الفتح في معنى الشطح.
- ٥٧- مختصر القواعد الكشفية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

٥٨- الميران الدرية الميمنة لعقائد الفرق العلية (طبع بتحقيقها).

٥٩- اليهود الحمديّة.

٦٠- مختصر القواعد للزركشي (أمّ الله تحقيقه).

وفاته: انتقل الشيخ رحمه الله في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ.

ودفن بجانب رابته بحي باب الشرية، بالقرب من بين السورين، وصريحه الشريف بمسجده المبارك.

انظر في ترجمته:

١- شذرات الذهب لابن العماد الحنطلي (٣٧٢/٨).

٢- لطائف المنن للشعراني (٣٢/١)، (٢٣٦/٧).

٣- الكواكب الفرية للماوي (٦٩/٤).

٤- كرامات الأولياء للنسائي (١٣٤/٢).

٥- الكواكب السائرة للغزي (١٧٦/٣).

٦- هدية العارفين للبغدادي (٦٤١/١، ٦٤٢).

٧- جامع الكرامات لتوفيق الطويل (١٣٨، ١٤٢).

٨- الشعراني إمام التصوف في عصره أيوسف العشي.

٩- الشعراني والتصوف الإسلامي لعله سرور.

١٠- الأعلام للزركلي (٣٣١/٤، ٣٣٢).

١١- معجم المؤلفين لكحالة (٣٣٩/٢).

١٢- فهرس الفهارس للكتاني (٤٠٥/٢، ٤٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، اللهم فصل عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى أئمة وصحابة أجمعين.

أما بعد...

فهذه أخلاق عربية في فراء أهل هذا الزمان، وكانت من أخلاق المريرين في الزمان الماضي، فصارت من أخلاق الأشباح في هذا الزمان، تلفتها عن نحو مائة شيخ، ممن أدركهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، معصها شاهدته من أفعالهم، وبعضها اقتنسته من نور أخلاقهم، ولم أجد أحدًا من أصحابهم من اعنى شيء منها، فحسب أن ندرس باندراست تلامذتهم.

فوصفتها في هذه الطروس لينفع الله بها من شاء، وهي كالسيف القاطع لمق كل من يدعي الإصلاح في هذا الزمان بغير حق؛ لأنها تفصله وتسمحه من طريق الإصلاح، كما تفسح الحية من ثوبها، ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والحوهر بحسب فهمي ومقامي.

ثم أعلم يا أخي أن المقراء الصادقين قد اختفوا في هذا الزمان، وعالم من يتظاهر فيه الآن بالإصلاح معدود من الصابرين على تحصيل الدنيا، كما يدل على ذلك مرامتهم على اعتقاد الأمراء والأكابر فيهم، فكل من طلع له أمير يود أنه لا يطلع لغيره أبدًا، ومن شك في قولي هذا فليجرب.

وقد سميت هذا الكتاب بـ ((منهج الصدق والتحقيق في تمييز المدعين للطريق)) جعله الله خالصًا لوجه الكريم آمين. إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

ومن أخلاق المريرين الصادقين: ألا يطلب أحدهم الدخول في طريق القوم إلا بعد تحيره في علوم الشريعة، حتى يؤذن له إلى أمر آخر عما هو فيه.

وكان سيدي أحمد بن الرماحي يقول: لا يصح بعد دخول طريق القوم إلا بعد تصوره أن يرى النقص في نفسه في سائر العبادات في الطريق.

وكان يقول: سلكت هذه الثلاث كلمات وهي: ملتفت لا يصل، متشكك لا يفلح، ومن لا يعرف عن نفسه النقص، فكل أوفاته نقصان. فإذا سبكت الطريق ورأيت النقص

في نفسك بعد ذلك فقد دخلت إلى أول قدم في الطريق، فإياك أن يقع منك جهل أو جفاء، أو تكون بك علة نحجك عن شهود ربك في ليل أو نهار، فما أقبح الجهل بالأكباب! والحق بالأحباب! والعلة بالأطباء. انتهى.

قال سيدي أحمد: فكان جميع ملوكي هؤلاء الكلمات.

وبلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته أنه كان يقول: من لم يتحر في علوم

(١) هو العالم بالله تعالى: سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي رحمته، شيخ العائلة الصبية الشاذلية، وينتهي سبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، العبد المشهور، وشهرته بالولاية والصلاح نعي عن عمره، ألف الكثير من الكتب في صافه. وتعرف بشيء من سيرته مركبة، ومن أجل ذلك الكتب «تذوق المس» للشيخ ابن عطاء رحمته و«تذوق» للشيخ ابن عماد أني عليه العلماء، وكان امر بن عبد السلام بن يقول في كلامه: سمعوا هذا الكلام العريب القريب العهد بالله.

وكان امر بكر على القوم حتى اجتمع به فصار واحدًا معه، شهد به الشيخ أبو عبد الله بن المعمال بالقطبية، وكان الشيخ ابن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ومن كلامه رحمته: رأيت رسول الله صلوات يا رسول الله، ما حقيقة المشاهدة؟ فقال: رؤية المنوع عند كل شيء، ومع كل شيء. وفي كل شيء، وقال: إذا عارضت كتبك الكتاب والسنة فتعسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وكل لعسك: لا الله قد صم لي المعصية في الكتاب والسنة، ولم يصمها لي في جانب الكشف والإهام ولا المشاهدة.

مع لهم أصحوا على أنه لا يسعى العمل بالكشف ولا الإهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرصه على الكتاب والسنة، وقال: لا تشم رائحة الولاية وأن غير راقد في الدنيا وأهله، وقال: إنه برد عسي الوارد فلا أفيه إلا بشاهدين عدلين، وهما الكتاب والسنة. وقال: هل لي: يا عسي، ما عسي وجه الأرض مجلس في الفقه أبي من مجلس الشيخ عر الدين بن عسبد مسلام، وما عسي وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبي من مجلس الشيخ عبد العظيم مسدي، وما عسي وجه الأرض مجلس في الحقائق أبي من مجلسك.

وقال: بنقط خمسة عشر كرامة، فمن ادعها أو شيء منها فسر: أن يمدد العظمة والحلافة والبيان، ومدد حملة العرش العصيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الأسماء والاضداد، ويكرم بكرامة الحكم، والمصل بين الوجودين، والمصال الأول عن الأول، وما تصل عه إلى متبه، وما نت به، وحكم ما قبل، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعمم البدء، وهو العمم المحيط بكل علم وكل معلوم بنا من أسر الأول إلى متبه. ثم يعود إليه

وقال: حقيقة القرب المثبة عن القرب بالقرب؛ لعظم القرب.

وقال: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية.

وقال: الصوفي من يرى وجوده كالماء في الهواء، غير موجود ولا معلوم حسما هو عليه في علم

الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة في مجلس المأخوذة فلا يطلب صحنًا.

فأعرض يا أخي ما أمرناه لك في هذا الخلق على أكثر مريدي عصرك الذين أذعوا دخولهم في الطريق، تجد أحدهم لا يقدر أن يحل لك أحضر كتاب في الفقه، بل ولا يعرف شروط الوضوء، فضلاً عن زيادة على ذلك، ولذلك عذبوا النعم، وبعضهم فتح له باب من التوحيد فتزبدق، وصار يأكل الحرام والشبهات ويقول: لا أحد يملك مع الله، وصار على وجهه ظلمة حتى ربما ظهر ذلك للخاص والعام.

فاعلم ذلك ولا تنس نصيحتك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم الأحذ عن أحد من مشايخ عصره أن يصوم ثلاثة أيام أو سبعة أيام، ملأماً للصمت وقلة الأكل فيها، فإذا انقضت صلى ركعتين، وسأل الله تعالى في سجوده وبعد سلامه منها أن يجمعه على عارف الرمان، ويرزقه الاعتقاد فيه، والانقياد له، ثم يتوجه إلى مشايخ عصره في بلاده أو غيرها بالقب، واحداً بعد واحد إلى أن يستوعبهم، فكل من حصل له في قلبه أن يجمع به فإذن ودبته عنده.

وقد حائف قوم هذا فقالوا: إنهم ليسوا هم عده ودبته، علم يحصوا على طائل، ثم فارقوا شيخهم قائدين للناس: لو وجدنا عنده مدداً أو حيراً ما فارقناه، كما وقع ذلك جماعة من مشايخ العصر.

وإيضاح ذلك أن الطريق عريضة، وأهلها أعرسها، والطالب لها بصديق أعرس الكبريت الأحمر، وربما راح حال بعض الكلدان الصابين على حال الصادقين، كما أشرنا

الله تعالى.

وقال: الصوم التي وقع البناء عليها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين عرفوا في يار بحر الذاب وعموص الصناب، فكانوا هناك بلا هم، وهم الخاضع العلواء الذين شاركوا الأساء والرسول عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم، فلم يصب فيها نصيب على قدر إرتهم من موروتهم، قال السيوطي: العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أي يقومون مقامهم على سبيل النعم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام. فإن مقامات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم.

وكلامه عليه السلام في الحقائق وفي التمسك بالكتاب وأتة كثير حدثاً، راجعه في الكتب التي عرفت به، معناه الله به، آمين.

إليه في خطبة هذا الكتاب: فيأتي المريد المحبوب بطبقت الطريق على يد هؤلاء الكذابين بحكم الصبوت ولا يحصل على طائلي، فإذا استبحار الله تعالى وسأله أن يذنه عنى عارف الزمان الصادق دله عليه، فبدخل في صحبته على بصيرة.

وقد قال الراوي رحمه الله: إن الشيخ المرشد في كل عصر لم ير مسوراً بين أولياء الله تعالى، فضلاً عن غيرهم من انعام، فلا يعرفه إلا أرباب الباطل والبصائر دون أهل العمل الطاهر، وذلك لأن غالب أعماله التي يتمير بها عن أفرادها نصير قلبية، لا يظهر منها على ظاهره إلا ما لا يتمير به عن العامة من المرائص والنسب المؤكدة. فيحفى بعد الشهرة ضرورة.

فمن أين يعرفه المريد المحبوب بسبعين ألف حجاب؟ وقد ورد في الحديث القدسي: ((أوليانى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى))^(١): أي وغير من عرفته إياهم انتهى كلام علي المرتضى رحمه الله.

وكان يقول كثيراً: سب اختفاء الصادقين من أهل الله في كل عصر و زمان قلّه صدق الطائين الطريق بصدق، ولو أن المریدین صدقوا لأظهروا لهم أنفسهم، ولكنهم دخلوا بالخطوط النمسية والأعراض العاسدة، فكان من عقل الواصلين الاختفاء عنهم رحمة بهم.

فقلت له: إن المریدین لم يرأوا يطلبوا الطريق بهذه الأمراض، ولا بمعهم الأشباح، بل يتسلوهم ويصيروا يصفون لهم الدواء المريل لأمرضهم شيئاً فشيئاً حتى تصلح أحوالهم.

فقال: صحيح لو عدم الصادقون من المریدین ما عندهم من العلل، وطلبوا من الأشباح دواءها لأعراض صحيحة، ما معوهم ولكنهم طلبوا إزالة أمراضهم بالمشيحواء على الناس، ويرون بذلك معوسهم على إحوالهم، ثم لا يطلبون الخروج عن ذلك. بل يمكن أحدهم يدعى الإصلاح ويحجب بحاله حتى يموت على ذلك، ولا يقل يصح باصبع أبداً، محكم هؤلاء حكم من يشتري العصب ليعصره حرراً، أو البخارية ليوقعها مع الرأيات، ومعلوم أن بيع ما ذكر حرام بالنظر لأخرة أمره، فكذلك المرید الذي لم يحصل في طلب الطريق فاقهم.

وقد كثر هذا النوع في مریدی هذا الزمان، وأدعوا للمشيحة بعير حق، وجلسوا لها بعير إذن من أشباحهم، فصنوا وأصلوا، وكان عليهم إثم قاطع الطريق.

وقد قال الراوي رحمه الله: يجب على الطالب الصادق ألا يصحب أكثر من يدعي

(١) ذكره النواوي في التعاريف (١/٦٧٦).

المشيخة في عصرنا هذا البتة، إلا بعد ظهور أمارات الصادق بإلهام من الله تعالى للطالب حيث يستحير الله تعالى، أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ.

قال: وإياك أن نصحب أحدا من المدّعين للطريق بدس الري، أو ندعهم بأحدون عليك العهد؛ فإنهم أكثر أذى من الثعبان، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذر، ولا هكذا من نظاهر بانصلاح وهو في السافل شيطان في ري إنسان.

قال: وذلك كالجماعة الذين سبوا نحوهم بأسماء المشايخ الصادقين، أو أنه من أتباعهم كالملاطية والقلندرية والخيدرية والبسطامية وأشباههم.

فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من تلقوا بقبه أو اتسبوا إليه، فإن المنقول عن جميع أشياخ الخرق كلها التفيد بالكتاب، كسيدي عبد القادر الجيلاني جد الشيخ عبد الكريم الجيلاني^(١).

(١) هو العالم بالله تعالى المورث محمد بن سيدي قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلاني أو الجيلاني؛ نسبة إلى قرية جبل، وهي تقع في احرء العربي من بلاد فارس، وهو سبط السلطان محمد بن سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره. سلك الطريق على يد الولي الكامل المعروف سيدي إسماعيل الحنفي قدس سره، وكان الشيخ به عالماً بطوم الشريعة والطريقة والحقيقة، إلا أنه اشتهر به بالكتابة في علم الحقيقة، وكان كثير التعظيم وأخذه بالشيخ الأكبر قدس سره. ومن كراماته العظيمة التي كانت تقع له أثناء السوكة: أن رسول الله ﷺ كان يأتيه في البقعة في صورته شيخه سيدي إسماعيل، فيكلمه الشيخ ويأمره، والشيخ يُكلمه ويُسلطه، والشيخ لا يعلم أنه مع رسول الله ﷺ يتكلم، فإن علم بعد ذلك حصل له فضل من هذا المشهد؛ حياة من السيد الأعظم ﷺ.

وله قدس سره في علوم القوم مؤلفات كثيرة نسي عن جزء من علمه، وعظمته، وكمال معرفته. ووراثته، ومنها كتابه الأكرم الأهم المسمى: «الساموس الأعظم والعاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ»، وهو في أربع وأربعين جزءاً، معظمه ما نسب إليه من مؤلفات إمامه هو عبارة عن جزء معين من هذا الكتاب العظيم، كـ «الكملات الإلهية في الصفات الحميدة»، و«لسان القادر بسم السحر»، و«قاب قوسين»، و«مراتب الوجود»، وما زال أخذ ذلك الكتاب متفقواً حتى الآن، ولم يكمل جمعه فيما نعلم أحد، ومنها كتاب «الإنسان الكامل»، وهو أشهرها. ونظمت المعجانات وملك العرائف، و«المملكة الربانية المودعة في الشأمة الإنسانية»، وغير ذلك. نعم الله عليهم في الدارين، آمين.

وكان شديد متمسكاً بالشرع الشريف، مؤيداً علومه بالكتاب والسنة. وفي ذلك قال في مقدمة كتابه «الإنسان الكامل»: (ثم التمس من الباهر في هذا الكتاب بعد أن أعظم لي ما وصفت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب واسأله فيهم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وصفت

وسيدي أحمد بن الرفاعي^(١).

الكلام لأجله، فليوقف عن العمل به مع التسليم، إلى أن يمنح الله تعالى عنه معرفته، ويحصل به شهادة من كتاب الله أو سنة به، وعنده التسليم هنا وترك الإنكار ألا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك؛ فإن من أنكر شيئاً من علما هذا حرم الوصول إليه ما دام منكراً، ولا مل إلى عر ذلك، بل وبحسب عليه حرمان الوصول إليه بالإقرار أو ردة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم) اهـ.

قلت: انظر رحمك الله في قول الشيخ: (فليوقف عن العمل به): أي إذا لم تستطع أنت أن تقوم بشاهد من الكتاب أو السنة فأمرك الشيخ بترك العمل، ولم يأمر الشيخ بالعمل إلا بعد التأيد بالشرع، مع العلم أن تلك المحاجة الموقفة هي من حيث فهمك، لا من حيث حقيقة قول الشيخ، وإنما أوجب الشيخ ترك العمل لأن نظر الشيخ أوسع، ومعرفته مع الله أدق، ومن أين يبي الحامل مثل تلك المعاصرة؟! ليت شعري! كيف فهم أمثال هذا السيد من أكابر القوم رضي الله عن جميعهم بمخالفتهم لكتاب أو سنة، والله إن لم يكن هؤلاء هم أهل القرآن المتلسون بالنسبة فما اقتدى برسول الله أحد، كان الله لأولئك، ما أصرهم على جهل من جهل عليهم! منهم ميماء علك؛ إنما لا مهم عنك إلا بك، وارزقا اللهم الإيمان الكامل بعلوم هؤلاء بساده، واحفظ ذلك علينا إلى أن نلقاك.

(١) وهو الشيخ الطويل الحسين السيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن عبيد بن ثابت بن حازم بن أحمد بن عبيد بن طارم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم الخفاف بن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السبط، ابن الإمام عبيد بن أبي طالب، وضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سكن أم عبيدة بأرض السطاح إلى أن مات بها، انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف مآزلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالسطاح، وجرّج بصحته جماعة كبيرة، وتتمد له حلائق لا تحصى، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسرارها، وله كلام كثير عال على سائر أهل الحقائق، وهو الذي سئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصِب له ستان أعلى شاهق في الأرض، وهبت الرياح الثمانية ما غيّرته.

وكان يقول: المرهد أساس الأحوال المرصية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله تعالى، والمقطعي إلى الله، والراعي عن الله، وهو كلب على الله، فمن لم يحكم أساسه في المرهد لم يصبح له شيء مما بعده.

وكان يقول: الأسس بالله لا يكون إلا بعد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، بعد ذلك أسسه الله به، وأورده بهر حقائق الأسس، فأخذ عن وجد طعم الحق لما سواه.

وكان يقول: لو نكلم الرجل في المدايق والصفات كان سكونه أفضل، ولو حطاً من قاف إلى

فأب كان حلومه أفضل. وكان يقول: لما مررت وأما صغيراً بالنسيج عند الملك الخربوي أوصاني وقال لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: منعت لا يصل، ومتكسلاً لا يصح. ومن لم يعرف من نفسه بالتقصير فكل كوفاته بقصان، فحسنت أكررها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أتبع أجهل بالأبناء، والعنه بالأطباء، والحق بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أرددها سنة، فانتفعت بموعظته. وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله.

وكان يقول: أحرك الذي يحل لك أكل ماله بعد يده هو الذي تسكن بسكك إليه، ويستريح قلبك. وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأبوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط المصلم والمضطربين، وإذا صلح القلب أحرك عينا وراءك وأمامك، وشبك على أمور لم تكن تعلمها بشيء دونه، وإذا فسد حالك باطلات يعيب عنها المرشد ويتقي معها السعد.

وكان يقول: للصدقة أفضل من العبادات البدنية والنفوس.

وكان يقول: من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت لأحر، فيودع كل نفس أعز ما يصلح له، فلا يضع له نفس.

وكان يقول: السفر للفقير يرق دية ويشت شمله.

وكان يقول: من لم يتنع بأنفالي لم يتنع بأنفوي.

وكان يقول: كل أح لا يقع في الدنيا لا يقع في الآخرة.

وكان يقول: إذا تعلم أحدكم شيئاً من الخير فليعلمه للناس بشر له الخير.

وكان يقول: طريقتا مية على ثلاثة أشياء: لا سأل، ولا برد، ولا تدحر.

وكان يقول: ما من شيء إلا ويسرل فيها تار من السماء إلى الأرض، يعدي على المستقطبين.

وكان يقول: والله ما رأيت الخير إلا في الوحدة، فما بقي لم أعرف أحداً ولم يعرفني أحد.

وكان يقول: ما نظر أحد إلى الخلاق، ووقف مع نظره في العبادات إلا سقط من عبي وعاية الله بظن، فإن الحق سبحانه وتعالى هبور.

وكان يقول: من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس.

قال يعقوب الحادق: بي لحمه بأجسه قبل خروجه من الدنيا، وكان يلهي إذا صعد الكرسي لا يهوم عالمه، وإنما يتحدث لماعك، فسمع كلامه العبد مثل القريب، حتى إن أهل القرى التي حول أم عبيدة كانوا يجلسون على أسطحهم يسمعون كلامه وعلو صوته، ويعرفون جميع ما يتحدث به. حتى كان الأعرش والأصم إذا حضر يفتح الله أسماعهم لكلامه. وقد أحدهم بسط حجره، وإذا فرغ السيد أحد صموا حواريهم إلى صدورهم، وقصوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم على حليته.

وكان يقول: اللهم اجعلنا ممن فرشوا على بابك نعرط دهم بواعم الخدود، فبكوا رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، ببركة صاحب اللواء المحمود، والخواص المورود آمين.

وسمى رجلاً يقول: إن لله خمسة آلاف اسم، فقال: إن لله سبحانه وتعالى لاسم بعدد ما خلق من الزمائل والأورال وغيرها.

وسيدي أحمد البدوي^(١).

وكان يوم لا يجاري بالسيرة السنية، ولكن يعفو ويصفح تحلقاً بأحلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا جعل الحق تعالى على قلبه بالمعظم محبوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يمدارك باللفظ فيسهر به محمد الله شيئاً شيئاً حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول، 'لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم'.

قال يعقوب الخادم: ومما مرض السيد أحمد مرض الموت قلت: جئني العروس في هذه المرأة؟ فقال: نعم، فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشترتها بالأرواح، وذلك أنه أهل على الحق بلاء عظيم فتحمته واشترته بما بقي من عمري فباعني، وكان يبيع وجه الشريف وشيئته المكرمة في الراب ويكي ويقول: انعموا العمو، اللهم اجعني سبع البلاء عن الحق.

وكان مرض الشيخ بالظهر، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهراً، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يوماً لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي هذا اللحم يدمع ويخرج، ولكن قد ذهب اللحم وما بقي إلا العج، اليوم يخرج وعداً صر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاث، ثم توفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة، وكان يوماً مشهوداً.

وكان آخر كنيسة فالحا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وانظر في ترجمته. طبقات الشعراني الكبرى (١٢١١)، وبارك الحقائق بشيخ الرواس، وقلائد البرجد شرح حكم مولانا أحمد له أيضاً، بتحقيقنا.

(١) الشيخ الحبيب السبب أبو العباس السيد أحمد البدوي رحمه الله في حبيب الأرض يعني عن ترجمته، ويذكر حلة من أحواله تركها به فيقول: مولده بسنديه قس بالشعر؟ لأن أجداده الأكرام اسموا أبناء المحتاج إليها حين أكثر القتل في الشرقاء، فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لك في ذلك شأن، وكان ذلك سنة ثلاث وستمئة.

قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: فما رما سرور علي عرب، وبرجل علي عرب، فيلهوا بالترتيب والإكرام حتى وصلوا مكة في أربع سنين، فتلقاه شرفاء مكة كلهم وأكرموا، ومكثوا عندهم في أريد عيش، حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمئة، ودفن بباب السعلاة، وقره هناك ظاهر يزوار.

قال الشريف حسن: فأقمت أنا وأخوتي، وكان أحمد أصغرنا شأ، وأشجع قلنا، وكان من كبره ما يتكلم لنفسه بالبدوي، فأقرانه المقران في المكتب مع ولدي الحسين، ولم يكن في مرسان مكة اشجع منه، وكانوا يسمونه في مكة المعطاب، فلما حدث عنه حادث الوفاة عبرت أحواله، واحتل عن الناس فكان لا يكلم الناس إلا بإشارة.

قال بعض المعارف: أنه حصلت له جمعة على الحى بارك وتعالى فاستغرقته إلى الأبد، ولم ير حاله يتزايد إلى عصرنا هذا.

ثم أنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمئة رأى في منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له: قم واطلب مطلق الشمس، فإذا وجدت مطلق الشمس فاطلب مغرب الشمس. وسر إلى همدان: أي

طيطا، فإنها مقامك أيها الهنيء، فقام من منامه وشاور أهله، وسافر إلى العراق فلفه أشاحها،
 منهم السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد أحمد الرفاعي بالمرحيب والإكرام، وأن السيد أحمد رأى
 الخائف في منامه يقول له: يا أحمد سر إلى طندنا، فإنك تقيم بها وتزني بها رجالاً وأبطالاً منهم:
 عبد العال، وعبد الحميد، وعبد الوهاب، وعبد المحسن، وعبد الرحمن، وكان في شهر رمضان سنة
 أربع وثلاثين وسبعمائة، فدخل بيت مصر، ثم قصد طندنا فدخل على الخال مسرعاً إلى دار شخص
 من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فقصده إلى سطوح عرفته، وكان طولي لينة ومبارك واقفاً شاخصاً
 بعصره إلى السماء، ولقد انقلب سواد عييه بحمرة تتولد كالحرير. وكان يهكت الأرجح يوماً
 وأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ثم برل من السطح، وخرج إلى ناحية المنارة فبعه
 الأفعال، وكان منهم: عبد العال، وعبد الحميد، فورمت عين السيد أحمد فطلب من عبد العال
 بيضة فعملها على عيه، فقال: وتقصي الحريضة الخضراء التي معك، فقال له السيد أحمد: نعم،
 فأعطاهم له فذهب إلى أمه، فقال لها: هذا يدوي عيه توجهه قد طلب مني بيضة. وأعطاني هذه
 الحريضة، فقالت: ما عهدي بشيء، فراجع وأحضر السيد أحمد فقال: اذهب فائت بواحدة من
 الصومعة، فراجع عبد العال فوجد الصومعة قد مُلئت بيضاً، فأخذ له واحدة منها، وخرج بها إليه،
 ثم أن عبد العال تتبع السيد أحمد من ذلك اليوم، ولم تقدر أمه على خيضة منه، وكانت تقول: يا
 يدوي الشوم عيها، فكان السيد أحمد يقول: يا فانت: يا يدوي الخير كان أصدق، ثم أرسل
 يقول لها: إنه وبلي من يوم قرن الثور، وكنت أم عبد العال قد وصحته في معلق الثور، فطأ
 الثور يأكل فدخل فربه في القمط، فشال عبد العال على فربه، فبج الثور به فلم يقدر أحد على
 حليصه، فمد السيد أحمد يده وهو بالعراق، فخلصه من القرن فذكرت أم عبد العال الواقعة،
 واعتقدت به من ذلك اليوم، فلم ير السيد أحمد على السطوح مدة اثني عشر سنة.

وكان عبد العال يأتي إليه بالرجل أو مضطج مضطج من السطوح فيطرقه نظرة واحدة فملاها
 مدفاً، ويقول لعبد العال: اذهب به إلى يد كذا وكذا أو موضع كذا، وكانوا يُسمون أصحاب
 السطوح.

وكان يؤد لم يرل مشمًا بثمانين. فاشتبه عبد الحميد يوماً رؤيه وجه السيد أحمد، فقال: يا سيدي
 أريد أرى وجهك، فقال: يا عبد الحميد كل نظرة برجل، فقال: يا سيدي أرى فو من فكشف له
 اللثام الموقى فصفق ومات في الحال. وكان يشد عيط الساقين، طويل الدراعين، كبير الوجه،
 أكحل العينين، طويل القدم، فمحي اللون، وكان في وجهه ثلاث بقط جدي في حده اليمنى
 واحدة، وفي الأيسر اثنتان، ألقى الأنف، على أنفه شامتان، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من
 العدسة، وكان بين عييه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأطع حين كان بمكة، ولم يرل
 من حين كان صغيراً بالثمانين والعشرين، ولما حفظ العراق العظيم اشعل بالعلم مده على مذهب
 الإمام الشافعي حتى حصل له حادث الوله، فترك ذلك الحال، وكان إذا بس توباً وعمامة لا
 يخلعها لعملي ولا غيره حتى يدوب فيلبوها له بعيرها، والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنة في
 المولد هي عمامة الشيخ أحمد يده.

وسيدي إبراهيم الدسوقي^(١).

وأما البشت الأحمر من لبس الشيخ عبد العال.

وكان عليه يقول: وعزة ربي سواي تنور على البحر ابيض.

قال الشيخ محمد الشاوي: إن شخصاً أكر حضور مولده سلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة بحس إلى دين الإسلام، فاستعانت بالسيد أحمد، فقال: بشرط الأبعاد، فقال: نعم، فردّ عليه نوب إيمانه، ثم قال له: ومأنا نكر؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له السيد أحمد: ذلك واقع في المصائب، ولم يسع أحد منه، ثم قال: وعرة الربوبية ما عصى أحد في مويدته إلا وتاب وحسب بوبته، وإذا كنت أرعى الوحوش في الراري، والنسك في البحار، وأحبهم من بعضهم بعضاً فحجزني الله بكل من حاية من يحصره مولدي.

ووقع ابن النان في حق السيد أحمد فسلب العراق والعلم والإيمان، فلم يرل يستفيث بالأولياء فلم يقدر أحد يدخل في أمره، فدلوه على الشيخ باقوت الحرشي، فعصى إلى السيد أحمد وكتمه في مقبر فأجابه، وقال: أنت أبو العتيك رذ على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأسه، وهذا كان سب اعتقاد ابن النان في الشيخ باقوت، وقد روجه الشيخ باقوت بالله، وقفن تحت رجليه بالقرعة.

وواقعة ابن دقيق العبد وانتحائه لسيد أحمد مشهورة، وهو أن الشيخ نفى الدين بن دقيق العبد أرسل إلى السيد أحمد الشيخ عبد العزيز المديني، وقال له: امح لي هذا الرجل الذي اشتغل بالناس بأمره عن عدد مسائل، فإن أحابك عنها فهو ولي لله تعالى، فعصى إليه وسأله عب فأجابه عنها بأحسن جواب، وقال: هذه الأخوة مسطرة في الكتاب العلاني توجدوها في الكتاب كذا قال.

وكان الشيخ عبد العزيز إذا سُئل عن السيد أحمد قال: هو بحر لا يُدرك له قرار، وإخباره ومجبه من بلاد الفرج، وإعانة الناس من قطاع الطرق، وحبونه بهم وبين من استجده به كثيره لا تحويها الدعار.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وقد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسراً على مناره مشيخ عبد العال، مقبلاً معبلاً، وهو غشيط الحمل مسانته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد المرح آخر الليل توخيت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأحدي وطار بي في الهواء فوصني ما، فمكت يومين ورأسه دائر عليه من شدة الحسنة.

توفي عليه سنة خمس وتسعين وسبعمائة هـ. وفلس روحه، وأعاد عليها من بركته من.

(١) هو من أجلاء المشايخ المكرمين وصدور المقربين، صاحب كرامات صاهرة، ومقامات فاخرة، وسائر زاهرة، وبساتين باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهمم عالية، ومحاب روحانية. وأسرار ملكوتية، وعناصر قدسية، وله المهرج الأعلى في المعارف، ومنهاج الأسس في الحقائق، والمطور الأعنى في السعالي، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والنوع العلوي في التصريف النادر، والكشف الخادق عن حقائق الآيات. والفتح

مصاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله ﷻ إلى لوجود، وأبرره رحمةً بلخلق. وأرفع له القول تمام عدد الخاص وعمام، وصره في العالم، ومكته في أحكام الولاية، وقلب به الأعبان، وحرق له العادات وأنطقه بالمعاني، وأظهر على يديه المحاسن، وصوّفه في المهد. وكان يتكلم بالعجمي والسرياني، والعبراني، والبرنجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلام كثير عال على لسان أهل الطريق.

ومن كلامه: من لم يكن مجتهداً في بدايته لا يفلح له مرده، فإنه إن نام نام مرده، وإن قام قام مرده، وإن أكل أكل مرده، وهو بطل، أو توجهم عن الواصل وهو جهل، صحكوا عنه ولم يسمعوا منه.

وكان يقول: من لم يكن متشرباً متحققاً بطيفاً عفيفاً فليس من أولادي، ولو كان أبي الصلي، وكل من كان من المريد ملزماً للشرعة، والخففة، والطريقة، والمداينة، والصفاء، والرهبة، والورع، وقلة الطمع فهو ولدي، وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا يكمل العصر حتى يكون عملاً لجميع الناس، متعفاً عنهم، سائراً بهوراهم، فإن أذهى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذب.

وكان يقول: لا تنكروا عني فقير حاله، ولا لسانه، ولا طعمه، ولا على أي حالة كان، ولا على أي نوب ينس، ولا يسي الإيثار عني أحد إلا إن ارتكب عظوماً صرحت الشريعة به، وذلك أن الإيثار يورث الوحشة، والوحشة تكون سبباً لا تقطاع العبد عن ربه، فإن الناس خاص وعام، وخاص الخاص، ومندى ومشي، ومشيته ومتحقق، وبرحم الله البعض البعض، أو القوي ما يقدر يشي مع الضعيف وعكسه، وتفقره عيت وهم سبب، فإذا صحت الفقر في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تحاطوه إلا بالأدب.

وكان يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع، فالشريعة حاملة لكل علم مشروع، والحقيقة لكل علم حقيقي، وجب المقامات مندرجة فيها.

وكان يقول: يحب على المريد أن يأخذ من العلم ما يحب عليه في تأدية مرضه وبعده، ولا يشتغل بالمصاحبة والبلاغة، فإن ذلك شغل به عن مراده، بل يخصص عن آثار الصالحين في العلم، ويواظب على الذكر.

وكان يقول: يا أخي عليك بالعمل، وذاك وشققة اللسان بالكلام في الطريق دون التحقن بأخلاق أهلها.

وقد كان رسول الله ﷺ يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقام حتى تعطرت قدماءه، ثم تبعه أكابر الصحابة وصوال الله تعالى عليهم أجتمع على ذلك.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا شهّد بشم لكبده رائحة الكبد المشوي، وأمن منه في سبيل الله كبه، وكان عمر بن الخطاب شديد الصل والكبد حتى رجع دمه بخبود، ولم يأكله بقطعة خبز. وكان عثمان بن عفان يحتم القرآن قائماً كل ليلة على أقدامه، وكان عبيد الله بن رهاد العبادة ومجاهديه حتى فتح أكثر بلاد الإسلام. هؤلاء خواص الصحابة مع قرهم من رسول الله ﷺ، هذا

كان اجتهدهم ورهدهم، هذا كان جوهرهم، فاعلموا يا أولادي الحقيقة والسريفة، ولا تعطلوا إن أردتم أن تكونوا يُقْتَدَى بكم، وما ست الحقة حقيقة إلا يكونا يحق لأمر بالأعمال، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة.

وكان يقول: ما دام لسانك يدور احرام، فلا تضع أن يدور شفا من الحكم والمعارف، وكان يقول: إن أحبك ربك أحبك أهل السماء والأرض، وإن أطمعك أصاع لك الخن والأس. ويحفظ لك البحر والماء، ويطيح لك الهواء.

وكان يقول: يا ولدي عليك بالتحقيق بأحلاق الأدياء لنال السعادة، وأما إذا أخذت ورقة الإحارة، وصرت كل من نارحك قلب هذه إحاري بالمشيخة دون لمحقق، فإن دنت لا شيء لها هو حظ نفس، لكن اقرأ الإحارة، واعلم ما فيها من الوصايا، وهناك تحصل على الفائدة، ويحصل لك الاصطفاء، وهذه طريقة مدارج الأولياء قرأنا بعد فرد، وحيلاً بعد حبل إلى آخر مديا.

وكان يقول: إذا اشتعل المرید بالصفاحة والسلاعة فقد تودع منه في الطريق، وما اشتغل أحد بملك وقطع به.

وأما حكايات الصالحين وصفاتهم وطاعتها للمرید حمد من حوّد الله تعالى، ما لم يقع بها في الضريق.

وكان يقول: العلم كله مجموع في حرمين: أن يعرف الصديق به، ويصده، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، وليس في هذا تعطيل للعلم، بل العمل أس العلم، وإسا قضا ذلك من أجل قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَرْغُبْ مَا نَسَرَّ مِنْهُ﴾ [المرسل: ٢٠]. ولكل فرد مساج، وإذا فقد يجمع الله العلم والعمل في رجل واحد بعد الس كل الموائد، فالشريعة هي الشجرة، والحقيقة هي الثمرة.

وكان يقول: يا ولدي إذا لم يحس أحدكم أن يعمل مولاه فلا يقع في أحوال لا يدور بها، فإن يقوم نازه يتمكنون بلسان الضريق، وناره لسان التحقيق بحسب الحشرات التي يدخلونها، وأنت يا ولدي لم تدق من حالهم ولا تعرفت ولا دخلت حصرهم، فمن أين لك أنهم على الصلال؟ استعوم البحر ولست بعوالم؟ ثم إذا عرقت فقد مت ميتة جاهلية لألك ألقب نفسك لميالك، واحق تبارك وتعالى قد حرّك عليك ذلك، بل الواجب عليك يا ولدي أن تطلب دعاء القوم وتشمس بركاتهم، هذا إذا لم تجد قدرة على عملهم، فإن وجدت قدرة على ذلك فقد أيد الأبدان.

واعلم يا ولدي أن ألس القوم إذا دحوا الحشرات مختلفة في إشاراتهم وكمياتهم، منها ما يهيم ومنها ما لا يهيم، وكذلك من أحوالهم منها يهرع ومنها ما لا يهرع، وكذلك في أسرارهم ما لا يصل إليه مؤوّل ولا معرّ ولا مصلح ولا معسر، لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في نفوسهم، فكيف في غيرهم؟ يجب عليك يا ولدي التسليم لله تعالى في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

ياي باصغ بك يا ولدي، وإذا رميت من يجه الله تعالى بالزور والسهان، وتحرّك على من قرره

وعبرهم من المشايخ حتى كان سيدي إبراهيم يقول: من لم يحبس نفسه في قفم الشريعة، ويحتم عبها بحاتم الحقيقة فلمس هو سي، وأنا بريء منه في الدنيا والآخرة. وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمته يقول: أجمع أهل الطريق على أن كل حقيقة رذتها الشريعة فهي زندقة، وقالوا: الشريعة هي أحكام النبوية، والحقيقة هي حقيقة

الله تعالى مفتك فلا تفلح بعد ذلك أبدا، ولو كنت على عبادة الثقلين.

وكان يقول: من قام في الأسفار ولزم فيها الاستعقار كشف له عن الأنوار، وأسقى من دن الدنو ومن حر الحمار. وأطلعت في فله شمس المعاني والأفكار، ما ودي عمل بما فله لك تكس من المصالح.

وكان يقول: ما قطع التريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وحيد وعمل ونسرة، وعصر بصر، وهبة يد ومرح ولسان، فمن خالف شيئا من أعمالها رفضته، فذلك أتوا العروة إلا في صلاة الجماعة، وحضور محالس العلم التي لا رياء فيها ولا حيل، ولا عجب ولا مدارة، والسلامة من هذه الأمور في ربما هذا قل أن توجد، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك، فإنك يا ودي في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدح في الشريعة.

وحقيقة الحق بدعا في الطريقة، كأنهم ما علموا قط عطاء لله تعالى، ومواهب مدد الله تعالى. وحواري عذابه، بل رأوا من سوء حاله أن باب العطاء قد غلق، فمن اعتقد ذلك فإسا هو محروص على الله تعالى في عمله، وعود بالله من التعرض، فإنه لا بد لأهل حصنه تعالى من التميز عن المعرضين عنها؛ ليشترك المعرضون عنها حين يرون الحواري يضع عن يده أولاته، فما أجمل من جمل قدر الفقراء، وما أعزاء أئمتنا في قوم كلهم طابرين الله تعالى. أيكر عليهم مسند؟ كلا والله.

ولقد قيل للمحيد: فوئا بواجدون وضميلون، قال: دعه مع الله يفرحون ولا تكثر إلا لعصيان الممصرح به في الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكادهم، ومرق النعب والشعب أحسادهم، وصافوا درغا فلا حرج عليهم، إذا نسفوا مداراه خافهم، ولو دقت يا أخي ملاقيهم لعلمتهم في مباحثهم وشق نياهم، فالفقه يلهيكم يا أولادي سلوك طريق الرشاد به مبيع مجيب، وهو السيد إبراهيم بن أبي محمد بن قريش بن أبي طحان بن رين العائدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي المظيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الخوادم بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن رين العائدين بن الحسين البسط بن علي بن أبي طالب المدني القرشي. وصود الله تعالى عليهم المصالح.

نقته على مذهب الإمام الشافعي رحمته، ثم التقى أثر السادة الصوفية، وجلس في مرتبة النجوة، وحصل الربة البيضاء، وعاش من العصر ثلاثة وأربعين سنة. ولم يفعل قط عن المجاهدة للنفس والهو والشیطان، حتى مات سنة ثمان وسبعين وستمائة هـ.

الصودية.

وكان أبو القاسم الجليل رحمه الله^(١) يقول: طريفتنا هذه منبئة بالكاتب والسنة،

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو القاسم من محمد الجليل سيد الطائفة رضي الله عنهم. قال عنه الشيخ الأكبر: هو سيد الصائفة، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية، تفقه على أبي نوري، وكان بقي محصره وهو ابن عشرين سنة، لم تزل أعناق المرفقين به حاصدة، وعلى بحسه محتمة.

أحد التصوف عن حالة السري السقطي والخازن المحاسي رضي الله عنهما، ونحدث عن ذلك قائلا: قال لي شيخني السري: إذا فبت من عدي من نحاس؟ ففت: المحاسي. قال: نعم، حد من علمه وأدبه، ودع عنك تشميقة للكلام وردة على المسكلمين. ثم لما ريت سمته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث أهل.

قال الشيخ الأكبر: يريد أنه نتيجة عن العمل عنيهما، وهما الشاهدان العدلان. وله في طريق القوم أقوال كثيرة، ومنها: علما هذا مصوفاً بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ولم ينفقه لا يقتدى به.

وقال: رضوان الله على أمير المؤمنين عني: لا تولا أنه اشتغل بالحروب لأدانا من علما هذا معان كثيرة.

ذاك امرؤ أعطي علماً لدينا، وتعلم المدي هو العلم الذي خسر به الخضر الجليل. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الأنكب: ٦٥].

وقال: آخر مقام المجالس وأعمالها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد.

وقال: لو أن العلم الذي أتاكم به من عدي نهي؛ ولكنه من الحق بدأ، وإلى الحق يعود.

وقال: لو علمت علماً نحت آدم السماء أشرف من هذا العلم نسجت إليه وإلى أهله.

وقال: المعرفة هي تعظيم الحق عن الإحاطة، وإجلاله عن الدرك.

وقال: آخر مقام العارف المحرقة.

وقال: من عرف الله كل نسائه.

وقال: العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت.

وقال: المعرفة أن تعلم أن ما تصور في قلبك ذلك بخلافه، فيأطأ من حيرة لا له حظ من أحد ولا لأحد منه حظ، وإنما وجود يردد بين في العدم، لا سبباً للمارة عنه؛ لأن المخلوق مسوق. والمسوق غير محيط بالسابق.

وقال: المعرفة وجود جعلك مع قيام علمه.

فيل له: زدنا أيضاً. فقال: هو العارف وهو المعروف.

وقال: التصديق بعلمنا ولأية أهل.

واتفل: ثم إلى الحياة البرزخية في آخر ساعة من الجمعة سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بالشويمية عند حالة سري السقطي، نعمنا الله به في الدارين، آمين.

فمن لم يفهم القرآن والحديث لا يجوز الاقتداء به عندنا.
وكان يقول: إذا رأيتم شخصاً قد ترمع في الهوى فلا تلتفتوا إليه حتى ينظروا حاله عند الأمر والنهي.

وكان يقول: من ادعى أن أحدًا من أهل الله وصل إلى حالة يسقط عنه فيها أحكام الشريعة مع عقله فهو كاذب، والذي يسرق ويربي أحسن حالاً من هذا. انتهى.
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله^(١) يقول: ما وصل أحدٌ إلى درج الحقيقة إلا

(١) هو المولى الكامل اعرف بالله تعالى سيدي علي الخواص ابن راسي، شيخ المصنف رضي الله عنهما، وقد ترجمه في «الطبقات» فأنشأ: كان لا يكتب ولا يقرأ، وكان يتكلم على معاني مفران العقيم والسنة المشرفة كلاماً مبيناً، يحضر فيه العلماء، وكان عمل كشمه النوح محفوظ عن الهوى والفتنات، فكان إذا قال قولاً لا بد أن يقع على الصبغة التي قالها، وكنت أرسل له الناس يتناورونه عن أحوالهم، فما كان لفظ يحوجهم إلى الكلام، بل كان يحضر الشخص موافقة مني أني لأجيبه بل أن يتكلم، يقول: طلق، مثلاً، أو شارك، أو فارق، أو حبس، أو سافر، أو لا تسافر، فيتخير الشخص، ويقول: من أعلم هذا بأمرى هذا.

وقال: وكان يعامل الناس على حسب ما في قلوبهم، لا على حسب ما في وجوههم.
قال: وبه كلام عيسى، فما عاله في كدنا المسمى «الجواهر والدور»، كل جواب من محضر عنه محوّل العلماء، حتى تعجب من كتب عليه من العلماء: كسيدي شهاب الدين الفتوح الحسني رحمه الله، وسيدي شهاب الدين بن تاشلي رحمه الله، وسيدي ناصر الدين اللقاني المالكي رحمه الله، والشيخ شهاب الدين طرأفي رحمه الله.

وقال الشيخ شهاب الدين الفتوح رحمه الله: لي سبور سنة أخدم العلم، فما أظن قط أنه حطر على باقي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب: يعني «الجواهر والدور» هذا.
وقال الشيخ الشيرازي من أقواله الكثير، وإليك قبس منها:

قال: لا يسمى عالماً عدداً إلا من علمه غير مستعاد من نقل أو صدر، بأن يكون حصري المقام، وأما غير هذا فإنما هو حاكٍ لعلم غيره فقط، فله أجر من حمل العلم حتى آتاه، لا أجر العلم، والله لا يصيب أجر المحدثين.

وقال: من أراد أن يعرف مرتبة من العلم يقبلاً لا شك فيه فليد كل قول حصته إلى قائمه، وبطر بعد ذلك إلى علمه، فما وجد معه فهو علمه، وأطى ألا يقف معه إلا شيء يسير لا يسنى به عالماً.

وقال: لا يصح الرجل عدداً معدوداً من أهل الطريق إلا إن كان عالماً بالشرعة المطهرة: محمداً ومبشراً، ناسخها ومسوحها، خاصها وعامها، ومن جعل حكماً واحداً منها سقط عن درجة الرجال.

فقت له: إن عاب مسلكي هذا الزمان مناصوب عن درجة الرجال. فقال: هم، إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو لو انفرد في جميع الوجود

لكمى الناس كلهم من العلم، في سائر ما يظنون.

وقال: من علامة النقص الإلزامي أن تصحح القول، ولا تصح إلا بالإيمان فقط.

وقال: أكمل الإيمان ما كان عن نحلٍ إلهيٍّ لأنه حينئذٍ عنى صورة إيمان الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودونه ما كان عن دليل، فلما علم الصحابة أن إيمان الرسل لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه، وذلك لأن حقيقة الرسالة تقتضي أن لا دليل عليها، وإن أرسل مع الحق في التوحيد العام كحقى معهم؛ إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون؛ إذ هم مقلدون للحق، ونحن مقلدون لهم.

وقال: من حقق برته الإيمان عظم أن جميع المراتب تصحب رتبة الإيمان، كمصاحبة الواحد لمراتب الأعناد الكلية والجزئية إذ هو أصلها الذي بنيت عليه فروعهما وثمارها.

وقال: إذا كُمل توحيد العبد لا يصحُّ به أن يرسل على أحد من المخلوقين؛ لأنه يرى الوجود لله. وقال: لا يصحب كمال الإسلام اعتراحي، ولا يصحب كمال الإيمان تأويل، ولا يصحب كمال الإنسان سوء أدب، ولا يصحب المعرفة همة، ولا يصحب الإخلاص في العمل لذة، ولا يصحب العلم جهل.

وقال: ما تم في الفرق الإسلامية أسوأ حالاً من المتكلمين في الذات بعلمهم القاصر؛ فإن الله ﷻ قد سره في حجب عرته عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه، خلقاً كان أو علماً، روحاً كان أو سرّاً، وذلك أن الله ما جعل الخواص الظاهرة والمباينة إلا طريقاً إلى معرفة المحسوسات لا عبرة والعقل بلا شئ منها؛ فلا يدرك الحق تعالى به؛ لأن الحق ليس بمحسوس ولا معلوم معقول.

وقال: العلم ومعرفة والإدراك والعلم والتميز من أوصاف العقل، والسمع والبصر والخاصة والذوق والشم والشمهية والعصب من أوصاف النفس، والتذكر والحيّة والسياسة والانقياد والصر من أوصاف الروح، والقطرة والإيمان والسعادة والهدى واليقين من أوصاف السر، والعقل والنفس والروح والسر مجموع أوصاف للمسمى المسمى بالإنسان، وهي حقيقة واحدة غير متغيرة، وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القالب المتحرك المتغير، والجميع روح صورة هذا القالب، والمجموع من الجميع روح جميع العالم. انتهى.

قال المصنف بعد ذكر هذا التفصيل: وهذا كلام ما سمعته قط من عارف، ولا رأت مسطوراً في كتاب، وهو دليل على علو مقام شيخنا في المعرفة الله.

فثبت: وهذا هو الشأن في جميع علوم القوم رضى الله عنهم؛ فهم كما قل مظهر صفاتهم أبو يريد قدس سره محظناً لمن سواه: أحسن علمكم ميت عن ميت، وأحدنا غلبنا عن الحق الذي لا يموت.

فإذا تأملت كلامهم في الحقائق فإن مهمت لا يشك لحظة أن تلك العلوم تعبر العمول عن أن تأتي بنتها، وإن لم تفهم أبقت أن هذا الكلام صورة ليست بحسنة باطل، وإلا فكيف أرباب عقول، فيما لم تنكس على أسرار الكتاب والسنة كما نكلموا؟! ولما لم يسأل في التحقيقات والمواقف والحقيقة المحمدية كما أعوا، ولا يستطيع من سواهم أن يقول: (أرفعي

وجب عليه التقيّد بحقوق العبودية وحقيقتها، وصار مطاباً بأداب كثيرة ليس هي على غيره.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله^(١) يقول: كل من خلع من عنقه ربة التكليف فقد خامر بطله الزيف والتحريف.

وكان يقول: كل من ادعى أنه اخلص مع الله صميره وقال رتبته في الحقيقة تسره بها عن الحاجة إلى التقيّد بطاهر الشريعة، والوقوف على حد مراسمها، وجعل التقيّد بالشريعة إنما هو للعوام المسحصرين في صيق الاقتداء، فاعلموا أنه مفتون في دينه، وهو من أهل الإلحاد والرسوخ، فإنكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقوه؛ فإن طغمة أمهاته سمّ قاتل لقلوب المرتدين، أو لا يعلم هذا المبرور أن الشريعة هي طاهر لب حقيقتها، ولا تربو الحية وتثمر وتعقد إلا بالاستمداد من طاهر الطاهر، وأطال في ذلك.

قال: والصابط في تمييز الصادقين عن بيان الكاذبين إقامة الأعمال كلها على قانون الشريعة، ومتابعتهم لأدائها، والنادب بأداب أهل الطريقة على وفق سير المشايخ من السلف الصالحين. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته من أحوال الصادقين من المريدين والأشياخ تعرف حال أهل زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم من أولاد المشايخ أن يطلب له شيخاً يريه، ولا يكتفي بالعيشة في حس والده، فإن الولاية والمشيخة المعروفة ما هي بالأبناء والحدود، وإنما هي موهبة من الله على يد الأشياخ عاثناء، كما درج عليه السلف الصالحون كلهم، خلاف ما عليه أولاد المشايخ في هذا الزمان، فيكتفي أحدهم بكونه ابن سيدي الشيخ، ولا يطلب أن يكون شيخاً مثل والده في الدين والمجاهلة والرياضة، وذلك دليل على دماغة همتهم.

الحق، وقال لي، ولا (تحلى لي)، ولا (رأيه) في المشهد الأسفي والمستوى الأرمي)، ولا غير ذلك، مما يسمي المنوب، ويخرج الأرواح، ويحجر العقول، فإن أعلمت فاسمك؛ ولا سلم سلمه والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(١) هو الشيخ القنوه المعارف سيدي أبو الفضل الأحمد. نفى عن سيدي علي أخوان وعن الشيخ بركات وكان أحاً للملوب في الطريق، ووقع هما فتحد لم يمع نه قط مع غيره. قال عنه رضى الله عهما: لو أخذ يحكم في أفراد الوجود لصادف أقدار بولي في بدر في بعد الحج ودهى هناك بـ سنة ٩٤٢ هجرية.

وقد كان سيدي يوسف المحمدي^(١) رحمه الله تعالى يقول: لا ينبغي للشيخ أن يأخذ العهد على أولاد المشايخ المتمشيين بالأباء والجدود إلا بعد ظهور أمارات صدقهم في طلب الطريق على وجه المعاهدة والرياسة: أي فإن أحدهم ربما كان يعتقد أن ولد الشيخ شيخ، كما حكى لي ذلك شيعي الشيخ محمد الشاوي رحمه الله^(٢).

ولقد مكنت نحو عشرين سنة وأنا أعتقد أن ولد الشيخ شيخ بالخاصة، إلى أن جعلني الله تعالى على شيعي الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى^(٣).

وسعته عليه السلام أيضًا يقول: لا تمنعوا أنفسكم في تسليك المتمشيين بالأباء والجدود إلا أن يسلحوا من جميع الدعاوى، فإن أحدهم يفتح عنه على عظيم جماعة والده له يقول: قد صرت شيخًا كوالدي، فيكون التعب في مثل هذا صانعًا، لا سيما أولاد شيخ الإنسان! فإن موسهم لا تكاد تكس لأن يأخذوا الطريق عن تلميذ والدهم الذي أدن له والدهم أبناء، ولو بلغ في المقامات أقصى المراتب.

ويقولون: إن هذا ما اكتسب الشرف إلا من، فيرون موسهم عنه، ولا يكاد أحد منهم يرى نفسه دوله أهلك.

(١) هو الشيخ يوسف المحمدي الكوراني، قال عنه المصنف: هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجيد بمصر، وكان له مريدون كثيرون، وعادة زواياه توفي ٧٦٨ هـ.

(٢) قال الإمام الشيرازي: هو شيعي ولدني، كان من الأتباع الراسخين في العلم أهل الإصناف والأدب في أولاد الفقهاء، وقد ذك كنه بعد الشاوي.. وانظر: الطبقات الكبرى (١٢٠٢).

(٣) هو شمس الدين محمد السروي المشهور بابي أبي الخمائل، قال الشاوي في طبعته: العارف الكبير المكمل البيت الجامع الشامل راهد قطف كروم الكرامات وعارف وصل إلى أعلى المقامات، كان طويلاً عظيماً في الولاية ومصحاً وملاًداً لطالب الهداية، وكان على أكمة كبير الطير من بلد لآخر، وكان يهلب عليه الحال بلاءً فيتكلم بالسنة غير عربية: من عجم وهد وبونه وغيرها. وربما قال: قال في طول الليل ويرعق ويحاطب قوماً لا يرون، وإذا قال شيئاً في علة الحال بعد، وكان متيناً بالأدى من روجه مع قدرته على إهلاكها، وربما أدخل فقيراً الخلو فتخرجته قبل تمام المنية، ويقول له قال لك فلان أنا ما أعمل نسخاً فلا تكلم، وقدم مصر فسكن الروبة الحمراء ثم رابطة إبراهيم المنواهي ومها مات. ومن كراماته أنه شكا به أهل بلد كبير القار في مقامات صحيح. فقال لرجل ياد في الخط، رسم لك محمد بن أبي الخمائل أن ترحلوا، فم يبق فيها قار، فسأله أهل بلد آخر في ذلك، فقال الأصل الإذن ولم يفعل. وكان إذا اشتد به الحال في محسب الذكر يحمل لرجلين وأكثر، ويحمل البعير الذي يسع ثلاثة فطير ويجري بهنك. قال مشهوراً: نفسي الذكر وأنا صغير سه انتي عشرة وتسعمائة، ومات بمصر في ٩٣٢ هـ، ودفن بروسته بن السورين. وانظر: شذرات الذهب (١٨٧٠٨)، والكواكب الدرية للشاوي (٨٤٦).

قال: وإن كاد ولا بدُّ له من تسليكهم فليُنصَحهم بقوله: كان والدكم يري المريدين بكفا وكفا، فلعلهم يصفوا إلى قول والدكم.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مدعي الطريق من أولاد مشايخ عصرِكَ تعرف حالهم، ولا تسرَّ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم أن يدخل في الطريق على يد شيخ أن يسأل من فصل شيعة أن يذكر له ما يحب على المريد إذا دخل في صيغة الشيخ؛ ليعرض ذلك على نفسه؛ خوفاً من الدخول في صعبته بالجهل فيسرع إليه العطب.

وهذا من باب التعظيم لطريق أهل الله، والاحتياط لنفسه، ويؤيد ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ((يا رسول الله. ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: من حق الزوج على المرأة أن لو سال من مخزوه دم وفيح فليحسته بلسانها لم تؤذ حقه...))، إلى آخر ما قال ﷺ، فقالت: ((والذي بعثك بالحق نبيا لا أتروح ما بهت الدنيا^(١))). انتهى.

فمن شرط الشيخ على المريد: أن يعتقد فيه أنه عارف بالكتاب والسنة، عارف بميران الخواطر النفسية والشيطانية والملكية والرحمانية، عارف بالأصل الذي تبعث منه هذه الخواطر من حصرات الأساء الإغية، عارف بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة، عارف بأمركة المريدين؛ لعطي كل إنسان من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه، عارف بالعلائق الخارجة عن أعمال الطريق، كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوج، والأمال والرئاسة، له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أفعال الشياطين وأيدي العوائق بواسطة رغبة المريد في طريق الله، وإلا فلا يقدر شيخ على استخلاصه من يد من ذكر أبقا، ولو كان من أكرم الأولياء.

فإذا سمع مريد بهذه الصفات، وعرضها على أحد من مشايخ عصره فوجدتها مجموعة فيه وجب عليه الانقياد له، والعمل بكل ما يأمره به بإسراع صدر، ولو شق ذلك عليه.

ومأمورات الشيخ لا تنحصر، ولكن يذكر للمريد منها طرفاً صالحاً تأييداً له، ونعلم أن الشيخ لم يبتدع له ما حذر عليه، وإنما هو تابع في ذلك أشباح الطريق الذين سقوا، ولو أن الشيخ ترك ذلك ورحص للمريد لعصى ربه وتخطى، وكان من جملة العاشقين في

(١) رَوَاهُ الطَّرِيقِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢٥٩/٨) بِحَوَاهِ.

الطريق.

إذا علمت ذلك:

فمن شروط الشيخ الذي يجب عليه أن يأمر بها المريد أو ينهيه: ألا يتركه يرح من منزله أو زيارته إلا لضرورة أو حاجة يوجهه فيها.

ومن شروطه: أن يعاقب للمريد على كل هموة تصدر منه ولو سهواً ونسباً، ولا سبل إلى الصفح عنه في ربه وقع فيها البتة، وإن وقع أنه صفح فهو (إمام غافل) لرعيته غير قائم بحرمة ربه، محل بحق التهام الذي هو فيه، وقد قال عليه السلام : ((من أهدى لنا صفحته القنا عليه الحدود^(١))).

وكان يهجر على الكدبة الواحدة الشهرين أو الثلاثة نصحاً لذلك الكاذب، ونصرة لشريعة ربه عليه السلام .

ومما يجب على الشيخ أيضاً: أن يشترط على المريد ألا يكتفه شيئاً مما يحظر له في نفسه ويستقر فيها، أو شيئاً يظراً عليه في حاله، ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب كلها والعقاقير ويعرف تركيبة الأدوية فهو ممن يسرع بهلاك المريض، فإن العلم من غير معرفة العين لا يقصد، فلا بد من معرفة التمييز، ألا ترى أنه لو كان للأعشاب عرص في إهلاك المريض، وقلته الطبيب في تلك الأعشاب من غير أن يعرفها من خارج ووضعها للمريض أهلكه، وأثم الطبيب والأعشاب؛ فإنه كان من الواجب على الطبيب ألا يداوي المريض إلا بما يعرف عيبه وشخصه، وكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب دوق، وأخذ الطريق من بطون الكتب وأمواء الرجال: وحسب يربي بذلك المريدين طلباً للرياسة فهو مهلك لمن تبعه؛ لجهله بمورد الطالب وصدوره.

وقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدر لمشيخته إلا أن يكون عنده دين الأسياء وتدريب الأقطاء وسياسة الملوك، وحسب يصح أن يقال له: أستاذ.

ومما يجب على الشيخ أيضاً: الخاسية للمريد على أنفاسه وحركاته، والمبالغة في التعصيق عنه على قدر صدقه في أناعه، فإن طريق القوم طريق شدة، ليس للرحاء والترحص فيها مدخل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فما جعل الله تعالى وصوح السبل إلا بعد المجاهدة، وحسب يكون السلوك عليها وهو سفر بالأرواح،

(١) ذكره ابن حجر في تلخيص الخير (٦٦/٤).

والسفر قطعة من العذاب، فلا يزال السائل في عذابٍ ونعْبٍ حتى يلقى ربه ^٧، وإن نظر إلى مقاومة نفسه من شهوات الدنيا عُدْب، وإن نظر إلى عدم نقاء ربه عُدْب، فأين الراحة؟

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من أمرٍ مشروعٍ منصبٍ فاشرع في أمرٍ آخرٍ، ولا تترك الاشتغال بما يقرئك إليها لحظة واحدة، رغبة في وصولك إلى حصرتنا الخاصة بك، فأمره تعالى بمداومة السفر من غير فتورٍ عن ذلك، فافهم ذلك.

ومما يجب على الشيخ: زجر المرید إذا مارعه في مهمٍ مسأله، بل إخراجه برجله من الحلقة وطرده؛ لأن علوم أهل الطريق لا تقبل المصارعة كطريق غيرهم؛ فلها وراثه نبویه، فلا تُذكر إلا للمؤمنين بها، وقد كان النبي ﷺ يقول إذا تنورع عنده: ((لا ينبغي عندي التنازع^(١))). انتهى.

وإيضاح ذلك أن المعارف الإلهية والإشارات النطقية الربانية خارجة عن المدارك: أي من حيث كون العقول باطرة وباحثة، لا من حيث كونها قائمة، فلم يبق فيها إلا الكشف الصحيح؛ لأنه إحصاء عن حقائق الأشياء كما هي عليه في نفسها، فهو كالصريح الصريح، ومن كان بخير عما يعمى ويشاهد فلا يحور للسامع أن يمارعه فيما أنى به، بل يجب عليه التصديق إن كان مریداً، أو التسليم إن كان أجنبياً.

وقد أجمع الشيوخ على أنه لا ينبغي للمرید أن يتكلم بأحوال الطريق إلا فيما شاهده وعامه، وأن الصمت عليه في حصرة شبحه واجب، والكلام عليه حرام، والنظر عليه في الأدنة والمعارضة لكلام شبحه محذور، وكل شبح ترك مریده يبحث ويستدل عليه فهو ساع في هلاكه وحجابه وطرده عن حضرة ربه.

فالأولى بالتشبح إذا رأى المرید يجمع إلى استعمال عقله بالنظريات أن يطرده حضرة؛ لتلا يمسد عليه نفقة أصحابه، فإن المریدين لله تعالى حور مقصورات في حيام شبحهم.

واعلم يا أخي أن طريق الصوفية هو الصراط المستقيم، وهو أجل الطرق وأساسها، وإن الطرق تشرق وتنصح بحسب غايتها، وهذا الطريق غايته معرفة الحق حل وعلا، ومعرفة الآداب المتعلقة بحضرته، ومعلوم أن معرفة الحق أشرف العلوم، كما أن معرفتها أشرف وأعر في الوجود، ولذلك كان الطريق إلى معرفته أشرف الطرق وأفضلها، وكان

(١) رواه البخاري (٥٤/١).

الشيخ الدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم، والساكنون إليه أسعد السالكين وأحباهم، فسعي نكل من يصح نفسه ألا يسلك من الطرق سوى هذا الطريق؛ لارتباطه بالسعادة الأبدية، فإنه حارٍ لعلم الشريعة والحقيقة، والعارف به هو الحقيق بمقام الشياخة والوراثة السوية الكاملة، ومن حصل فيه قبل له: الشيخ والوارث والأسناد إن كان تابعا، والتي إن كان في زمن النبوة.

وقد جعل الله تعالى جبريل نبيًا في صورة مقام الأسناد للأسياء؛ تعليمًا لنا، وإرشادًا لاتخاذنا الوسطة بيننا وبين الله تعالى، ولا يفتن بما يلقبه الله تعالى إلى فلو ما من الوجه الخاص الذي بيننا وبين ربنا، فكان الأسياء في مقام المتعلمين من أشياخهم، وأشيائنا في مقام المتعلمين من سينا محمد ﷺ، فهو الشيخ الحقيق لنا ولأشيائنا، ونحن حبيبا تلامذته ﷺ.

ثم اعلم يا أخي أن هذا الطريق لما كان في مقام العزة والشرف حفت به الأفات من سائر الحيات، فلا يسلكه إلا شجاع مقدام على يد شيخ علام، وحيد نفع العائدة. فعلى الشيخ أن يوفي حق تربيته، وعلى التريد أن يوفي حق طريفته بالسمع والطاعة، وليس مقام الشيوخة هو العاية، بل الشيخ هو مصه انخائب للتريد من ربه على الدوام. قال الله تبارك وتعالى لأشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ أي بك لا بزيادة الأحكام الشكلية، فافهم وتأدب مع شيخك؛ فإنه نائب رسول الله ﷺ في هداية الأمة إلى الطريق التي جاء بها ﷺ، فيوظف المؤمنين من بومة الجهالة، وينقدهم من شقاء صفات الخمرة السارية التي هم عليها.

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، والقرب على نوعين: قربًا طيبًا، وقربًا دينيًا، والمعتبر في الشرع القرب الديني.

قال ﷺ: ((لا يتوارث أهل ملتين^(١)))، فنولا الدين ما ورت صاحب قرابة الطين شيئا.

ثم لما كان الناس في الدين على حالين: مدعٍ وصادق، وطالب للأخرة، وحائب لله، انتدب الخصوبة الناصحون للأمة، وبنوا المريدين ما في المقام من العلل، وبنوا لهم أن القرابة الصورية الطيبة لا عمرة بها، وإنما النافع لهم الجمع بين القرابة انصورية والحقيقة، يعمل أحدهم بالشريعة على وجه الحقيقة؛ ليخرج عن المأى، ويكون صيره مطابقا

(١) رواه أبو داود (١٧٥/٣)، والترمذي (٤٢٤/٤)، والنسائي (٨٢/٤).

لأنما له الظاهرة في الإيمان واليقين.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

المبادرة إلى امتثال أمر شيخهم أو بهيه، فإن أدن أحدهم أن يأكل طعام الفقراء في
الراوية فعل، وإن نهاه عن ذلك فليس له أن يأكل منه ولو سرّاً سواء كان ذلك في راوية
وقف، أو كان الفقراء فيها على ما يمتنع الله تعالى عنهم به، وإن نهاه عن الاجتماع بأحد
من فقراء الراوية أو غيره فليس له الاجتماع به لا سرّاً ولا جهراً، وإن حجه عن محاسبته
وجب عليه الانشراح لذلك.

وقد أجمعوا على أنه لا يسعى للشيخ إن حالس تلامذته إلا لمصلحة يعود نفعها
عليهم، ومتى تركهم يجلسون معه بغير ضرورة فقد أساء في حقهم.
وكان سيدي يوسف العجمي لا يجالس أصحابه إلا لنمافشة والتربية أو في قراءة
الورد، وما عدا ذلك فلا يجتمع بهم، وكذلك بعضا عن سيدي أحمد الراهد، وسيدي
مدين، وسيدي محمد الغمري وغيرهم.

فالشيخ فيما هو بضدّه، والمريد فيما أمره به شيخه، وإذا مع الشيخ المريد من
القرب منه في الليل وجب عليه الامتثال، ولا يجوز له التجسس على شيء من حركاته
وسكناته، من أكل أو نوم أو طهارة أو صلاة أو غير ذلك؛ لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ
عنده إذا وقف على بعض أحواله، وذلك لجهله بأحوال الكمل، ومتى هجر الشيخ المريد
ولو بلا سبب فتكدر المريد من ذلك فقد خرج عن الطاعة، وإذا خرج عن الطاعة فقد
خرج عن الطريق.

فاعرض يا أخي هذا خلق على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمالهم الأذى في حق أنفسهم، دون احتمالهم ذلك في حق غيرهم من المسلمين،
فإذا آذاهم شخصٌ وبالغ في إبدائهم احتملوها، ولم يصالحوه إلا لمرصٍّ صحيح شرعيٍّ،
كأن يريد حمايته من الوقوع في الإثم، أو عدم تأدي إخوانك من الأذى، فإن من يحبك لا
يكاد يحتمل ذلك ولا تقيضك بين الناس، فمن ابتغى شخصٌ يقضه في المجالس، ويتأذى
أصحابه بذلك فليسعي في مصالحته، دفع أذى عن المجلس له لا يصبره لنفسه.

ثم إذا بلغ مبلغ الرجال فحينئذ يصبر يرد عن نفسه من حيث أنها أمة الله، وهي وديعة له عنده، ولا حرج عليه في ذلك، بل هو مأمور به، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((الأخلاق الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما قررناه في هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم عوناً لشيخه على ما يريد من جميع نظام الذكر ومجلس العلم والمناقشة، وأن يحت كل واحد أخاه على المواظبة على الحضور، ولا يهمل أحدهم ذلك وقتاً واحداً، وإذا كان له ذلك اليوم حاجة خارج الراوية مثلاً فليحصلها قبل وقت مجلس الذكر. ولا يترك الذكر ويسعى في تحصيلها؛ فإن ذلك معدود من جملة مقت الله تعالى للعد، بل عد ذلك بعضهم من أكبر المقت، وقالوا: ما قدم عبدٌ أمر الدنيا على الآخرة إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ، فليحذر المريد من تعكيس مجلس الذكر في الراوية، أو يرسل أحداً من الأولاد الخاضعين في المجلس في حاجة، ويترك مجلس الذكر إلا أن تكون الحاجة تتعلق بعامة الفقراء لتحصيل الطعام، وألة الطبخ لمطبخ الفقراء، ونحو ذلك.

أما الحاجة الخاصة لأحد الفقراء فلا يسفي إرسال أحد المخاضين أو غيرهم في حالة المجلس لحاجة إلا بإذن الشيخ، والله إني لأرى المقت يلوح على الفقير إذا ترك مجلس الذكر وخرج لشيء من أمور الدنيا، وربما اضط على الخروج من المجلس فاستحكم المقت فيه إلى أن يموت.

سأل الله النعم والعافية، فاعرض يا أخي ما قررته لك في هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخوف على شيخهم من كل شيء يقص مقامه، لا سيما في المأكل والملابس، فإذا أرسل الشيخ أحدهم في حاجة بيع أو شراء فليحذر من البيع والشراء من يقع في الربا أو القمار، أو يغش في صنعه أو حرفته.

فإن شيخه إذا أكل من ذلك الطعام، أو نبس من ذلك اللباس الذي لا يتحذر صاحبه من الشبهات، نقص مقامه وحجبه عن طريق القوم، وإذا خُص عن طريقهم انقطع إمداده للمريد وحرم البيع منه، فإذا رجحت مفعة على الشيخ إلى مفعة المريد، فإذا

أطعم شيخه شبهات فقد ضُرَّ بحاله وحال شيخه، فيحتاج من يشتري الخاحه للشيخ أن يكون له الإشراف على مقامه ليشترى له ما ياسب مقامه في الأكل أو النسي، وإلا أظعم الشيخ الحرام المحض.

فإن الحلال بالنسبة لقوم ربما يكون حراماً بالنسبة لمقام قوم آخرين من باب حساسات الأبرار سيئات القريون.

وقالوا: ينبغي للمريد إذا اشترى لشيخه ألا يطلب من المائع مساعدة الشيخ بشيء من المشتري، فيجعل له المنة على الشيخ.

فإن مهمت ذلك عرفت معنى قوله تعالى محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُصَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]: أي لأن أكثر من في الأرض لم يصلوا إلى مقامك ولو شرفوا عليك، فلا بأمرؤك إلا بفعل ما هو بارئ عن مقامك الأسى، وإذا أظعنهم في ذلك فقد أضوك عن مقامك الاتق بك ضرورة المكى عه بسبيل الله: أي الخاص بك الذي لا يصل إليه غيرك، بخلاف طاعته ﷺ.

فاخووس الذين أشرفوا على مقامه المشار إليهم بغير الأكثر فيهم ربما يكونوا يصلوا ﷺ عن مقامه الكرم، فعلم أنه ليس المراد بالإصلا عن سبيل الله ما يخالف الهدى كضلال الكماره لأنه ﷺ معصوم عن مثل ذلك بالإحصاء، وإنما المراد ضلال عن فعل ما هو الأولى في حقه ﷺ ونحو ذلك.

وهذا الضلال هو المراد أيضاً بقوله تعالى لداود ﷺ: ﴿وَلَا تَقْبَلِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]: أي سبيل الله الخاص بمقامك أنت فقط، ولا فهو ﷺ معصوم كذلك عن الضلال المشهور بين العامة.

وبالحملة: فلا يسعى أن يتكلم عن أحوال الأنبياء في تأديبات أخى لهم إلا من حق له قدم الوراثة، وإلا يخاف عليه الخطأ، وهذا اندي ذكرناه من الجواب من جملة العلم الموروث عن سينا وعن داود ﷺ، وهو طريق واضح لا إشكال فيه.

فعلم أن كل من ادعى محبة الطريق ولم يحف على شيخه مما ينقص مقامه فهو كذاب على الطريق.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعى الصادق من مريدي عصره نعرف حاله على ما ذكرناه، ولعل ذلك أتمنى الذي لم يخطر على باله جملة، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحوالهم:

أن يفرح أحدهم بحفاء شيخه له، لاسيما إن أمر القريب ألا يعطيه من حبر الراوية وضامهم، ومنى تكدر من ذلك في سره فقد نقص عهده مع الشيخ، وخرج عن سياج طاعته، ووجب عليه تجديد العهد ثانياً كما أجمع عليه مشايخ الطريق، ويكون على علم الإخوان، حفظهم الله ولطف بهم.

إن الشيخ من مرتبته ألا يدخل تحت تعجير المريد عنه، كما أن من مرتبته ألا يفعل بالمريد إلا ما هو الأصلح له، مما منع الشيخ القريب أن يصرف لذلك السريد خيراً أو طعاماً إلا مصبحة له، يبري له اليقين، ويبعده عن الاهتمام بالرق، والركون إلى الأسباب، كما يفعل أهل الاهتمام مع رهبهم، وقد أجمع القوم على أن من المحال أن يبري للمريد يقين وشيخه يقين عبه ويطعمه من سباط راويته، وإما يبري انيقين للمريد بحرمانه من الأكل من كل معلوم، وجلسه في كل موضع لا يعرفه فيه أحد، كاخرايت البعيدة عن طرق الناس من غير اصطحاب طعام أو نقد، ثم يأمره الشيخ بالذكر على وجه الإحلاص، ولحمده الشيخ بالهمة لا بالكلام؛ لأن ذلك يضر بالمريد.

فإن فعده المريد كذلك لا بد أن يفتح الله تعالى عليه بشيء يؤكل، أو بريادة اليقين وزوال الاهتمام بالطعام كما جرب.

قلت: وقد وقع لي مثل ذلك في بدايتي، فكنت أجلس في البرج الذي فوق السور بالقرب من باب الفتوح بمصر المحروسة، حتى فاجئني اليقين، وسفني إلى ذلك سيدي محمد بن عثمان^(١)، وسيدي حسن العراقي، المدفون فوق الكوم المطبل على بركة الرطبي، فجلس كل واحد منهما في موضع حراب لا يمر به أحد، فسخر الله له الدنيا في صورة امرأة عجور، تأتيه كل يوم بصحفة طعام ورعيف، فكانا يعرفان أنها الدنيا، وبأخذنا ذلك الطعام من الله لا من الكون. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على مرهدي رمانك تعرف حاجهم، ولا تسب نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) قال الشيخ المصنف عنه: كان الله من الرفاد العناد، وما كنت آمنه وأحواله إلا بطاوس يميني أو سجد الثوري. وما رأيت في عصرنا مثله، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عدة صاروا كالأضفاد في حشر مربيهم، كان عسى فده في العبادة والصيام وقيام الليل من حين السبوح، كان يصوب به المنل في قيام الليل وفي العلة والنصيانة وانظر 'الضمائم الكبرى' (٢ ١٠٧).

ومن أحوالهم:

إذا أحس أحدهم علامات الكمال النسبي العادي في مقامات الطريق ألا يطمع بصير أحدهم إلى وقع الإذن من شيعه. بل يحب عليه الصبر حتى يكون شيعه هو البادي له بذلك، ومنى طمع بصره لي الإذن من شيعه فقد مكس على عقبه، وربما رجع إلى حالة هي أدنى وأردل من حالته التي كان عليها قبل دخوله الطريق عقوبة به. فإن المريد كلما قرب من الحصره الإلهية كأنما يوقش، كما أنه إذا أبعد عنها سومح. والقاعدة: أن كل من عظمت مرتبته كبرت صغيرته.

وقد سمعت سيدي علماً المرحومي رحمه الله يقول: من نعم الله تعالى عليّ لما قرب أوان نظامي أن عسي لم تحدثني لفظ بأيّ استحق الإذن لي من شيعي. ولذلك جراتي الله تعالى بالإذن من شيعي ابتداءً على لسان رسول الله ﷺ، ثم جاء الإذن له من ربه عن طريق الإلهام، وقال لي: يا علي، ما أدت لك إلا بأمر من رسول الله ﷺ، ويأذن من الله ﷻ.

قال: ولما مات سيدي شيعي محمد ابن أخت سيدي مدين^(١) تطاول جميع أصحابه للجلوس في مصر لإرشاد المريد، وكنت عائناً في بواحي البلاد، فأرسل الإخوان يشاوروني في ذلك.

فقلت: يجلس كل من معه إذن من الشيخ، وكل من ثبته الله تعالى ثبت، فجلسوا كلهم، ولم يثبت في مصر منهم إلا واحد، والباقي أحوال له. انتهى.

فكان الشيخ ﷺ هو الذي ثبت في مصر، وانتفع به أساس، فعلم أن الشيخ لا يحتاج إلى تنبيه عنى الإذن لمريده إذا أكمل حاله واستحق الإعظام؛ لأنه يعلم أن الواجب عليه إذا رأى المريد قد استقل بحاله كملت تربيته. ودخل أوان نظامه، وأتاه الإذن له من رسول الله ﷺ، أو من ربه ﷻ من طريق الإلهام أن يأذن له، ويقطع عنه الإمداد من جهته، ويتركه مع ربه إن شاء أقعده، ولا حكم للشيخ بعد ذلك عليه.

قالوا: ولا يسع المريد إذا ساءل شيعه في المقام أو جاوره إلا اتأدب معه واحترامه دون الاقتداء به.

(١) هو الشيخ ابن عبد الدائم المديني، كانت له مجاهدات عظيمة، وظهر صدقه مع تلامذته، وتربى عنه العارف بالله السروي، والشيخ عين المران، والمرصفي، وكان ذا همة وشكل مهين، وقد أحبل عليه القوم، فطردهم عن طريق القلب، وصار يخرج وحده إلى السوق ليشتري حاجته بنفسه، ويحمل الخبر إلى القرن بنفسه ويظلم عنه إلى أن مات، ودفن بجوار سيدي مدين.

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله: والذي حناره العاء على الاثناء به حتى يموت شيخه، كما أنه إذا مات شيخه قبل أن يكمله بحب عليه أن يتخذ له شيخاً آخر، ولا يقل: ما بقي أحد يعجني مثل شيعي، كما عليه غالب من يدعي الطريق من المريدين، فإن ذلك من صفات اليهود، فإنهم قالوا: ما بقي أحد مثل موسى، ولا يأتي لما أحد مثله، فأدركوا زمن محمد ﷺ الذي هو أعلى مقاماً من موسى بالإجماع، فلم ينفعوا به، فاعوا بالخسران المبين في الدنيا والآخرة. انتهى.

وهذا الأمر قد كثر في مريدي هذا الزمان، يموت شيخهم قبل قطامه لهم، فلا يفتادون لأحد بعده ولو كان أعلى مقاماً من شيخهم. فاعلم ذلك، وإياك أن تتكدر ممن قال لك بعد شيخك: تكون تلميذاً لفلان، وتقول: إن فلاناً لم يعرف مقامي، ومن يصحك بحسب مقامه فلا تلوم عليه، بل ذلك واجب عليه، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يلزم أحدهم على فعل ما أدل له فيه شيخه، وأمره به من الأوراد، كحضور مجلس الذكر صباحاً ومساءً، أو ذكره وحده في الراوية ليلاً ومهارة، ولا يتوقف على حضور الشيخ مجلس الذكر صباحاً ومساءً في الراوية؛ لأن ذكر الشيخ صار قلبياً، وبأطول ما لارم الذكر صباحاً ومساءً مع الفقراء في المجلس أيام بدايته. حتى أعطاه الله تعالى حياة القلب، واستغنى عن حضور مثل ذلك المجلس بالذكر القسي. ومن قال: لا أوطب على مجلس الذكر إلا إن واطب عليه شيعي فهو أعمى القلب، سيء الأدب مع شيخه.

وقد من الله على جماعة يسمعون ذكر الله ﷻ صباحاً ومساءً، ولا يحوجون إلى الحضور معهم، رضي الله تعالى عنهم، وربما تلمحت من بعضهم كسلاً إن لم أخرج إليهم، فأتكلف بالخروج إليهم تقوية لهممهم، وربما كنت تلك الليلة سهراناً إلى الصباح، فأصعب في المجلس عجزاً عن الجلوس ولا أنتخلف عنهم، فرصي الله عمن لم يحوج شيخه إلى ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

سبان أحدهم العناء أو العشاء أيام بدايته؛ لشدة اشتغاله بالله ﷻ، وكل مريد تذكر عناه أو عشاء إذا مات وقته في العادة فلا يرجى منه شيء في الطريق، وكذلك كل من وجد عهده فراغاً للذهاب إلى مواضع السرعات كالبحر والبساتين فلا يجيء منه شيء.

وخفي عن أبي بكر الشبلي ^(١) أنه كان يقول: مكنت ستة أيام بدائي لا أتذكر غداء ولا عشاء إلا إن أحضروه بين يدي، وربما غفلوا عني جمعة كاملة، فلا أتذكر أكلاً ولا شرباً.

فاعرض يا أحي هذا الأمر على مريدي زمانك، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

صرهم على الجوع اختياراً أو اضطراراً كأيام العلاء أو القحط، بأن يصير أحدهم يأكل فوق أكله المعتاد ولا يشبع.

كما ورد في الحديث: ((إذا أراد الله بقوم قحطاً نادى مناد من السماء: يا أمعاني اسمي، ويا عين لا تشهي، ويا بركة ارتفعي ^(٢))). انتهى.

فهذا هو القحط، وربما أكل الواحد طعام عشرة ولم يشبع.

قال سيدي علي الخواص رحمه الله: وأصل مشأ علاء الأقوات والقحط ككرة عملة

(١) هو الولي الكامل المعروف بالله تعالى أبو بكر بن دلف بن جحدر الشبلي. وقيل: اسمه جعفر ابن يوسف كما حكاه الشيخ السلمي، كان إمام أهل الورع والأحوال، كان والده سهاويد والنصره، صاحب الشيخ الجيد والصالح والصفي، وصار أواحد وقته عملاً وحلاً، تفقه على مذهب الإمام مالك، وكتب حديثاً كثيراً، وكان يأخذه الوباء ويرد في أوقات الصلاة حتى لا يموت شيئاً مما يوجد عليه من التكليف، فإذا فرغ من صلاته أخذه الوباء مرة أخرى، وله كلام كثيراً، منه: سبو طرفة عين عن الله لأهل المعصية شرك. وقال: التصوف صط حواسك ومراعاة أماسك.

وسئل عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]، فقال: الرحمن لم يزل والعرش محلت، والعرش بالرحمن استوى. وقال: من عرف الله لا يكون له غم.

وسئل: من أقرب أصحابك إليك؟ فقال: المحبهم يذكر الله، وأسرعهم مبادرة لرصاه.

وله أقوال كثيرة تدق على حقول أمثالنا.

قال عنه سيد الطائفة قلنس سره: أنا أتكلم بهذا العلم في السرايب والبيوت خيفة، وما جاء الشبلي تكلم بهذا العلم على المنابر، وأظهره بين الخلفاء.

ونوفي قلنس سره سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ودنس بقرة الخيران، وقيل له عبد السراج قل: لا إله إلا الله، فقال:

إن بيئنا أنا ساكنه غير محتاج في السراج

(٢) ذكره النقي الهندي في الكسر (١٤١٨/٧)، وقال: رواه ابن السحر في تاريخه عن أس، وقال الشيخ السبوي في مبص القدير (١، ٢٦٨): وهو مما يبيّن له التدبسي في الفردوس لعدم وقوفه على منده.

الحلف عن رهم، وارتكابهم المعاصي، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

فاعلم أن من ادّعى عدم العفة، وعدم ارتكابه المعاصي، وحصل له علاء أو فحط، فهو غير صادق، ويتفاوت الناس في ذلك قلة وكثرة، وربما كان سبب ذلك الاستهانة بالعبادة، أو بعير سبب امتحاننا من الله ﷻ لعباده، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة اعتنائهم بالعمل بصريح السُّنة الواردة أكثر من اعتنائهم بالأُمور المستنبطة إلا أن جمع عليهما.

وكذلك من أخلاقهم: شدة اعتنائهم بالعمل بكلام المجتهدين أكثر من اعتنائهم بكلام المقلدين، كما درج عليه السلف الصالح في حال بدايتهم، وهذا أمر قد أعمله غالب التمشيخين في هذا الزمان فضلاً عن المريدين، فترى أحدهم يواطىء على قراءة ورد اخترعه مثلاً أكثر من موافقته على ما ورد في السُّنة في عمل اليوم والليلة، وهو جهلٌ منهم، وأين إمداد أحدهم من إمداد الشارع ﷺ؟! وأين المنع من المبتدع؟! فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تكرار قراءة القرآن ومحفوطاتهم في علوم الشريعة، ولا يشتغلون عنها بالأوراد مثلاً حتى يسوها، كما عليه بعض الحيلة من المريدين، فإن كسب العقه جامعة لأحكام القرآن الطاهرة والباطنة، ومن سبها فكأنه سبي القرآن، فعليه من الإثم كما على من نسي القرآن وإن تفاوت المقام، ثم إن على شيع هذا المريد اللوم أكثر من المريد؛ لكونه أهمله حتى نسي العلم والقرآن.

وقد ذكر الشيخ العارف بالله تعالى أبو المواهب الشاذلي أنه اشتغل بالذكر أيام بدايته حتى نسي غالب القرآن.

فراى رسول الله ﷺ وقال له: ((يا محمد، تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريدائك هذه! ^(١))).

فقال: من تلك الواقعة رنت لي كل يوم عشرة أحزاب، وكررت محفوطاتي في العلم التي كنت نسيها، انتهى.

(١) هذا حديث كشمي صحيح.

ثم لم يرل على ذلك حتى مات، كما أخبره بذلك حميد الشيخ علي رحمه الله تعالى.
فاعلم يا أخي ذلك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

تصدقهم بالثوب الذي كان عليهم وقت المعصية، ثم يعتسبون ويتوبون ويلبسون، وإن كان أحدهم فقيراً لا يجد غير ذلك الثوب غسله ثم لبسه، وكذلك يحلقون الشعر الذي كان لهم حال المعصية، ويقصون أظفارهم، حتى أن بعضهم باع وصار يحلق لحيته كلما وقع في معصية.

ويقول: لو أمكسي تبدل أعصالي التي عصت لفارقتها. انتهى.
وهذا إن كان فيه تعظيم لله تعالى فائتباع السنة المحمدية أولى، فيستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنب من غير حيق خيته، فإن استدلّ عليها شخص بقوله ﷺ: «لم أسلم: ((ألقى عليك شعرك واحتق^(١))»)، وقال: إن شعر الكمر يعم اللحية، قلنا له: المراد بشعر الكمر الذي يؤمر لإزالته زمن الإسلام، كالعادة وتنف الإبط لا مطلق الشعر.

قال بعض المحققين: ولا ينبغي بس عصي الله أن يشارك ذلك المكان الذي عصي فيه حتى يطيع الله تعالى فيه، ولو يقول: (لا إله إلا الله) مرة واحدة، فكما كان يشهد عليه كذلك صار يشهد له.

وهو كلام حسن، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا نقصهم مقص أو يكونوا معه على أنفسهم، ويقولوا لها: إنما نقصك فلان بحق وصدق، فالواجب عليك أن تغفلي لما سهك عليه من الأمور التي تسخط الله تعالى عليك، واعلم أن كل مريد أجاب عن نفسه، وكره من نفسه، فهو مدّع كذاب، لا ينجي منه شيء في الطريق، وكيف يشعني الصادق وهو يكره من يطلب إيصاله إلى حضرة ربه، فإن كل نقص في العبد يعوقه عن السير إلى حضرة ربه محبوه، ولو لم يعلم هو به، وهذا المقص قد نه هذا المدّعي على التوبة مما يعوقه ليسير إلى حضرة ربه. مجراؤه شدة المحبة لا الكراهة له.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على كل مدّع للإرادة من أهل عصرك، تعرف صدقه أو كذبه، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه أبو داود (٩٨/٦)، وأحمد (٤١٥/٣).

ومن أخلاقهم:

ذكرهم لمسابب (خواصهم في المجالس)، والكف عن ذكر نقائصهم فيها؛ لأن ذلك يسحق الله ويسحق الإخوان، ويوجب الموت من الله تعالى ومن حقه، وذكر محاسن الناس يوجب رضا الله ورضا الخلق، والعامل لا يقع فيما يسحق الله عليه أبداً، وما بقي لمن يقع في أعراض الناس إلا أنه محو، والمحو لا يصح له سلوك الطريق حتى يبقى من جوده، وعلى هذا فلم يسلم من الحو إلا قليل من الناس، عديموا الترفي في العلوم والمعارف.

ولا يرال أحدهم يقرأ على العلماء ويتلمذ للفقراء حتى تشيب لحينه، ولا يبلغ درجة التدريس في العلم، ولا الإرشاد في الطريق، ثم إذا يوم القيامة تقاسم الناس حسناته في نظر ما سبق منه في حقهم من الثبوة، فمثلاً هذا خسر الدنيا والآخرة.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على من يدعي الصدق في الإرادة من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة محبتهم لكل من تتلمذ لشجته؛ لأنه أخوه من الرضا الرباني على يد شجته، من كره أخاه وشاحه بغير حق فلا يرفع له إلى السماء عمل ما دام مشاحاً له، كما صرحت به الأحاديث، وذلك كناية عن عصب الله تعالى عليه كما عصب على الكمار، وإن تفاوت الأمر في ذلك، وربما رثه الله تعالى بعد طول مجاهدته إلى أسفل من الحالة التي كان فيها قبل المجاهدة، وأحبط عمله.

فاعلم أن من ادعى الصدق في الإرادة وهو يكره أحدًا من إخوانه لحط نفس بهو كذاب، لا يفلح أبداً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غائب من يدعي صحبة المشايخ على الصدق تعدد يكره غائب إخوانه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إظهار كراهة من علموا أن شيوخهم يكرهه؛ تقليداً لشيوخهم، كما يقلد طالب العلم إمام مذهبه بما حرره بطريق الفهم من الشريعة، وإن لم يعرف لشيخه دليلاً فإن منصب الشيخ يحل أن يكره أحدًا من المسلمين بغير حق؛ ليرتبه عن خطوط النصوص عالياً، ثم كلاماً إما هو لي حق الشيخ الحقيقي الذي له قدم المشيخة لا المنمشيخين، كغالب من يرر في هذا الزمان، فإن الغالب عليهم الأعوان العسبة، وعلامتهم التكدير من بلعهم أنه يقصصهم بين المعتقدين بهم أن لو كان أحدهم من حق له قدم الولاية لفرح بكل من

ينقصه، ورأى أن ما نقصه الناس به لا يحسن عشر ما يعلمه هو من نفسه.
وقد أجمعوا على أن كل من أحب المدح كره الذم فيه، ومن كره الذم فيه فلا يستبعد
عليه كراهة إخوانه الذين نصحوه ولو بحق، فمثل هذا لا يجوز لمرید أن يقلده في كراهته
للناس، ويصير يكرهها تبعاً له.

فاعلم ذلك واعرض هذا الحال على الداعين للإرادة والمشجعة من أهل زمانك
تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسة إخوانهم في أموالهم، ثم يرون المنة في ذلك عليهم لإخوانهم
الذين قبلوا منهم، ومنى خطر في نفوسهم أن لهم منة على إخوانهم في ذلك خرجوا عن
مقام الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على المتمشحين من أهل عصرك، فضلاً عن المریدين
تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسة إخوانهم في حسناتهم في الدار الآخرة، ثم يرون المنة لهم عليهم
كذلك في قلوبهم لها، وهذا أمر يصل المرید إليه في بداية أمره، فليس هو بدرجة عظيمة؛
لأنه أول ما يدخل الطريق يتحلى به أن الله تعالى هو المعامل والمالك.
فلا يجد العبد لنفسه فعلاً ولا ملكاً، بمعنى به على أحد من الخلق، وإنما المنة في ذلك
لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:
أنه يشكر الله الذي أصاف إليه شيئاً يعطيه لإخوانه، وكبر به من يسهم، فهو كالتوكيل
في مال سيد كريم، وليس له منك شيء مما يعطيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق والذي قبله على كل من يدعي محبتك، فإن سمح لك
بمقامتك له في ماله وحسناته فهو صادق، وإلا فهو كاذب، ولا تنس نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:
بغض أهل المعاصي ولو أحببهم واعتقدوهم إيثاراً بجناب الله تعالى، فإنه يكره
العصاة، وكيف يدعي مرید الله تعالى الصدق وهو يحب من يعصه ربه، وهذا الخلق قليل
وجوده في مریدی هذا الزمان، لاسيما إن أحسن ذلك المعاصي إليهم واعتقدهم بالهدايا،

فالصادق من أثر جباب الحق على جباب نفسه، وذلك ليؤثره الحق تعالى ويقدمه على أقرانه في مراتب القرب، وكل من أعز الله أعزه الله، ومن يهن الله فما له من مكرم. فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي زمانك، نحد أحدهم يشكر المحسن إليه ولو كان من شراب الخمر، ويدم من يصحبه في دينه ولو كان من أولياء الله تعالى، واحذر أن تنسى، واعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محتبهم لكل من يكرههم ويستعيهم أكثر من محتبهم لمن يحبهم ويذكرهم بخير، ويجب عليهم، ويشي عليهم من حيث الأثر في الآخرة، فإن من يكرههم وينقصهم يحكمهم الله تعالى في حسابه في الآخرة، ولا شك أن العبد أحوج إلى الحسان في الآخرة من مدحه ومحبه في دار الدنيا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الاهتمام بأمر عدوهم العاصي أكثر من اهتمامهم بأمر صديقهم الطائع؛ لأن صديقهم الطائع محفوظ من الآفات بظاعته، ولا كذلك العاصي، وما أعطى الله تعالى المقامات العالية لمن شاء من عباده إلا ليأخذ بيد العصاة المهالكين، ولذلك كان العارفون يوم القيامة إذا أدن الله لهم في الشعاعة فيمن كان يسيء إليهم، نيزلوا محله الذي يقع له سهم هناك حين يرى مقامهم عند الله، وصيبتهم معه من الإحسان صد ما كان قد فعله هو معهم في دار الدنيا، والله يجب المحسنين.

قلت: وقد سمعت سيدي علي الخواص عليه السلام يقول في العارفين:

إذا أعطوا مقام الشعاعة في أهل عصرهم إنما لم يكونوا يبدون في الشعاعة، إن أحسن إليهم المحسن محفوظ بإحسانه من الآفات.

وليس عنده الكرب الذي عند المسيء العاصي. انتهى.

وهذا الخلق من أعظم أخلاق المريدين، فاعرض هذا على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمال الأذى من أعدائهم، وعدم التوجه إلى الله تعالى في الدعاء عليهم رضا بتقدير الله تعالى عليهم، وإد وقع منهم بوجه إلى الله تعالى في حق عدوهم وإنما يسألون الله تعالى

في اثوبة عليهم من وقوعهم في أذى المسلمين، أو انعمو عليهم إن كان قد سبق في علم الله تعالى عدم ثوبتهم من ذلك، ويحزنون عليهم أشد الحزن؛ لما جملهم الله تعالى عليه من الرحمة على العباد، واعلم أن كل مريد توجه إلى الله تعالى في هلاك من يوديه، أو روال بعثته من مالٍ أو عافية وبحو ذلك، فهو كاذب في دعوى الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على من يدعي الإرادة من أهل عصرك تعرف حاله. ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سمع أحدهم كلاماً يوهم الغيبة في أحد من المسلمين كأن سمع أحداً يقول: كسوه الليلة وأحدوه لبث الوالي، فلا يطلب معرفة مرجع الضمير إلى من يتكلم بل يعرض عن ذلك، إلا أن يكون ذلك نغصاً شرعياً؛ لأن التجسس على معرفة ذلك المكسوس يرجع إلى العبة منه بقياً. ربما يكون هذا المتجسس عدواً له، فيكون ذلك عنده أشد من صرب السيف فيه، بخلاف التجسس على أحوار الناس المحمودة، كما لو سمع إنساناً يقول: قام الليلة إلى الصباح يصلي، أو صائم الدهر.

قلنا: التجسس على مرجع الضمير لتعرف مقام ذلك الرجل لسأله الدعاء والصحة؛ لياخذ بيدنا في عرصات القيامة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر الذي ذكرناه عن مريدي زمانك نجد غالبهم يتجسس على عيوب الناس كما ذكرنا، ولا يكاد يعرض عن سؤاله عن مرجع الضمير في فوضم: كسوه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يروا نفوسهم أحببت من نفوس سائر الكتب وأرجس وأردل، فلا يتعبرون من عشرة غشت ولا حشاش ولا مدمى حمر، ولا غير ذلك، ويرون أن الله تعالى يغفر لهم دنوهم كلها إذا أدنوا، ومتى اعتقدوا في أحد من العصاة أنه مصر على معصيته فقد أساءوا به الظن، وأنشوا كل ذلك؛ ليكونوا من أهل التواضع لعناد الله ﷻ، وفي الحديث: ((لا يدخل الجنة أحد وفي قلبه مثقال ذرة من كبر)).

يعني عن أخيه المسلم، لا يدخل الجنة وفيه ذلك، فكذلك لا يدخل حصرة الله تعالى في دار الدنيا لا في صلاة ولا في غيرها، ومن هم كذلك فهو ملحق بالشياطين في معهم من دخول حصرة الله ﷻ، ومن هو من إخوان الشياطين فكيف يكون من المرئيين الطالبين لطريق الأنبياء والمرسلين.

وقد كان عطاء السلمي ^(١) لا يخدمه في بيته إلا المحشون، وإذا لاموه في ذلك يقول: والله إهم عندي لأطهر من نفسي، ومرادنا بالمحشون هم أصحاب الأبهة، وهي عليان يحصل في المقعدة من قسم الأمراض، ومعلوم أن الأمراض لا يحور إرداء أصحابها.

وقد جعل الحكماء لإزالة ذلك حقة، وهي أن تقع جلود السمك المملح القديد في ماء ثم يُعنى على النار بعد ثلاثة أيام، ويُحقن به المأبوت فتذهب عنه الأبهة بقدره الله تعالى. انتهى.

فإياك أن تعيب على أصحاب الأبهة فتنتي بلانهم، كما وقع ذلك لبعض إخواننا، فإن من عاب اتلي، وإنما الأدب أن يدعو لكل من اتلي من المسلمين برحمة في يديه أو دينه، بأن يعاينه الله منه من غير إزدراء له.

وإياك أن تحاب أصحاب الكتب إرداء لهم أو خوفاً على ناموسك بين الناس لا حياة من الله ^(٢) فإن ذلك نفاق، وربما كنت أنت مرتكبا في الناطل ما لو أظهرته لرجعت الناس ولم يجالسوك.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك معرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

دوام شهودهم الحق في أنفسهم على الدوام، أما في المعاصي فظاهر، وأما في الطاعات فكما فيها من النقص وترك الحضور والخشوع، ومرادنا الفسق اللعوي الذي هو مطلق الخروج عن السنة المحمدية، ولو في مأكله وملبسه وبومعه؛ لارتكاب المحرمات.

يقال: فسقت النواة: إذا خرجت من قشرها، وعلامة المتحلق بهذا الخلق ألا يتكبر من ناداه: يا فاسق، وبما قبل الدين، وبحو ذلك؛ لأنه صادق عبده، ومتى تكدر لم يشم لهذا الخلق والحق، بل من المتكبرين الذين لا يحبهم الله.

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله ^(٣) يقول: من أراد أن ينظر إلى فاسق مرأى

(١) قال المصنف: هو من علم عليه الحرف والحدود حتى مكث أربعين سنة على فراشه لا يقدر أن يقوم ولا أن يخرج من بيته، وكان يومئذ بالهضلة على فراشه، ورأى مرة النور وهو سحر فعشي عليه. وكان يكي الثلاثة أيام بياليه، لا يرقأ له دمع. وانظر: الطيمات الكبرى (١، ٤٠).

(٢) هو الإمام العلوي شيخ الإسلام أبو علي التميمي الشربوعي المروزي شيخ الحرم، قال فيه ابن مذكّر: الفضيل من أوزع الناس. ونقل الذهبي أيضاً: كان الفضيل بن عياض شاعراً بقطع

فليُنظر إليَّ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تسر نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عسيهم لئائهم باسمهم المهرود عن النكبة واللقب، ويكرهون بدائعهم باللقاب؛
لما يدخلها من الدنس، فإن شمس الدين أو سراج الدين لا يصح له أن يُلقب به إلا إن
كان شور على أهل الدين كلهم، كالشمس في صبح الدنيا، وأما كونه شمس دين نفسه أو
سراجها فلا يصح إلا بتأويل بعيد قولاً يحظر على بال المتكلم، فإن بداء الشخص باسمه
المهرود هو الصدق المحض، إلا لعرض شرعي كداء العالم أو الشيخ مثلاً: يا سيدي الشيخ،
فإن مثل ذلك لا بأس به.

وبالحكمة: فعلى العالم والشيخ تسميم نفسه، وعلى الطلبة والمريدين إجلاله كما جرى
عليه السلف الصالح.

وكلاما المتقدم إنما هو في حق الأقران من بعضهم بعضاً، والفرق أن العلماء
والصالحين عرفوا بعوسهم، فلا يحصل لهم إعجاب ولا كبر بدائعهم باللقاب والتكبي
بجلاف المريدين، وبحك الصدق في ذلك من العلماء والصالحين أن تتساوى عندهم
الألقاب والكنى، والبذاء باسمهم المهرود، ومتى رجح عندهم النداء بالكنى، فهم من قسم
المريدين الكذابين لا من قسم الأخيار الصادقين.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده الحسد لإخوانهم إذا حصل لهم إقبال من الشيخ أو أصحابه أو معارفه أو غيرهم؛
لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، كما ورد في الحديث، ومن كان معه

الطريق بن أبيورد ومرحوم، وكان سب توبته أنه عشق جاريته، فيها هو يرتقي المخلدات إليها إذ
مع ثانياً جلو ١٠٠ ألم بأن المذنب أمراً أن تحشع قلوبهم [خديده: ١٦]، فيما سمعها قاز، على يا
رب قد ن فرجع ماواه الليل إلى طربة، فإذا فيها سامة، فقال بعضهم: برجل، وقال بعضهم:
حتى يصح، فإن مضلاً على الطريق يقطع عنها، قال: مضرب رجاء: أما أسعى بالليل في
المعاصي وفؤم من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع: بهم أي قد
تبت إليك، وجعلت توبتي مفعورة البيت الحرام. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٣/٨).

نار تأكل حسناته أول فأول فكيف يدّعي محبة القرب من حضرة ربه ﷻ وهو يتعاطى أسباب النطر، فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العد عن حضرة ربه ﷻ، كما أن كلما تشر الحسنات من الطاعات يقرب العد بها، وهذا داء قد عمّ غالب المريدين في هذا الزمان، فعدموا بذلك الترقّي؛ لأن الحسود لا يسود.

فاعرض يا أخي هذا الحق على من يدّعي الصدق من المريدين في عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شهودهم بادئ الرأي إذا وسوس لهم إبليس بمعصية ومعلوها، أن ذلك من تقدير الله ﷻ بواسطة إبليس من حيث كونه آلة في ذلك، كما أن وسوسة إبليس لهم بالمعصية عن تقدير الله على إبليس. كذلك بواسطة المراح الذي ركه الله عليه، فلا يصيف أحدهم الوسوسة إلى إبليس، يقف معه في ذلك راعيًا أن إبليس مزيل هذه الدار تسع به أوساخ الدس، فإن ذلك معنود من الشرك الحقي بالله ﷻ، وما رأيت هذا الحق دائفًا من أهل عصري إلا القليل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فبكن قوله: (شيئا) يشمل شرك النفس وإبليس في العمل.

ومنى وقع أن بعضهم قال: يا رب اغفر لي؛ فإنك وعدت بالمعصية كل من لم يشرك بك شيئًا، وأنت تعلم أنني لم أشرك بك شيئًا، وإذا بالهاتف يقول: ولا يوم اللب، وكانوا قد قدموا بين يديه لنا ليشريه فأنى وقال: أخاف أن يصري، فأخذه الله بإصاصة العصر إلى اللب.

فاعلم ذلك، واعرض على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما داموا في هذه الدار ألا يروا أنهم صلحوا مع الله تعالى في حال من الأحوال، وذلك ليكون أحدهم منكس الرأس على الدوام حيًا من الله تعالى.

وقد كان السري السقطي رحمه الله يقول: مد ثلاثين سنة وأن أطى أن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى نطر السخط لسوء ما تعاطاه، وقد أحصى الأشياء على أن من لارم أهل الحصرة الإخية من الله على قلوبهم بالتدليل بين يدي الله ﷻ، وأنه لا يجتمع الإدلال على الله، والتقرب أبدًا إنما يكون الإدلال للمحجوبين عن مشاهدته.

وهذا الخلق يحل به قوم كثير حتى ربما ينسى بعضه بعينه إذا دعى بزوال العلاء، أو

بطول البقاء لأحد في ولايته، أو سرور المطر، أو طلوع الليل، ووقع ذلك أنه بدعائه، فذلك وهم كاذب، ومن أين له ذلك؟

بل كان مالك بن دينار لا يخرج في الاستسقاء إذا دُعي إليه، ويقول: إني أخاف أن تظفروا حجارة، أو تخرموا المطر بحضوري معكم، فَعَلِمَ أن كل من تَوَهَّم رضا الله عنه، وعمي عن شهود مساوئ نفسه فهو معرور، ومن علامة عروره تكديره ممن نقصه، ولو أنه عرف نفسه لرأى جميع ما نقصوه به من بعض صفاته، فكان لا يتكدر من ذلك. بل يشكر الله تعالى الذي لم يطلع الخلق على جميع مساوئه التي يخبئها عن الناس، ويحضرها ربه.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، واحمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة محبتهم لكل من بالغ في إيمانهم من حيث أنه كان سببا لحصول الثواب العظيم لهم، وإذا مات حرموا عليه أكثر من حرمهم على ولدهم وروحهم ودهاب ما هم؛ لأن الروح والنولد والمال قل أن يحصل للإنسان من محبتهم ثواب، بل هم إلى الفتن أقرب. وقد كان سدي علي الخواص رحمه الله يقول: من كان له عدو يؤديه فليخرج به، وليحس إليه، فإنه أضع من أصدقاء هذا الزمان الذين يمدحونه ويحشونه ويداهونه، وكان إذا مات لهم عدو يحرر عليه أشد الحرر ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا بسببه الخير، رضا لله ونجح ورضا لرسوله ﷺ. فقلت له مرة: كيف ذلك؟ فقال: كان يؤدينا فحصله، ويكرمه من حيث أنه عبد الله، ومن حيث أنه من أمة محمد ﷺ، فحصل لنا الرضا من الله ورسوله إذا أطلع على قبولنا، إما ما احتملناه وأكرمناه إلا لأجل كونه عبده أو من أمة نبيه.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على المريدين من أهل عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنس نفسك، واحمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

نحمل هموم إخوانهم وجيرانهم من المسلمين إذا برل بهم هم، وعجزوا عن تحمله قياما بواجب حقهم، ولا يصحك أحدهم، ولا يتناول شيئا من شهوات المعوس ما دام بجيرانه وإخوانه المهم.

كان أحي الشيخ أفصل الدين إذا برل بأحد من المسلمين كرب في سائر أقطار

الأرض، يصير كائدي مات أمر أولاده، وذهب أكثر ماله، فلا يزال كذلك حتى يرتفع ذلك الكرب عملاً بقوله ﷺ: ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم^(١)))، رواه الطبراني.

ومن نحمل الإنسان هم أحبه أن يساعده فيما عليه من الديون، ويكف دينه عند الحس أو الترسيم، المهم إلا أن يكون ذلك الحس عقوبةً نه على دس عمله، أو تعاطيه شيئاً لا يلقى عليه به، كالذي يلتزم في تحليص خراج السلطان من أولاد الفقراء، أو يسلك طريق الأماء في صرب المسلمين وحسبهم، ويبيع هائمهم في الخراج بغير إدهم، فمثل هذا لا يسعى لأحد مساعدته حتى تأخذ العقوبة فيه حدها، وربما يسعى بعضهم في إخراجهم من الحس مثلاً قبل بلوغ العقوبة حدها، فاستغفبه بلاء من وجه آخر أشد من الأول، وما ثم ألمع لس كان في صبي من الاستغفار، ويذكر دونه التي فعلها طول عمره، والتوبة منها.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على أهل زمانك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

رجوعهم باللوم على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم، ولا يدعون على من ظلمهم، بل يروون الفصل لله تعالى الذي سلط عليهم ذلك الظالم ليكفر عنهم سيئاتهم، كما استحق النار فصول بالرماد، وذلك لأنه تعالى لا يُعذب ابتداءً وإنما يُعذب جرأً، كما حررت عليه به عادته تعالى في الدنيا.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

فاعلم أن كل مرید اشتغل بمقابلة من آذاه ولو باندعاء عليه فما عده من انصدق راحة؛ لأن من شأ المرید الصادق أن يشكر الله تعالى على كل ما قدر، ويستغفره من حيث كسبه لمعاصي وإن وقع نه ماحضة وعقوبة على دونه، لا يرى أن تلك الماحضة كفرت عن سيئاته كلها، وإنما كفرت البعض، وأنه يستحق زيادة العقوبة في الدنيا والآخرة، بل يصير هو يسأل زيادة العقوبة لنفسه إثار اجتاب الحق على نفسه، وتعجيلاً للتطهير، فمثل هذا عياناً على شهود أن أحداً ظلمه من الخلق، كما هو حال العاصي مع

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٢٢٠).

الربانية يوم القيامة، فلا يرى أن أحداً منهم ظلمه، ولا يُسمى ظالماً. وهذا الحال الذي تميز به القوم في هذه النار على غيرهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مریدی زمانك تعرف عدم صدقهم، بل رأيت شخصاً أذن له شيخه في أنه يسلك المریدين ويرشدتهم اشتكى من اعتابه إلى بيت الوالي، وعمره دراهم. وإذا كان هذا حال من أذن له شيخه أن يسلك الناس فكيف بعيره. فاعلم ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عنهم بفاورة النار السوء، وذلك ليتعلموا بعشرتهم الحلم عنهم إذا خالفوا أعراسهم، ويحوروا الآخر يانصر عنيبهم، ويحفظوا غيرهم من الوقوع في الإثم بسببهم، ممن لا صبر عنده ولا حلم، وهذا ما درج عليه المریدون الصادقون خلاف ما عليه الكادبون.

وكان مالك بن دينار^(١) يشتري الرقيق الذي يخاف سيده، والذابة الشموص، ويتروح المرأة السوء، ويقول: إنهم يدكروني بحلم الله تعالى عليّ. فأحلم عليهم تحقناً بأخلاق الله تعالى، فإنه يحلم عنيّ ليلاً ونهاراً وأما سابغ في ميدان المخائفات والعملات، ولو أخذني لأهلكني ثم لم يظلمني شيئاً، وكان إذا مالع عبده في مخالفة أعراسه يقول: ما أشبههم بمالك مع مولاه جلّ وعلا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدعوا أحداً من الأكابر إلى حضور ولا تنهم إلا لغرض شرعيّ. لا حظ لنفس فيه، وإن أجلهم عن الدعاء إلى مثل ذلك كان أفضل وأكثر أدباً، وذلك أن المرید عمله دائماً على ترك الشهرة، ومحبة الخفاء، وعدم إقامة الحياه في قلوب الناس، ودعاء المرید العلماء والأمراء إلى حضور وليمنته، مما يورث الشهرة والحياه في قلوب الناس، وذلك من أكبر

(١) قال الذهبي. هو علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين ومن أعين كفة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس وسبع من أنس بن مالك ثم بعده، وحدث عنه وعن الأحف بن قيس وسعيد بن جبير والحسن البصري ومحمد بن سيرين والفاطم بن محمد وعذرة، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة وعبد الله ابن خنوب وهام بن يحيى وأبان بن يزيد العطار وعبد السلام بن حرب والحارث بن وحيه وطائفة سواهم، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحدثه في درجة الحسن. وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

أسباب اهلاك، وربما راح أمر المريد عند الأمراء والأكابر وعظموه أكثر من شيخه، فأعجبه ذلك، وغاب عنه أن شيخه لو أراد إقَالَ الخلق عليه لأقفلوا، ولكنه دفعهم بقضه، وهرب من تحمل منهم في حضورهم عنده.

والصادق هو من يدفع الأمور المشعبة عن الله تعالى بقلبه من غير لفظ، حتى ربما سأل الأكابر في الحضور، وبقل بعائنه بحضرة أقرانه، فم يجه أحد منهم، وكان أحي أفضل الدين يفعل مثل ذلك إحمالاً لذكره، وكسرًا لنفسه، وهو دفعهم بقضه هرويًا من منهم.

وقد كان سيدي محمد الشربسي رحمه الله^(١) يقول: انلهم اجعلنا ممن ترهد فيه الدنيا، ولا نجعلنا ممن يرهد هو فيها، فقل له في ذلك فقال: إنما ترهد الدنيا في الصد لعدم وجود عمل في قلبه يقيم فيه، فقل له في ذلك، فهو ولو قدر أنه طيبها لا توجه إلى مجيئها إليه، خلاف من يرهد هو فيها، فقد يكون لعبة ديوية أو أحروية. انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على المريدين من أهل الزمان تعرف حالهم. ولا تفسد نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبة رفع كل أحد من أقرانهم فوقهم في الدين والصلاح والعم، فصلاً عن كونهم يتكبرون معه لشدة محبتهم الخير لجميع أقرانهم، ورهدهم في الدنيا، فذلك كانوا يحون رقة أقرانهم عليهم، ولا يعملون عن الدعاء لهم، بأن يحفظهم الله تعالى من آفات الرقة والشهرة بالصلاح والخير.

وهذا الخلق قد قل المتخلقون به من المريدين، وهو من أجل أخلاقهم، وربما ادعاه أحدهم علماً من غير دوق، فيسعي على إخوانه امتحانه لله تعالى ليظهروا المكذب، فيستعصر الله تعالى من الدعوى الكاذبة، وذلك بأن يدحوا أحياناً من أقرانه على علة، ويألع في وضعه بالرهة والصلاح، فإن اشرح ذلك المدعي لذلك، وظهرت أمارات السرور على وجهه فهو صادق، وإن اقبض وعبس فهو كاذب.

فنبه يا أخي لذلك، واعرضه على نفسك تعرف صدقها من كذبها، والحمد لله رب العالمين.

(١) هو شيخ طائفة الفقراء بالشرقية، كان من أرباب الأحوال ومكاشفات، وكاد يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها، وهو أحد شيوخ المصنف، وانظر: الطغاب الكبرى (٢/١٢٣).

ومن أخلاقهم:

أن يقدر العلماء العاملين بأنفسهم في كل مكروه نالهم، فإذا بلغهم أن أحداً من المقارصين يقص أحدًا من العلماء يود أن لو كان ذلك التقبض وقع له هو دون العالم، وذلك أن العلماء حملة الشريعة، ونقيضهم بين الناس يقتل الرعة في امتثال أمرهم بأحكام الشريعة إذا وقع من الناس التمدي، هكذا حال المرديد؛ لأنهم لم يشتهروا بحمل الشريعة كما اشتهر به العلماء.

وهذا الخلق قل من يتخلق الآن من المرديد به، بل رأيت بعضهم يفرح بتحريم العلماء خوفًا أن يعلوه في أخاه والصبيت، ومثل هذا لا يملح ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه السلام؛ لأن عبادته إنما هي بحفظ نفس، وما جعل الله الملاح والسجاج إلا في العمل الخالص الذي ابتغى به وجهه تعالى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على نفسك، وعلى من ادعاه من أقرانك، واشكر الله واستغفر الله من تقصيرك في حق العلماء، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة كراهيتهم ورجزهم لس يفل إليهم نقائص الس، لاسيما إن كان من فقراء الراوية. فربما ألقى إليهم السيمة حتى خربت الراوية، اللهم إلا أن يحكي ذلك الماقل النقص للشيوخ ليؤدب من يستحق التأديب فهذا لا بأس به، بل ربما وجب بخلاف نقل السيمة للمرديد من الأصحاء الذين لا يتحملون الكلام في حقهم.

فاهم ذلك، واعرض هذا الخلق على فقراء الراوية نجد لا يسلم من النسيمة منهم إلا القليل، وهو من أكبر طريق تشويش القلوب وتافرها، وذلك موجب لروال العمة عن أهل الراوية فتبطل أورادهم، أو يصير أحدهم يتكلف لها مع شغل القلب بالحق والفساد، حتى يتمي كل واحد روال عمة أخيه، فيجاري بمثل ذلك، فتتحول العمة عنهم كلهم.

فاعلم ذلك، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مساحتهم لكل من اعتانهم في حياتهم وبعد مماتهم وما يبلغهم وما يبلغهم حتى السامعين المصدقين على النية، لاسيما المفاريض فإن حكمهم لأخرة حكم من أركته الديون من سائر الخلق. وداروا حوله يطلبون منه ديونهم مع إنلاسه، ومثل هذا يسعى لكل من عنده طرف من الفتوة أن يساعده بدينه رحمة به، فإنه أهل بلاء، وقد قال عليه السلام: ((ارحموا أهل

البلاء^(١))).

وقال سيدي الإمام النووي رحمه الله^(٢) عن شخص مشهور بالفتوة، وله دين على معسر مضيق عليه في الطلب، هل يقدح ذلك في فتوته؟ فقال: نعم يقدح ذلك في فتوته. انتهى.

وأهل الله تعالى كنهم فتيان أهل مروعة، وإنما يساعون من اغناهم من غير علمهم أو بعد موتهم مبالغة في الرحمة، ولعلمهم أن الله يأخذ لهم حقهم منهم سواء بلغهم أم لم يبلغهم؛ لأنهم لم يكونوا يعلمونها فأنه يعلمها، فاحتاطوا لأخيه المسلم وساعوه فيما يقع فيه بعد موتهم من العيبة؛ ليحوروا بذلك الأجر، ويربحوا أحاسن من الوقوف من أجلهم للحساب.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شاعتهم عند الحق سبحانه وتعالى في كل من آذاهم بعبية أو غيرها في دار الدنيا بعد مسامحتهم له؛ خوفاً ألا يكون الحق تبارك وتعالى قبل مسامحتهم له، فيسألون الله تعالى ألا يؤاخذهم من جهتهم، وأن يعصوا عنه من حيث تعذبه حدود الله تعالى بالإذن لعاده من غير طريق شرعي^٣.

فإن لكل معصية حق: حق الله، وحق لعاده، فمسامحة العبد إنما هي في حقه دون حق الله تعالى.

وهذا الخلق من أحسن أخلاق المريدين، فاعرضه على مريدي زمانك تعرف حاجهم، ولا تسن نفسك، فإن من سامح مومح، ومن شاحح شوحح، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مسامحتهم لجميع هذه الأمة المحمدية في كل حق لهم عليهم، ولا يطالبون أحداً منهم بحق في الدارين، ولو جاعوا يوم القيامة فقراء من الحسرات. كل ذلك إكراماً لعباد الله من

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٠/٦)، وأبيه في الشعب (٢٦٣/٤).

(٢) هو شيخ الإسلام أساد المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والمذمعي إلى سبيل السامعين، علم الأولياء، صاحب التصانيف الجامعة كالمجموع شرح المذهب، وروضة الطالبين شرح المسحاح له، وتهذيب الأساء ودقائق المسحاح بتحقيقه. وانظر: السهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسحراوي بتحقيقه.

حيث كونهم عبيده تعالى، ثم إكرامًا لحمدٍ يثاب من حيث كونهم أمتة، لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره، فإن عبد الثواب معدودون من الإثبات الحسن للعبادة والزينة بين العباد، وأهل الله تعالى محول لا يظنون سواه ولا يؤمنون إلا بإياه، ولا يرون له معه منكًا في الدارين، وجميع ما يعطيه لهم يخرجون عنه إنه تعالى فورًا، ولا يشتونه لهم إلا بقدر تحقق نسبة العطاء لهم، وذلك ليظهروا كرم الله سبحانه وتعالى عليهم لا غير، سواء أعطاهم الدنيا والآخرة أو معهم منها هو عندهم سواء؛ لشهودهم الملك في ذلك الله تعالى لا لهم، فهم يأكلون ويلبسون في الدارين من مال سيدهم، ويسكنون في داره صدقة منه عليهم من غير شهود استحقاقهم لشيء من ذلك.

فاعلم أن من عما عمن ظنمه لطلب الأجر والثواب، فهو لم يشم من طريق الأدب مع الله تعالى راحة.

فاعرض هذا الخلق عني مردي، عصرك تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الإكثار من مرافقة الله يحفظ بقلوبهم في جميع حركاتهم وسكناتهم على حكم مصطلح المتصوفة شيئًا فشيئًا، فلا يزال أحدهم يتدرج في المرافقة من درجة إلى درجتين إلى ثلاث أو أربع إلى عشر الليل أو النهار إلى خمسة إلى ربعة إلى ثلثة إلى بضعة إلى ثلاثة أرباعه إلى ألا يصير له ساعة عملة عن الله تعالى إلا بقدر ما يسامح فيه البشر؛ إذ مرافقة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر عامة. وإنما ذلك من مقام الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكمل ورثتهم.

وإما فلما أتى على حكم مصطلح المتصوفة ولم نقل الصوفية؛ لأن الصوفية هم كُمل العارفين، وكل من عرف الله تعالى عرف أنه لا نصح له مرافقة حقيقة؛ لأن المراقب ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية، وتعالى الله عن ذلك عبد العارفين، فهم مع نظر الله تعالى المحقق إليهم لا مع نظرهم المتوهم.

وقد أشار في الحديث إلى مقام المتصوفة والصوفية بقوله ﷺ: ((اعبد الله كأنك تراه^(١)))، وهذه درجة التعليم، ثم يترقى منها إلى درجة الخواص، وهو أن يعلم أن الله يراه

(١) رواد البخاري (٢٧/١)، ومسلم (٣٧/١).

دون أن يراه هو، وهذا أكمل في التنزيه^(١).

وفي بعض المواقف الربانية يقول الله ﷻ: ((إذا كان كل شيء حاضراً بالعيد فانا بخلافه، فكيف تصح له مراقبتي)). انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الحق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقيهم:

أن يكون أحدهم محتاطاً لنفسه، فلا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الطاهرة والباطلة، فإن كل من بغت عليه بقة من حقوق الناس أو حقوق الله تعالى، بعيد عليه أن يحصل على طائفي، ولو كان شبحه من أكبر العارفين، ومن هنا كان الشيخ الحادق لا يدخل العهد على مريد إلا بعد نوبته، ورد المطالم إلى أهلها، فإن غالب المريدين لا يهتدون هذه التوبة، ويعتمدون على شيخهم فيدخلون عنه انتع، وهذا من باب فونه ﷻ لس سأل مرافقه في الجنة: ((أعني على نفسك بكثرة السجود^(٢))).

فحوله ﷻ عن الركوع إليه حيلة، وأمره بمساعدته على تحصيل ما يريده، وهذا الحق قد قل من يومي به من مريدي هذا الزمان، فلا المريد محتاط لنفسه ويتوب قبل أن يدخل في العهد خوفاً أن يلعب بالطريق، ولا الشيخ نفسه يسأل المريد عن شروط التوبة، لاسيما إن كان الذي يأخذ العهد جنس نفسه من غير إذن من شيخ الغالب عليه الشليس

(١) قال المصنف في الميران الذرية: مقوله: (كأنك تراه) هو شاهد الحق الذي أقنعه في عسك، وهذه هي درجه انتعيم، ثم يرتقى العهد من هذه الحالة إلى حالة الخصوص، وهو شهود كونه تعالى براك ولا تراه، وذلك أنك إذا صبطت شهوده تعالى في نفسك عند صلاتك مثلاً فقد أحسيت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك.

وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى؛ لتعبيدك وإطلاقه، وصيقك وسعه. فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق (أي لا مع بطرك إياه) لأن نظرك يقبده ويحدده، وهو المنسره عن الحدود. فاعلم أنه لولا تحييل العقل، الحق تعالى للأصابع في القلعه ما علموا من بتأديروا معه.

ولما الأكابر فلا يحتاجون إلى هذا التحليل.

ولذلك كان القبط دائماً خلف الحجاب لا يرى ربه حي يموت، فامهم. ومن هذا الفرق أيضاً بين الرؤية والشهود: أن الرؤية لا تقدمها علم الغرني، بخلاف الشاهده بتفهمها عنه بالشهود. وهو المسمى بالعمائد، وهذا مع الإقرار والإنكار في الشهود حين الشجعي الأخرى، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار. وانظر: الميران الذرية (ص ٢٨) بتحقيقا.

(٢) رواه أبو داود (٣٥/٢)، والنسائي (٢٤٢/١)، وأحمد (٥٩/٤).

على نفسه وغيره، فليتبه لذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة إقبال أحدهم على الاشتغال بعلاج نفسه ورياضتها دون الاشتغال بعلاج غيره؛ لأن هذه إما هي وظيفة الأشباح، أما المريدون فمن الأدب إقبالهم على ما يتعلق بموهم دون غيرهم، وهذه مكينة لا يشه لها غالب المريد، فبصير يتشارك إخوانه بالموعة والإرشاد، وهو نفسه لم يتخلق بذلك.

وقد أجمع الأشباح على أن المريد لا يسمى له أن يكون مؤدباً للأطفال، خوفاً أن يسرقه حب الرئاسة، فلا يصير يفلح على يد أحد. وكذلك لا يسمى للمريد أن يكون حطياً ولا واعظاً ولا مدرساً إلا أن أدن له شيخة في ذلك، وأمن عليه من الإعجاب والكبر.

وقد كثر هذا الأمر في مريدي هذا الزمان حتى ربما ادعى أحدهم أنه أعلم من شيوخه، لاسيما إن كان عنده علم من طرف العربية، وسار يرد على شيخه اللحن، فإنه يتلف بالكلية.

وقد صلى جماعة من الفقهاء خلف حبيب المعجمي، ثم أعادوا الصلاة وقالوا: إنه يحيى، فلما فارقوه لفهم السبع فأراد أن يأكلهم، فعروا راجعين إلى الشيخ، فخرج معهم إلى السبع فمسكه وعرك أذنه، فولى السبع وقال له: أما قلت لك مرات لا تتعرض لصبياني، ثم قال لهم: اشتعلتم بتمويم اللسان مختم من الأسد، واشتعلنا بتقويم القلب فحلفنا الأسد. انتهى.

وكذلك وقع لسيد إبراهيم السولي رضي الله عنه صلى وراه فقيه في صلاة المغرب، فنحيل له أن الشيخ يلحن فنوى المعارضة، فلما سلم الشيخ قال له: يا فقيه، اللقمة الكسرة تقف في الحلق، فشهد تلك الليلة زوراً، وأحد عشرين دياراً من شهد له، فحرسوه وعزله السلطان قاتباي عزلاً موبقاً إلى أن مات. انتهى.

وكذلك وقع للشيخ علي المحلي أن شخصاً من أهل دمياط صلى حلقه، فلم تعجه قراعاته، فلما سلم أنكر عليه، وقال للشيخ: إيش مدهك؟ فقال: حشني، فارداد إنكاره على الشيخ، وقال: هذا لا يعرف اسم مذهبه، فقال له: قل: حفي، فقال: بل حشني، فقال: ما معاه؟ فقال: إن أفعح عبيك فتموت، ففح عبيه من بعيد فوقع ميتاً. والحكايات في ذلك كثيرة.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكثر أحدهم من مراقبة شيخه حتى يصير مشهوداً له عسى الدوام ليلاً ونهاراً، حتى أنه لا يتكلم حتى يستأذنه بقلبه، ولا يسكت من ذكر أو علم حتى يستأذنه كذلك، وهذا من أعظم أخلاقهم.

ومن لم يكن كذلك فعبد عليه أن يرفق إلى مراقبة ربه ﷻ، وهذا الأدب واجب على المرشد ما دام بجهد ربه، فإذا عرف ربه المعرفة المشهودة بين القوم صار هذا الأدب مستحاً في حقه؛ لأنه حينئذ يجد معية الحق تعالى سارية مع جميع الوجود، فما من موجود إلا والحق تعالى معه، يمدد بالوجود والانخفاض والصعود. فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مخافة أحدهم هوى نفسه على الدوام ما لم يكن له شيخ، فإن كان له شيخ فهو تحت إشارته، وليس له العمل بهواه ما دام تحت يده.

إذا خرج من تحت يده رجع إلى المبرأ، كان له قبل دخوله في يد الشيخ، فإذا أعجته روحته طلقها، أو جوحته تصدق بها، أو عمامته أهدها، أو وطيمته أو خلوته أسقط حقه منها، أو ماله خرج عنه للفقراء.

كل ذلك احتياطاً لنفسه خوفاً أن يشغله عن ربه فيستحق العقاب.

وهذه هي طرق المهين ﷻ الذين تطوى لهم منازل الطريق.

وأما من أقام مع روحته التي تشغله عن ربه ﷻ، أو أعجب بشيء من أحواله، فهو كاذب في محبة ربه ﷻ، وبما طول تبعه وتعب شيخه فيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

حفظ أحدهم قلبه مع شيخه من حين يدخل في عهده إلى أن يموت، لا يدبر عن محبة طرفة عين، ولو هجره أو طرده لا يحول عنه أبداً، فإن الإعراض عن الشيخ كالردة من آداب الطريق.

وقد قال شيخ أهل الطريق أبو الفاسم الحميد رحمته: لو أقل عارف على ربه ﷻ ألف سنة ثم أدرعه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها. انتهى.

وكذلك اقول في الإديار عن الشيخ؛ لأنه مرتبة إيمان دون الله تعالى، فمن ثم إقباله على شيخه فقد استحق الترفي إلى مقام الإقبال على ربه، ومن لا فلا.
فإياك يا أحي أن تتكدر من شيخك إذا طردك عن بابه بغير طريق تعرفها أنت،
وتصبر تحقد في نيك على شيخك، أو تنكوه في نفسك، فصلاً عن الناس الأجانب،
وفصلاً عن أعداء الشيخ، فإنك تثقت مقناً لا تعلق بعده أبداً، كما وقع ذلك لبعض من
يدعي أنه من جماعتنا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي رمالك، ولا تنس نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يجعل أحدهم نفسه شيخاً له مع شيخه، فيصير يعرض عليها كل شيء أمره به
الشيخ أو سواه كالمستشير لها. هل أوافق شحني في ذلك أم أحالعه.
وقد أجمع الأشياخ على أن من لم ياتر إلى امتثال أمر شيخه أو نهيه فوراً ففعل ما
أمره به، وبنتهي عما سواه عنه من غير تهاون ولا تزوي فيه، فهو مخدوع لا يحسن منه شيء
في طريق أهل الله تعالى.

وقد قال الأشياخ: لا يجوز لمريد أن يكون له شيخان؛ لأن أمر الطريق مبني على
التوحيد، فكما أنه لم يكن وجود العالم عن إلهي، ولا التكليف بين رسولين، ولا المرأة
بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شحين. ويسفي أن يستثنى من كلامهم رسالة
موسى وهارون عليهم الصلاة والسلام؛ فإن تكليف قومهما كان بين رسولين بمصر
القرآن، ثم إن كلامنا إما هو في حق الشيخ الخفي والمريد الحقيقي، ومن لم نجتمع فيه
الشروط مبهما فلا حرج عليه في متعاده عدة أشياخ يرشدونه إلى الخير. كما كان عليه
السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فعلم أن كل من مال عن قول شيخه الحقيقي إلى
قول نفسه أو قول غير شيخه سرّاً أو جهراً، فهو كاذب في محبته الطريق، لا يحسن منه
شيء.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي رمالك تعرف هل وافق به أم لا، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم أبعد الناس عن الوقوع في خرق إجماع أهل الطريق؛ لأن الإجماع
كفء الشريعة على حد سواء، وهو لما لم يجمعوا عليه أشد تهاوناً، وقد أحسوا على أن

ترك العبد فضول الدنيا محمود في جميع الملل. فلو كان الفضول في يده يجرح عنه وإن لم يكن في يده لا يسعى في تحصينه، وما أمر الله الناس بالاكْتِسَاب إلا ليكفوا به نفوسهم عن سؤال الناس، بشرط ألا يتعلمهم عن عادة رهبهم، كما قال تعالى في حق الكُمَّل مادحاً لهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْهَارُ﴾ [النور: ٣٧].

فمن أهله الدنيا عن ذكر الله تعالى وما ذكر معه فطلبه لدنيا مدموم، وليس له في الرجولية نصيب.

وقد نقل الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية إجماع جميع الملل على دم حبة الدنيا، فقال: أصح أهل كل ملة على أن الرهد^(١) في الدنيا مطلوب، وأن إخراج العبد من يده ما راد عن حاجة يومه ولياته محمود عند الله تعالى ورسله وصالح المؤمنين. انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عَصْرِكَ هل وفوا به أم لا تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرتكب أحدهم أثقل الأمرين أو الأمور على النفس، فإنه لا يشتد عليها إلا ما هو الخير لصاحبها، وذلك لأنها تطلب ألا تدخل تحت أمورها أبداً، وذلك لسر لا يذكر إلا مشافهة لأهله.

وفي بعض الكتب الإلهية: إن الله أوقف النفس بين يديه بعد أن خلقها، وقال لها: من أنا؟ فقالت له تعالى: أنت أنت، وأنا أنا، فعمسها الحق جل وعلا في بحر الجوع والبلاء خسة آلاف سنة، ثم قال لها: من أنا؟ فقالت له: أنت ربي، لا إله إلا أنت. انتهى.

ثم لا يخفى عليك يا أحي أن ذلك شأنها ما دامت تُسَمَّى نفساً، فإذا لحنت وصارت روحاً أو قنباً أو سرّاً فهناك لا يصح منها أن تأمر صاحبها إلا بخير سواء أخف عليها أم نقل.

(١) قال الشيخ المصنف: قد من الله تعالى عسي^١ بالرهد في الدنيا من حداثة سني إلى وفني هذا، حتى لو أمطرت السماء دهاً، ومكتوب على كل دينار من أخذ هذا لا يحاسبه الله تعالى عنه في الدنيا ولا في الآخرة، بكت لا أحد عندي داعيه إلى أحد شيء منه إلا بدني أوفيه به، أو لسد فاقة في ذلك الوقت الذي أنا فيه مضط، ومن شدت في وصولي إلى هذا المقام هذه تعالى بعث لي وله إن شاء الله. وانظر: الدرر والمجمع في بيان الصادق في الرهد والنور المصنف (ص ٣٢) طبع بتحقيقنا.

وأيضاح ذلك أن النفس حيث أطلقت في كلام القوم، فالمراد بها المحبوبة عن حضرة الله تعالى برعوناتها البشرية.

وهي المرادة في هذا الحلق، فإذا انحلت زالت حبها وصارت ملكية، فيحب على صاحبها موافقتها؛ لكونها صارت لا تأمره إلا بما يأمره به ربها **تعالى**، كما هو مشهور بين أهل الكشف.

فأعرض يا أخي هذا الحق على مريدي رمالك تعرف مقامهم حتى لا تسيء نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحس أحدهم إلى غروب الشمس ودحول الليل كما يحس الوالدة إلى الاجتماع بولدها بعد غيبته الطويلة، أو كما يحس العطشان الذي أشرف على الهلاك إلى انماء، وذلك لأن الله تعالى جعل النهار للنعش وللإجماع بالناس، وجعل الليل لمحدثته ومناجاته والسير معه.

وهذا دأب المريد ما دام سالكاً.

فإذا بلغ درجة انكمال تساوى عنده الليل والنهار في الحضور مع الله، وصار لا يشغله عن الله شغل، ويحس إلى كل وقت من ليل أو نهار.

فعلم أن كل مريد لم يحس إلى دخول الليل لأجل السهر في العبادة فهو كاذب في دعواه الإرادة.

وفي بعض الكتب الإلهية: يا عبدي جعلت النهار لمعاشك، وجعلت الليل لتسهر معي، فاشتغلت عني بالنهار، ونمت عني بالليل، فحسرت بحالتي في المارين. انتهى.

لأن العبد لا يجالس ربه في الآخرة إلا في مثل الوقت الذي جالسه فيه في دار الدنيا، غير أن مدة مجالسة العبد لربه في الآخرة أطول رماً، فعم أن مثل مجالسة العبد ربه في الدنيا كأنه في الدنيا التي تبت منها الحجم والشجر، وعلم أن كل ساعة لم يجالس العبد فيها ربه في الدنيا فلا حط له في مجالسته في الآخرة، وإن كل من جالسه مقدار درجة مثلاً امتدّت له مجالسته تعالى في الآخرة بقدر همة وعمره في دار الدنيا، هكذا ذكره أهل الكشف.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ٣٢]، وبحوثها من الآيات.

وقد ينمّض الله تعالى على بعض عباده بالمجالسة له في وقت لم يكن جالسه فيه في الدنيا، لأنها دار حرق فيها الموائد.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتفقد أحدهم بظاهر الكتاب والسنة، ولا يترش برأي لم يعد له دليلاً، ولا يدعو
بدعاء مخترع بصلاته قط؛ لأنها حصرية الله تعالى وحصرية رسوله ﷺ.
وقد ورد في السنة ما يفي العبد عن الأدعية المخترعة، فلا يسفي لأحد مراعاة
الشارع في التشريع، فيكون متدعاً يحصره مع قدرته على الوصول إلى اتباعه بحفظ
أدعيته المأثورة عنه، وكل من تأمل أن المخترعين للأدعية فيما ورد عن رسول الله ﷺ
وجده أعم وأكمل من كل شيء؛ اخترعه هو؛ لأن دائرة علمه ﷺ بأحكامه أوسع الدوائر،
فجميع الأنبياء والأئمة محبوسة في دائرته ﷺ.

وأيضاً فإن الدعاء بما ورد مرجو الإجابة؛ لأن الله تعالى ما أمراً بالدعاء إلا لأنه يريد
بخلاف الدعاء الذي اخترعناه. فقد لا يحينا الحق فيه؛ لاختراعنا وسوء أدبنا مع
رسوله ﷺ، بعد أن علمنا قوله ﷺ: ((ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به،
ولا تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه^(١))). انتهى.

فعلم أن كل مريد يتفقد في أعماله وأقواله وعقائده على الكتاب والسنة فهو أسرع في
سيره إلى حضرة ربه، ومن هنا طالت الطريق غالباً على المريدين، وماتوا ولم يصلوا إلى
مقامات الكمال؛ لسلوكهم بالأراء والبدع.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا ينعطى أحدهم أسباب الشهرة ولو بميل نفسه إليها، حتى أن بعض الصادقين لما
طفع النور على وجهه من كثرة الأعمال الخائصة، وتسير بذلك بين الأقران سأل الله تعالى
في محوده أن يحول ذلك النور من وجهه إلى قلبه، فحول الله تعالى في الوقت لموضع
صدقه.

ومما وقع لي كنت جالساً عند سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى فمرُّ علينا رجل
والنور طافح من وجهه، فقلت للتشيخ: انظر يا سيدي شدة هذا النور الذي على وجهه هذا

(١) رواه المنذاري في العلل (٢٧٣/٥).

الرجل، فطر إليه وقال: اللهم اكفنا سوء، فقلت له: كيف؟ فقال: إن الله إذا أراد بعبد خيراً جعل بوره في قلبه ليعرف ما يأتي وما يدر من الأعمال، وإذا أراد به سوءاً جعل بوره على وجهه، وعرى قلبه من السور، فهو يقع في كل محذور ولا يهتدي لتركه، فقلت له: فإن جعل الله السور على وجهه من غير واسطة ميل إلى ذلك، فقال: إن العبد لا يأتيه شيء من خيرٍ وشراً إلا مع مقدمات النفس إلى ذلك، ومن هنا وقع التكليف.

وسعت سبدي علي الخواص رحمه الله يقول أيضاً: من شأن المرید الصادق أن يدوم أسباب الشهرة عنه بالقلب، فلا يظهر على وجهه قط نوراً، ولا يقبل أحد يده فضلاً عن رجليه، والكاذب يقبل ذلك، فعلم أن العبد لو حقق النظر في كل ما يقع على يده لوحدته، إنما يصل بواسطة محرم يقبل عليه.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أخذهم بعرائم الشريعة، ولا يرأون لرحصتها إلا عند الضرورة، وذلك لأن الرخص إنما جعلت للضعفاء من القوم وأصحاب الأشغال الشاقة، وأما الفقراء فليس لهم إلا الاشتغال بالله تعالى، وقد أضعوا أن العقير إذا انحط من عرائم الشريعة إلى رحصتها فقد فسح عهد شيخه الذي كان عاهده عليه من افتتاح الشدائد لأن المحب للمعادة لا يصرفه عنها صارف، ولا تروده عنها السيوف والمتالف، كالجهاد في سبيل الله على حد سواء.

واعلم أن المرید متى أكل أو لس مما فيه شبهة مثلاً، كطعام المباشرين وأعوان العلم من غير ضرورة، فهو بطلان لا يجزئ منه شيء في الطريق، فليقتض شيخه يده منه.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكتف أحدهم أعماله الصالحة من التوكل عن الناس، ولا يظهر شيئاً منها حتى يتمكن في الطريق، وقد أصبح الأشياح كلهم على أن كل مرید أحب الظهور وشهر الصيت بين أقرانه فهو كاذب في محبة طريق أهل الله تعالى، والكاذب لا يصلح للطريق.

وقد أجمعوا على أن مرید بنى أمره على الكذب، لا يصلح له أن يشم من انصدق رائحة، كما أن من بنى أمره على الصدق فهو محفوظ من اندعاوى الكاذبة إلى أن يموت، وذلك أن شجرة الكذب لا يمكن لفروعها أن تخرج عن أصولها.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من أقوى سلاح الشيطان على المريدي أن يتعبر من الناس إذا اشموه، فإذا فعل ذلك وقد أعطى الشيطان سلاحه الذي يقننه به، وكفاه المؤنة. انتهى.

نعلم أن كل مريدٍ رمي بهاشية أو رياء أو زبدقة وتغيرت منه شعرة فهو كاذبٌ في محبة أهل الطريق؛ لأن الصادق لا يراعي إلا الله ^{والمخلص}، ولا ينتمى إلى دم الخلق ولا إلى مدحهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدي زمانك تعرف حاسم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعني أحدهم بالعبادة والإقبال على حصرة ربه بعد الصبح وبعد العصر، أكثر من اعتناؤه بما ذكر في غير هذين الوقتين، كما درج عليه الصادقون، فكان أحدهم إذا صلى الصبح أو العصر يستمر في العبادة إلى طلوع الشمس أو غروبها، ولا يصير له التفات إلى شيء من أمور الدنيا، وذلك لأن ملائكة النهار يسزلون من طلوع الفجر، وملائكة الليل ينزلون من صلاة العصر، فيجتمعون مع ملائكة الليل وملائكة النهار، فيصير على العبد في هاتين الوقتين ثلحطين أربع من الملائكة، يشهدون عليه عند الحاجة إذا وقع أنه كذب الملكين للموكلين به في ليل أو نهار.

وهذا الخلق قل من ينسبه له من المريدين، بل بعضهم ربما كان في هاتين بضحك ويلعب، أو يتعاطى شيئاً من المحرمات، وذلك في غاية سوء الأدب وقلة الحياء. كمن يرسل الله تعالى له أربعة أملاك ياتون بصحيفته ليعرضوها على ربه، فيرسل نبيه صحكاً أو لعباً أو معاصي يستحي من ذكرها، فضلاً عن الوقوع فيها.

وقد أدركت سيدي محمد بن عماد وسيدي علي الخواص رضي الله عنهما إذا صلى أحدهما الصبح أو العصر يصير كأنه لا يعرف أحداً من الخلق، ولا يجسه بكلمة لغو حتى تطلع الشمس ويصلي الصبح، أو حتى تغرب الشمس ويصلي المغرب، وكانا يذكران أن ذلك شأنهما من حين كانا في سن الصبا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما دام أحدهم فاصراً ألا يتزوج غير واحدة، ثم إذا نرقى في المقام بروج أخرى إن

شاء، ثم هكذا إلى الأربع، وليس له التزوج بأكثر من واحدة إذا خاف على نفسه عدم القيام بالعدل بينهما أو بينهما؛ لأن التزوج أكثر من واحدة إما يكون لمن أحسن من نفسه انتزعي إلى مقامات الرجال، وشهود مشاهدتهم، فهناك لا يخاف عليه عدم العدل بين النساء؛ لأنه حينئذ محفوظ بمعابة الله عن الأربع؛ خروجه عن حظ نفسه، فإن الأكابر لا يتزوجون إلا ههنا رضا رسول الله ﷺ، بامتنال أمره في قوله: ((تزوجوا الولود الودود، فبني مكائز بكم الأمم يوم القيامة^(١))).

فلا يتزوج لقضاء شهوة نفسه من جماع أو حصول أولاد؛ لأن ذلك إما يحبه الدار الآخرة، فإن أهل الجنة يكفون بمجرد اللذة دون النسل، وقد يجعل الله تعالى مثل ذلك للخواص في هذه الدار من غير أن يحصل لهم أجر، فعلم أن من كان مشهده امتثال أمر رسول الله ﷺ بالتزوج بأكثر من واحدة فلا حرج عليه؛ لأن مراعاة خاطر رسول الله ﷺ أولى من مراعاة خاطر امرأة قد تكون فاسقة، لا نصلي لربها ركعة، مع أن كل من تزوج لامتنال أمر الله تعالى دون حفظ النفس محفوظ من الخور وعدم العدل.

بعض الحديث وهو قوله ﷺ فيما رواه البيهقي وغيره: ((من تزوج لله كفى ووفى^(٢))).

وذكر الشيخ محي الدين في المصاحبات: إن من شأن القطب الموث بحبة الكاخ؛ لما فيه من التحقق بالعجز الذي هو أكبر أوصاف العودية، فتراه يهي العبد عن شهوة نفسه حال الوقاع، ويقهره تحت الحجاب، انتهى.

وهذا مشهد خاص بالأقطاب، وقد يعطيه الله تعالى لمن شاء من عباده، فعلم أيضاً أنه ليس للمريد أن يتشبه في ذلك بالاشياخ الذين يتزوجون فوق الواحدة لحفظهم من الخور دونه.

قالوا: وليس في قواطع الطريق قاطع أقوى من الجماع، فربما يحامع أحدهم المرة الواحدة فترده تلك المرة إلى أنزل من مقامه قبل دخول الطريق، كما حُرِّب، فليكن المريد على حذر من كثرة الجماع.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨١/٧)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٢٠).

(٢) لم ألف عليه.

ومن أحلاقهم:

ألا ينام أحدهم في بيت فيه جب؛ لقوله ﷺ: ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جب^(١))). انتهى.

ومعنى أن الملائكة إذا لم تدخل ذلك البيت فهو مأوى الشياطين، فيسعى للعبد إذا جامع واعتسل دون روجته أن ينام في مكان آخر إلا لضرورة شرعية، وهذا خلق ما رأيت له ذاتاً إلى وقتي هذا.

فاعمل به، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

ألا ينام أحدهم إلا عن غيبة؛ لأن النوم بين يدي الله تعالى عث يحرق إلى المص؛ لعدم تعظيم حرمة ربه، وإذا اطلع الله تعالى على قلب مريد رأى فيه قلة التعظيم له بمقتته، لا سيما إن نام من غير غلبة وإخوانهم مستيقظون مع الشيخ، فإن ذلك يزيد مقتاً، فإن الإنسان ربما يكسل إذا رأى إخوانه نائمين فله راحة عذبة، بخلاف ما إذا راهم مستيقظين، وربما نظر الشيخ إلى يومه عثاً فمقتته، عيرة لحساب الله ويحزن. فلا يبلح بعدها أبداً، فإن مقت الله تعالى أحق من مقت الشيخ؛ لعلبة رحمة الله تعالى على عبده، فمقتة مخلوط برحمة، ولا هكذا مقت العبد لبعض الناس؛ لأنه لا يكاد يوجد فيه رحمة بل هو محض انتقام، كما سيأتي.

ومن هنا يعلم معنى قول أبي يزيد^(٢) حين سمع قارئاً يقول: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لِشَيْءٍ﴾

(١) رواه أحمد (٨٣/١)، والبرقي في مسنده (٩٩/٣).

(٢) هو الإمام الشيخ القطب، له طيفور من عيسى بن شروشان وكان حده موسى بن أسلم وكان سبب إسلامه على ما ذكره شيخ المتابع أبو عبد الله محمد بن عبيد الله السطامي قدس الله روحه أنه كان يحاظر شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ونكده وأكر عليه صحة شروشان، وقال له: رجل موسى تصاحبه؟ فقال تولده: هو رجل مرصفي الخصال لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والله: قل له: إن أبي يجهلك صبياً، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلني الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان طعام، قال له: لا أكله حتى تعطيني مرادي وبعضي حاجتي. قال: وما ذلك؟ قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فكان هذا سبب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبته وقومه في يومه وغير يومه. وفي الأحاديث من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكون مكنته تركاً واستمداً، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال الشياخ المتقدمون في عصره يروونه ويتركون بدعائه وهو عندهم من أجل الصادق والرهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله -

[البروج: ١٢]، فقال: بطشي أشد من بطش الله تعالى: أي بطش الله مخلوط برحمة؛ لأن الربوبية لا تنقسم لنفسها، ولا هكذا بطش العبد، فإنه محض انتقام لا يشوبه رحمة، فتحمله العبرة لله تعالى ألا يكون له رحمة لمن عصاه، كما هو مشاهد في حق السلطان، وربما قتل بعضاً في كلمة قامها إنسان في حقه، ولم يكتب بحسه وصره، فافهم.

ووافقه إني لأغار الله تعالى في ليلة الجمعة التي يحييها من الإخوان، وأمقت كل من رآته نام من عليه. فيصبح وأثر المفت عني وجهه لا يحصى (لا على أعشى القلب، كما في أمد كل من رآته سهرانا. فأصبر أمدته بمددي إلى الصباح، عكس من أمقت؛ فإني أمدته بمقت بعد مفت إلى الصباح، وبمشي الله تعالى الأمر في كل من الشخصين، وقد تاعس بعض الإخوان ليلة فوضعت يدي في كفه كهنة الذي بعد له دراهم، فاستيقظ وطار النوم من عينيه، وذلك لغلبة محبته الدنيا على محبة ربه في قلبه.

تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن التلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وستين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ويكون مغلوفاً عليه يرجع إلى أحوال سيرة وفراصة حادة ورياسة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

من كلامه: مددت رجلي ليلة في عمراني، فبسط بي هاتف: من يحايل الملوك يسمي أن يحالهم بحسن الأدب.

وسئل عن السنة والعريضة، فقال: السنة: ترك الدماء بأسرها، والعريضة: الصلحة مع الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن السنة كلها تمل عن ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صلحة النبوي. وكانت بقول: رأيت رب العزة يبارك وتعالى في النوم، فقلت: يا رب كيف السبيل إلى الوصول إليه؟ فقال: غارك نفسك وتعال إلي.

وقيل له: متى يكون الرجل متواضعاً؟ فقال: إذا لم ير نفسه مقاماً، ولا يرى أن في الخلق من هو خير منه. ودخل على أبي يزيد عالم بلده ومقربها يوماً، فقال: يا أبا يزيد أحدث علمك هذا عن من؟ ومن أين؟ فقال له أبو يزيد: عسي هذا من عطاء الله، وعن الله، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَرُئِيَ عِلْمُ مَا لَمْ يَعْلَمْ» فسكت الفقيه.

وسئل أبو علي الخرجاني عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال: يسلم له حاله؛ فإنه يتكلم عن حد غلبة، أو حال سكر. ومن أراد أن يرتقي إلى مقام أبي يزيد فيجدهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهاك بهم كلام أبي يزيد عليه. وانظر: روضة الخبور في مناقبه لأبي الأظفاني (صحفيقا).

وربما يقول أحدهم: إني مغلوبٌ في عيني للعنينا وتقديمها على الآخرة. فقول له: ادخل في يد المربي؛ يوصلك إلى مقام يرول فيه حب الدنيا من قلبك، ويسكن محبة الله ويحقق، فإنه لا يعد مع المربي مقام، إما يكون ذلك عند عهد المربي، أو مع وجوده وعدم السماع لقوله.

وأعرف جماعة يحادعون الله ويحادعونني، ويدعون اليوم لعمه أوقات الذكر والخير، وإذا عمل أحدهم مولداً أو عرساً يصبر سهران تلك الليلة لا يأخذه نوم؛ للقوة الداعية إلى الدنيا، وضعفها في أعمال الآخرة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عسرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم تعلق أحدهم من وقوعه في الشدائد التي تطرفه أرائل دخوله في الطريق، فإنه لا بد لأهل الله تعالى من وقوع ذلك لهم شأنوا أم أبوا؛ لأنهم أهل دعوة محبة لله تعالى في بدايتهم، وكل مدعٍ ممتحن، فلا يزال أحدهم يُبتلى حتى ترول عنه جميع الدعاوى الطاهرة للناس، ثم يُبتلى من بعد ذلك من حيث سريره، فلا يزال كذلك حتى يدخل الجنة، هذا ما عليه عامة المتصوفة.

وأما على مذهب المحققين فما من أحدٍ إلا وهو مدع ولو ارتفعت درجته؛ لأن الصفات البشرية ترقى ولا تنقطع.

وما خرج عن ذلك إلا الأسياء عليهم النصلاة والسلام، وجميع ما يخالفهم من الشدائد، فليس هو من باب الامتحان، وإنما هو لتقديهم بهم أممهم فافهم.

ثم إن أصل وقوع الشدائد للمريد في بدايته إنما هو لبيان عرة الطريق، وعمر سلوكها على غالب الناس؛ إذ هي طرفٌ مع النفس والهوى والشدائد؛ لأن الأصلح فيها جيبها في الله تعالى، وهذا يجعل النفس في الحق على الدوام عليه إلا إن حتمه العناية الربانية، ولولا ذلك لكان غالب الناس أولياء، وربما يقف الولي نحو ثلاثين ألفاً، فلا يصح منهم إلا واحد، والباقي لا يشمونه من الطريق رائحة وإن تحلوا بملابس الفقراء، كما شاهدنا ذلك في الأشياخ الذين أدركناهم.

وكان سيدي محمد السروي رحمه الله^(١) يقول: لفتت لأكثر من ثلاثين ألفاً، فطُبع

(١) سقى ترجمته.

منهم محمد الشناوي.

وسعته مرة أخرى يقول: لا يقع الامتناع إلا للصادق من المریدین، وأما المرآني فعليه حابط من أصله ولو عد الله تعالى إلى يوم القيامة، ومثل هذا قد كفى إبليس المؤنة، فيستدل على صدق المرید بكثرة الاجتهاد له.

فاعرض يا أحي ذلك على مریدی زمانك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمین.

وعن أخلاقهم:

قل أن يجد أحدهم الشيخ المعد شريعة المریدین أن يخالف نفسه في كل ما نهوا حتى في موافق العبادات، فإنها لا تستحلي عبادة إلا إن كان فيها حظ لها من رياء أو عجب أو تكبر وبحر ذلك، وقد عمل بهذا الخلق بعض الرهبان، فعرض على نفسه الإسلام فتقل عليها فخالفها وأسلم، فاسترح صدره بعد ذلك للإسلام، وصار يصيق من صفات الصغار، وخرج عن قولنا قل أن يجد الشيخ، أما إذا وجد فإنه يجب عليه الامتناع بما يأمره شيخه سواء وافق هواه أو حاله، ثم لو قدر أنه بهاء عن عبادة فإنما ذلك لما رآه فيها من عدم الإخلاص، وإن كان الشيخ حادقاً فهو يأمره بكثرة ذكر اسم الله تعالى، والدوام على ذلك حتى يحصل الجلاء من الرياء في القلب، ويصير يدرك الحق والباطل حتى لو خبر بين بشره بالمشايير وبين الرياء في عبادته، لا اختار الشر ولا يترك باقاً شيئاً في عبادته.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أنه ليس لقلب جلاء أسرع من جلاء الذكر، وجعلوه كالخص للخص المصدي، وجعلوا عبره من سائر العبادات كالصابون للخص، فيا طول تعبها ويا طول زمن جلائه.

فعلم أن من طلب الطريق تلاوة القرآن أو كثرة الصلاة مثلاً، فيا طول تعبها، لأن تلاوة القرآن والصلاة إنما هما من أوراد الكمل من الأولياء الذين عرفوا الله تعالى المعرفة المشهورة بين القوم.

وعلامه الكمال أن تصير العلوم تحلج عليه في كل تلاوة حال التلاوة، ولا يحتاج في استخراجها إلى تفكير حتى لو كرر الآية ألف مرة، جمع عليه في كل مرة علوم لم تحلج عليه قبل ذلك، فما دام التالي لا يجمع عليه العلوم في كل مرة فاستعمال الذكر له أولى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی عصرك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمین.

ومن أخلاقهم:

ألا يقيم أحدهم في موضع يعتقد الناس فيه؛ لأن ذلك سُمُّ قاتلٌ له وهو لا يشعر، وأيضاً لا يعمل الأعمال ليموق بها على أقرانه؛ لأن ذلك دليل على العجب وعدم الإخلاص، وإنما يقيم في موضع الإنكار والاعتراض على أفعاله وأقواله حتى يتفصل ويبلغ مبالغ الرجال، وفي ذلك من الأمان ما لا يخفى على صادق.

ثم إذا اكتفى بعلم الله تعالى فيه، وصار لا يلتفت لدم الخلق ولا مدحهم فله أدب آخر فيه مفصل، ثم إن كثرة الاعتقاد في العبد إنما هي تابعة لصدقه وعلو همة، فإن المرائي الكسلان لا يعتقد أحد، وهو يذل في كل محل أقام فيه.

وكان سيدي محمد الشاوي رحمه الله يقول: من صدق المرء أن يكون على عادة للتغلب، ومع ذلك لا يعتقد أحد لدفعه الناس عنه لصدقه، فإن الناس ما اعتقدوا في مريد إلا لعدم صدقه، وميله إلى شكرهم له في الباطن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على مريدي عصرك تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم لا يجد في بلده من يريه فله أن يسافر إلى من هو منصوب إلى تربية المريدين في عصره، ولو كان بيه وسه مسيرة سنة وأكثر، لاسيما إن كان أحدهم مثلي بشيء من الأمراض الظاهرة أو الباطنة؛ فيخرجه من تلك البنية بحس معرفته وسياسته، وذلك كحب حدث أو حياء أو رئاسة، فإن كل ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، وقد أجمع العلماء كلهم على وجوب علاج الأمراض الباطنة، كإظهاره عن حد سواء لما ورد في ارتكابها من الوعيد الشديد، ولا يتواهى في السفر إلى من يخرجه عن ذلك إلا كل شقي مطرود عن حضرة ربه مقبوت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تجد أكثرهم مرتكباً جنة من الكبائر، فضلاً عن الصغائر، وما منهم أحد يطلب ذوائه ممن هو في بلده من المشايخ فضلاً عن كونه يسافر إليه، ولا تنس أن تعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سافر أحدهم لشبح بقصد أن يأخذ عليه الطريق وقائه بالجماء وعدم البشاشة فليصر على ذلك، ولا يرجع عنه بل يجب عليه الاعتناء به أكثر، وحمله على أنه إنما يفعل

ذلك بياناً لمعرفة همة ذلك المريد، وبياناً لحرارة الطريق وأهلها، فإن من شأن الطالب احتمال الذل في طريق تحصيله، ومن شأن المطلوب منه ذلك العزة.

قال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى:

مسي به ذل الخسوع ومه لي عز المسوع وقوة المسضعف
وقال أيضاً:

لو قال نبيها: قف على جبر العصا لو قفتم مثيلاً، ولم أتوقف
إلى آخر ما قال^(١).

ثم إن هذا الأمر لا يقع من الشيخ إلا في حق من تفرس فيه بعض خيانة، أما من تفرس فيه الصدق فلا يحتاج إلى امتحان. وعلى ذلك يُحمل حال من عبس في وجهه المريد أول قدومه عليه، ومن رحب به، فافهم.

فإن سيدي علي الطواص كان يقول: إذا جاءكم المريد يطلب أحد العهد عليه فلا تقولوا له: اصبر! فإن ذلك يخمّد نار هزيمته. انتهى.

وقد جاعني مرة ثلاثة من طلبة العلم الشريف من جامع الأهرار، يطلبون الطريق تفرست فيهم عدم الصدق، فقلت لهم: هل بلغ أحدكم مرتبة الإفتاء والتدريس؟ فقالوا: لا، فقلت لهم: لا تطلبوا الطريق حتى تعلموا ذلك. فرجعوا في الحال عما كانوا حاموا لأجله، وعمت أهم إما جاءوا بشهوة نفس، فإن الطريق كلها مية عمى مخالفة الهوى والنفس.

وقد قال القوم: لا يمثل لشيء دخلته النفس وإن كان علماً أو عملاً، لأنه إلى الإنم أقرب، ولكن غالب طلبة العلم الآن محجوبون عن شهود عدم إحلاصهم في العلم والعمل.

ولو أن الشيخ قال لأحدهم: اترك هذا العلم حتى يصح لك مقام الإخلاص فيه لم يطمع، بل يصير يرك في عرص الشيخ، فيقول في هذا: إن الشيخ ينمعي عن الاشتغال بالعلم ابدي يقربني إلى الله تعالى، كما وقع ذلك في كثير من طلبة العلم، وقد درج الشباب الصالح كله على دوام اتهامهم أنفسهم في الإخلاص.

حتى إن الإمام الموري رحمه الله أوصى بعسل كتاب الروضة، وقال: في نفسي منها شيء، وكان يذهب إلى الشيخ حسن المراكشي خارج دمشق ويشاوره في المسائل التي

(١) انظر: ديوان سيدي ابن الفارض قدس الله سره (ص ١٢٣، ١٢٤).

رجعها في مذهب الشاعبي قبل أن يصعبها في كتبه، ويقول: أحاف أن أنفرد بترجيح حكم فيكون وباله عليّ يوم القيامة. انتهى.

واعلم أن كل مرید لم يفضل عليه شيعة أو محرره بغير سب طاهر متقفّل، فهو كذاب في طلب الطريق، لا يجيئ منه شيء.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی زمانك تعرف حاله، ولا تفسد نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا جاور أحدهم في رواية شيعة على بية الترية أن يسره نفسه عن الوقوع فيما يظلمه الكذابون في تقريره في وطبعة في الرواية، فإن كل من يطلب ذلك ولو بقله فقد خان عهد شيعة، وإذا خان عهده فببب فوراً وليخرج من الرواية، فإن لم يخرج فقد عرض نفسه للمقت كلما وقع بهر الشيخ عليه.

وقد وقع ذلك لبعض المجاورين عدي والمترددین إليّ، فكما وقع بصري على الواحد منهم نزل عليه المقت قهراً عليّ؛ لعدم استحقاق الممدد، ولوقوعه بالاستهراء بالطريق وأهلها. ثم إذا ولي الشيخ أحداً من الفقراء في وطبعة، واتسع حاله فليتحمل كلفه عن الشيخ توسعة على إخوانه الدين لا وطبعة لهم في الزاوية ولا عبرها، أو هم وطبعة ولكن لا تكفي عباهم، ولا يبغى لمن وسع الله عليه أن يراحم المنقطعين في الحر والطعام؛ لأنه ما وضع بالأصالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى، كأهل الصفة في عهد رسول الله ﷺ.

وبذلك لما مات شيخ من أهل الصفة ووجدوا في داخل إزاره دهايز، فقال ﷺ: ((كيتان من فار^(١))). انتهى.

فعلم أنه لا يجوز للمجاورين أن يحافوا الشيخ إذا أشار عليهم بشراء شيء من القوت والأدم كل سنة، ويعمل بذلك حلواً لعباله، كما يقع فيه المخافون لعهد شيخهم، فإن ذلك حرام بين القوم، وربما جره إلى مقت الشيخ له. فلا يملح بعدها أبداً، وربما يش الشيخ في وجهه وهو ماقت له بقله، فيحذر المجاور من مثل ذلك؛ فإنه تفوق للوالد ولا يخفى حكمه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تعرف حالهم، ولا تفسد نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) لم نقف عليه هكذا.

ومن أحلاقهم:

ألا يعد أحدهم نفسه من المرئيين حتى يجاور هذه العفصات الثلاث وهي: عفة الدنيا، والعمل لأجل الثواب، وتحمل البلاء والمحر إذا ترادفت عليه، وعدم القلق منها، بحيث يطلب الإقالة من البلاء، فمن لم يجاور هذه الثلاث عففات فهو لم يشم من طريق الصادقين شيئاً لأن أول السبيل في طريق أهل الله تعالى لا يكون إلا بعد ذلك، وهناك يطلب الله تعالى صادقاً، يعني يطلب طريق معرفة الآداب المتعلقة بحضرته تعالى وأهله.

ومحك الصدق في عدم ميله إلى الدنيا أن يتساوى عبده المذهب والزبل على حد سواء، وعكس صدقه في طلب الآخرة أن يصير ويشرح كلما وعده الله تعالى عليه بالثواب، كضربه وجسه وضيق عرضه ودخو ذلك بغير حق.

وقد بلغنا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق تسارعوا إلى حضرته ووقعوا كلهم بين يديه، فقال تعالى لهم: من أنتم؟ وهو أعلم بهم، فقالوا بأجمعهم: نحن المحبون لك، فقال تعالى: انظروا ماذا تقولون، فإن المحب لا يصرفه عن محبته صارف، ولا ترده السوف والمتأنف.

فقالوا: ها نحن بين يديك فامنحنا بما شئت. فخلق الله تعالى لهم الدنيا وزينها في أعينهم، ففر إليها من بين يديه تسعة أعشارهم وبقي العشر.

فقال لهم الحق تعالى ثانياً: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فخلق لهم الجنة ورؤسها في أعينهم، ففر منهم تسعة أعشار العشر، ثم حاط بهم الحق ثالثاً وقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فأتاهم في أبصارهم وأولادهم وأموالهم وبنينهم، وهو الذي تسهم من فضله، فقال لهم: أنتم عبيدي حقاً، لا إلى الدنيا والآخرة ذهبت، ولا من البلاء مررتم، وأنتم حاصني من حنفي، وذاك أول سيركم إلى حضرتي، فسيروا على اسم الله تعالى إلى حضرتي، عبر متفتنين إلى أحد عيري، لأسمع عبيكم نعمتي، ولا أخرجكم من حضرتي أبناً لأبدين ودهر الناهرين. انتهى.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من إخوانك، تعرف حاله ولا تس نفلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

عص أحدهم بصره عن رؤية الصور المستحسبات التي لا يحل له نظرها أو يكره، فإن هذا النظر للقلب كالسهم المسموم، ومن وجد في قلبه ميلاً إلى مثل ذلك، فالواجب عليه أن يواصل الخوع بطريقه الشرعي، حتى يصير لا تدعوه نفسه إلى رؤية شيء من

شهوات الدنيا.

وكل من لا يسد عن نفسه باب النظر كما ذكرنا فيعلم أن الله خدله ومقته، ولا يجوز له ليس زي الفقراء، فضلاً عن الدعوى أنه منهم.

وهذا الخلق يحل به كثير من المسقة الذين يجمعون على المشايخ ولا يفهمون كلامهم في التوحيد، فيصير أحدهم يقول: كل حسن في الوجود فهو من جمال الحق، وجمال الحق مطلوب من الخلق أن يظفروا إليه.

وهذا أقوى من دسائس إبليس عليهم، ومنهم اليوم طوائف كثيرة على هذا الحال يسمون الإباحية، فيحب على كل مسلم الإنكار عليهم، وهجران أعانهم، ومع الصغاء من معاشرتهم.

وقد أنكرت مرة على واحد منهم نظر إلى أمرد فقال لي: إنما هي الله تعالى رؤية مثل ذلك للمحجورين بحجاب الإيمان، وقد خرجت من حجاب الإيمان إلى مقام الكشف والشهود. فقلت له: يكذب البعيد، فإنك لو وصلت إلى مقام الكشف والشهود لكنت من أول الماديين إلى امتثال أمره تعالى، واجتناب هبه، فإن الذي ادعيت أنك صرت في حضرته هو الذي نهاك عن مثل ذلك، فلم أجده له جواباً.

وقوله أنه خرج من حجاب الإيمان إلى الشهود جهل منه؛ فإن حجاب الإيمان يرى مع صاحبه ولا ينقطع أبداً، كما أوضحنا ذلك في كتاب المس والأحلاق الكبرى مراجعه. واعرض يا أخي هذا الأمر على مريدي عصرك، فكل من رأته عاصراً بصره فاشهد له بالصدق وإلا فهو كاذب، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يطالب أحدهم نفسه بالعمل بكل خلق سمعه عن أحد من أهل الطريق، وإذا لم تنجبه نفسه إلى التحلق به، فيمضيه الأكل والشرب. وأن يلزمها بالوحدة والسكون، حتى تنجبه، وهذا الخلق يخل به غالب من يدعي الصدق من مريدي هذا الزمان، فيقع أحدهم بحفظ تلك الحكاية ويعصير يحكيها للناس من غير تحلق بها فيها من الآداب، وربما طرأ الناس أنه صار من الصومية، فيصير يعتقد أنه عظمه، فينقطع بذلك عن الطريق وينحرف بحزب الشيطان، وأعرف من أهل هذا الحال اليوم جماعة لا يحصون.

ومن هنا أجمع الأشياء على أن كل مريد تكلم في مقام من غير أن يدوفه مقت، ومنع وصوله إلى ذلك المقام بعد ذلك عقوبة له.

واعلم أنه لا يجوز لمريد أن يفرر للناس كلاماً لم يتلصق هو به، وأنه يجب عليه

السكوت لو سُئل هو عنه خوفاً من الفتنة، كما درج عليه المریدون الصادقون، والله أعلم.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يفع أحدهم في معصية بعد التوبة على يد الشيخ إلا ويستم الشيخ بها؛ ليعلمه كيف التوبة منها، ويرشده إلى سد الباب الذي دخلت له المعصية منه، ويسأل الله تعالى قبول التوبة، ومنى كنتم عن الشيخ شيئاً من المعاصي التي وقع فيها خاف نفسه.

وما قوله يَنْبَأُ: ((ومن ابتلي بشيء من هذه القادورات فليستتر بستر الله تعالى)) فهو محمولٌ على من يتظاهر بها حال وقوعها منه، أو عني ذكرها لغير من يرشده إلى كيفية الخروج منها، أو على من لا يستغفر له.

هكذا قال بعض العارفين: إن أكثر من يقع في حيانة هذا العهد من وقع له إجارة من شيخه بالمشبهة، فيصير يقع في كل محذور، ويخاف أن يحكيه لشيخه، وقد قالوا: شيخك وربك لا تكذب عبيهما، وذلك لأن من نجراً على الكذب على شيخه فهو شاك أن يحرق الكذب على الله تعالى؛ لأن الشيخ مرئيه (دما) للمريد في مقام الصدق أو الكذب مع الله. فكان كل شيخ يقول لمريده: تعال أعلمك كيفية معاملتك مع الله تعالى، وأتعلم منك سوء الأدب الذي يقع منك في حقِّي، ثم أعلمك طريق الخلاص من ذلك، فإنه ما ثم عارف بالله تعالى إلا وهو يحب أن يهدي جناب الحق تعالى نفسه، وأعلم أن الصادق لا يكتف عن شيخه شيئاً من خواطره التي تستقر فضلاً عن الأقوال والأفعال.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من المریدين تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأخذوا معلوماً على شيء من الوظائف الدبية، كقراءة القرآن، والخطابة، والإمامة، والتدريس، والوعظ، وغير ذلك. إلا عند حصول الاضطراب بوجود شدة ألم الجوع أو البرد ونحوهما، ومنى وجد أحدهم اللقمة وما يستر عورته، ويرد عنه الأذى فلا ينبغي له أخذ شيء من ذلك المعلوم؛ لأن ذلك يوقعه عن السير. ومن كان يأخذ أجرة

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٨٢٥).

عمله ولا ترقى له في المحبة عند من استعمله، بخلاف من يخدم سيده امتثالاً لأمره، ومحبة في إظهار شعار شرع سبه ﷺ، فإنه يترقى بذلك إلى فوق ما كان يؤمله من المقامات، كما هو مشاهد في خدام الملوك وغيرهم.

وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله يقول: من اضطر إلى أحد معنوم وطبعة دبية فليأخذ ذلك سبة أنه اتلي عطاء من الله ﷻ، لا في مقابلة ذلك للعمل.

قال: وهذا شأن المرید ما دام في مقام الشرك مع الله في الأعمال، فإذا بلغ إلى مقام توحيد الفعل لله تعالى وحده، ورأى نفسه إنما هو محل برور ذلك للعمل لا غير، فهناك بصير يرى العمل لغيره. لا يحظر قط طلب أجرة عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولولا أنه يستحي من الله تعالى أن يقول: (يا رب ليس لي شركة معك في فعل من الأعمال) لقال ذلك، ولكنه أضاف الفعل إلى نفسه أدباً مع الله تعالى، كما أضافه الحق تعالى بقوله: تعلمون، تعملون، تكسون، تصعون، ونحو ذلك، فإنه يولا صحة إضافة الفعل إلى العبد ما صح له تكليفه، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب المنز والإخلاص.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على من يدعي الصدق في الإخلاص من المریدین تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأكل أحدهم من كسب امرأة لاسيما زوجته؛ لأن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، كل من أكل من كسب امرأة فهو من أردأ الناس، وكيف يليق لمن عنده أدب مروءة أن يكون معدوماً من أهبال النساء.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن من قبل رفقا من امرأة فهو مخدول، لا يجزئ منه شيء في انضيق، وقد رأيت الأشياخ الذين أدركتهم أول انصف من القرون العاشر يمنعون تلامذتهم أن يأكلوا من وليمة صنعها امرأة، لكنها إن كانت بدرتها لشفاء ولدها مثلاً.

وما ورد من أن الصحابة كانوا يأكلون طعام امرأة كانت تصعه عم كل صعة، فذلك بتفدير الشارع ﷺ لهم على ذلك، فهو مستثنى بما هي عنه الأشياخ.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی عصرک تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الشاعد عن أبناء الدنيا، لاسيما إن ماهم شيخهم عن ذلك؛ لأن المرید لصعته يسرق صعه من طباع أبناء الدنيا، فيصير في طلب الدنيا وشهواتها كأحدهم ولو غلط،

كما هو مشاهد فيمن يخالف العقراء على صدق، فيصبر يردري ليس الجبة التي كان يمسها في الزاوية والطعام الذي كان يأكله فيها، ويطلب أعلى من ذلك، ولا يتيسر له ذلك إلا بالدخول في الكسب بطريق حلال أو حرام، فيتلف ويخرج من طريق الزهد والفناعة التي كان عاهد شيعه عليها، وقد وقع مثل ذلك لبعض من حرج من طاعتي من الماوريس، فينقطع عن محالس السكر والعلم وتلاوة القرآن، وصار عليه ظلمة من شدة المقت، ولو أنه كان أطاعني ووقع بما في الزاوية من اللقمة والخرفة لكان عليه وعلى ثيابه السوء كالجماعة المقيمين في الزاوية، فلا حول ولا قوة ولا سعادة إلا من الله العلي العظيم.

وقد كان سيدي محمد العمري رحمته ^(١) يكره للفقير النظر إلى تحسين ثيابه، والخموس على باب المسجد أو شياكه الذي على السوق، ويقول: إن ذلك يشعل قلب الفقير عن أتاع طريق القوم، فعلم أن كل فقير ناه شيعه عن مثل ذلك، أو فرض له به وخالف فهو كذاب مخلول مغفوت، ولا يجرى منه شيء في الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة حرر أحدهم على نفسه وتوبيخها، وعدم استحسان حالها كلما ازدادت من الأعمال الصالحة، ولا يرضى عنها أبداً، وهذا الخلق قد قل المتخلفون به هذا الزمان، بل ربما رأى أحدهم نفسه على شيعه، وقد رأيت طائفة من المريدين حتى ذاب قلبي من علاجهم، ثم تغيروا وانقلبوا من طريق الاستقامة.

ولا تسأل يا أخي ما حصل لي من الأسف عليهم، وذلك تندسهم على مرتبتهم، وكنهم عني صفاتهم الخبيثة، فقصى عليهم ذلك النجس أواخر أعمارهم، ولو أنهم كانوا بنوا أمرهم على الصدق مع مربيهم، ولم يكتموا عنه شيئاً لمدهم بالصدق وأمنحوا. وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل من لم يوبخ نفسه، وينهم نفسه على الدوام لحقه عجب، ونكص على عقبيه في أثناء الطريق.

وكان حكمه حكم النحل إذا اشرفت على ختام أقراص الشهد، ثم سرحت أواخر

(١) قال الشيخ النصف: هو ابن سيدي أبي العباس العمري، كان من العلماء والصالحين على حد عظيم، توفي سنة ٩٣٩ هـ بمصر ومسجده بالقاهرة. وانظر: الطغقات الكبرى (١٣٢٢).

الختم على شعر الخنظل، فرعت منه ثم بحث ذلك على الأقراص فمررتها كلها. انتهى.
 فويح يا أخي نفسك، ولا تخرج شيعتك إلى توبيخك، وتعب سره فيك، فإنه ما
 وبخك إلا وأنت مستحس أحوالك في الباطن، فأخرج الله تعالى له بعد ذلك ما كان في
 نفسك وصدقه وكذبك، وقد ربيت فقيراً في باب بيتي، فكان يقوم بذكر الله ويصلي من
 الليل، فرأى نفسه أنه صار من المقربين بذلك، ولولا لطف الله لحسف به باب البيت،
 وأخرجني إلى عمارته.

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: أين العاصي أحب إليّ من رجل تمسحني.
 انتهى.

وذلك لأن العاصي يطلب بآية من الله المعفرة، والمسح يطلب برحله بالتمسح مع
 العجب المفت، فليتب.

واعلم أن كل مرید لم ير نفسه أنه قد استحق الحسف به لولا حلم الله تعالى، فهو
 هالك والسلام.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي انصدق من مریدی زمانك تعرف حاله،
 ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده أكل أحدهم أو لبسه بالدين، أو إطعامه الصيف، كذلك بل يصير أحدهم على
 الجوع والبرد حتى يوسع الله تعالى عليه.

وأما الضيف: فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد استعاد رسول الله ﷺ من عليه
 الدين وقهر الرجال^(١).

فأما الدين: فإنه أثقل ما يكون على من يؤمن بيوم الحساب، ويعرف شدة ذلك اليوم
 وما فيه من الصيق، حتى أن الرجل لينفي يوم القيامة بمثل عمل سبعين صديقاً، لا يطعن
 بنفسه النجاة، ولا يمكن المديون أن يدخل الجنة وعليه ذرة من حردل، بل يُحس عن
 الجنة حتى يوفي صاحبها من أعماله، ويتحمل عن ظهره من سباطه، ثم يُطرح في النار
 كما ورد، ومثل ذلك من يستعاد منه.

وأما قهر الرجال: فسب استعادته ﷺ منه، إنما هو من جهة حجاب صاحبه عن
 شهود أن العمل لله ﷻ، مكانه ﷻ استعاد من إرجاء الحجاب عليه حتى يصير يرى العمل

(١) رواه أبو داود (٩٢/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٤٨/٥).

من الخلق، فيقهر إذاً ذلك، فإن أحداً لا يقهر وهو يشهد الفعل لله أبداً، فما ثم عارف يقهر في الدنيا أبداً إلا وهو محجوب عما ذكرناه.

وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله^(١): ما فهرت في عمري قط، وذلك

(١) هو من تعني معرفته عن الإشارة إليه، وإن كانت معرفته مستحيلة على غير أبناء حسنة، «وقيل»
بن عبادي الشكوة [سب: ١٣]، وانضموا:

لُصاك واسم العامرية أنسي
أغار عليها أن يراها مواري يل

فهو ممن ورنوا: (لا يعرف قدره غير ربي)، فكان من موزونه بركة مربي وبغيره مربي، فنروا في
أمداء تحقياً بأحلاق سيدهم، وعداء (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا محرو)، حاتم الولاية
الحمدية، حجة الله على أوسائه، الذين انقي يشرّب بها عباد الله، التولي، الكامل، المقرب، السند،
المعلم بالله تعالى، المؤيد من الله ورسوله في جميع شئونه، سيدنا محمد بن علي بن محمد الصافي
الأندلسي، المعروف بالشيخ ابن العربي عتد، ونصبا به في المدارس، آمين، وأمانا على محبته وعنه
جميع الصالحين، آمين.

ولسد عتد في يوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمس مائة وستين هجرية، الموافق الثامن
والعشرين من يونيو سنة ألف ومائة وخمسة وستين ميلادية في مدينة مرسية (من أعمال ولاية
إندلوري) إحدى ولايات الأندلس (المعروفة الآن بأسبانيا)، وكان أبوه من أئمة الفقه والحديث،
ومن أعلام الزهد والصلوة، وكان جده أحد قصاة الأندلس وعلمائها، نشأ نشأة دينية تربية
صاحفة، وما كاد لسانه عتد ينحى حتى دفع به والده إلى نكر بن حنف عميد الفقهاء، فقرأ عليه
تفسير الكريم بالسبع في كتاب الكافي، مما أتم العاشرة من عمره حتى كان مروراً في الفرائد.
متسهماً في المعاصي والإشارات، وكان عتد من المومنين عند بعض ملوك المغرب، ثم أنه طرده
طارق من الله، فخرج في البراري على وجهه، إلى أن برز في قبره، فمكث فيه مدة، ثم خرج من
القبر فكلم بذلك المومنين عتد فقلت عنه.

وقال الشيخ الساري في «الطبقات» وقال بعضهم: برز الشيخ معرّفاً مؤثراً لتخلي ولاهران عن
اماس ما أمكنه، حتى أنه كان لا يجتمع به (لا الأفراد، ثم أثار انشاليف، فبررت عنه مؤلفات لا
هابة لها، تدل على سعة باعه في العلوم القاهرة والباطية، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع
والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاعد، التي لا يدركها ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقه، اهـ.

ولم يزل سائداً في كل بلد بحسب الإذن الحمدي، ثم برحل منها، وبحلف ما أُنعم من الكتب
فيها. وكان آخر إقامته بالشم، وكان عتد متقياً بالكتاب، محموداً بالنسبة، وبهول: كل من رمى
ميراث الشريعة من هذه لحظة ذلك.

وله عتد كرامات أكثر من أن تحصى، ومن أجلها مؤلفاته التي لم يجد الزمان مثيلاً، وعمر
أرباب الفضول العظيم عن السبع على موالها، ومنها: الإخبار به قبل ربه على لسان الحكيم
اترمذي حين ألف كتابه «حضم الأولياء»، فأحرر أنه لا يجل تلك الأسئلة إلا رجل من أهل

أولاً: يكون اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي، فكان هو الشيخ الأكبر؛ لأن اسمه الحكيم الترمذي محمد بن علي، ومنها: إخباره عنه عن السلطان سليم وعن دحوه الشام قبل رمي هذا السطاب، فوقع الأمر على ما أخبر به، وبني عليه السطاب قبره المعروف بسب ذلك، واختلف الناس في شأنه: بين معتقد، أو مسلم، أو منكراً، ويعود بالله من الإنكار؛ ذلك قصه يؤيه من يشاء من عباده، لم يشاركه في حبي حتى يشاركه في تسميته، وإذا أردنا أن نُس السكير من المعتقدين فلا بد أن نأخذ في الاعتبار ما يلي:

أن كتب ومؤلفات الشيخ الأكبر قد علمها وأطلع عليها جميع علماء الإسلام من وقت الشيخ إلى يومنا هذا، ومن يقل بعد سب التحيل إلى علماء الإسلام، وحاشاهم من ذلك؛ لأن كنهه وغفائده أشهر من أن يُشار إليها، وما من بلد مسلم أو حتى غير مسلم إلا وكتب الشيخ موجودة فيه، معبومة عند علمائه، وإذا نظرنا إلى المنكسرين في كتب الشيخ وعملائه جدهم كالآتي:

أولاً: المسلمون للشيخ علومه وسكنوا عن التكلم به، ومنهم شيخ الإسلام النووي؛ فإنه استغنى في الأمر، فكتب قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ فَمَا تَتْلُوا مِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [البقرة: ١٧٥]، لكن الذي عدنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسب الله بأحد من أولياء الله ويحجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بلزجهم، ولا يصح عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال في «شرح المهدب»: ثم إذا أُوِّلَ مليون إلى سبعين وجهاً، وإن لم يقل عنه إلا تأويلًا واحدًا، ما ذلك (لا تَعْتَبِرْ)!

لست شعري ومن يسترق لديه مثل هذا الخبر الآن، وكذلك شيعه الخواري حين استغنى، فقل: اختلف فيه من الكفر إلى القطعية، والتقسيم واجب، ومن لم يدك ما ذاقه القوم وبجاهد محامداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم هـ. وسبهم على ذلك حتى كثيرون؛ سالكون طريق السلامة.

ثانياً: المكرون علوم الشيخ عليه ومقامه: وهم فرعان: الأول: من قصد الإنكار لحسد، أو حظ نفسي، أو نقيصة بما فهمه تفهمه السقيم لكلام الشيخ، وهم نفر معدودون: كابن نيمية، وقام بآرد عليه كلاً من: الشيخ محمد المرحاجي في كتابه «هناية السائل في أسس المسائل»، والشيخ محمد المكي في كتابه «عين الحياة في معرفة الذات والأفعال والصفات»، والشيخ إبراهيم الكوراني (المنقب بمحمد الأشاعرة) في مواضع متفرقة من كتبه، والرد لندك كتاب ((مطلع الخواري في نهج التبرية في وحدة الوجود ومنهج التورود إلى مضاع الخواري)) وهو شرح على استنكالي في الكتاب السابق، والشيخ الشافعي في كتابه «الرد لمتين على متفحص العارف بالله سيدي محي الدين»، وهو من الملوها في الرد، والشيخ الشعراوي في كتابه «قول محمد في الرد عن الشيخ عبي الدين»، وهو يدافع عن الشيخ بقل بوضوح، ومنهم كذلك الشافعي، والشافعي، وقام بآرد عبيدنا الشيخ عمر حميد الخطار الدمشقي في كتابه «الرد على المعترضين على الشيخ محي الدين».

مدين»، وتناول كلامهما مسألة مسألة، وقد طبع هذا الكتاب فبينما، ومنهم أيضاً الفاعلي، ورد عليه الجلال السيوطي في رسالته «سنة العتي في تركة ابن العربي»، وكذلك الشيخ محمد بن جمعة المحمدي في كتابه «نزهة الأديبي في الرد على ابحار حبي الفاعلي»، وإن كان سبب التناجي هو رسالة الفاعلي في الشيخ ابن الفارسي نجا، وكذلك قد أمتى في الشيخ ابن احيوط، ورد عليه العلامة الفيروزآبادي في كتابه «الرد على المعتزليين على الشيخ محبي مدين»، أو الاعتباط بمعالجة ابن الحياطة، أما الملاء النجاري وكذلك السجاري فلم يفرح بإنكارهما عن واحد من ذكرهما، فكلامهم مكرراً، ولقد رد على من ذكروا رداً عليهم.

وأما المريق الثاني ذكره الشيخ السجاري في «الطهات»، فقال: مريق قصد بإنكاره تعبير الناس عن مصالحه كنه؛ لما اشتملت عليه من المشكلات وغويص المعصلات، فلم يقصدوا بإنكاره خطأ نفسياً.

قلت: ومنهم بعض الصوفية من يحتفدون بولايته وقطابته، مع سبي أناعهم عن الطر في كنه حشية أن يفهموا بالفهم السقيم أقوال الشيخ، فيظن به سوء، فيهلك مع الفالكون.

واعلم أنني ذكرت لك ما وقعت عليه من المؤلفات مما هو تحت يدي، وإلا فإن الرد على الإعراضات الواردة بسبب اهمم السليم على الشيخ نجا، كثيراً، أكثر من أن نستقصي، وسبباً على سبيل المثال «الحجاب العربي في حل مشكلات الشيخ ابن عربي»، للشيخ محمد المكي. ولا يحصى عليش أيضاً أن الرد على من ذكروا منشور في كتب اقوم. وفي فتاوى مشايخ الإسلام ومؤلفاتهم، هذا فضلاً عن أن بعض من ذكروا عليه اختلافاً بين أهل الإسلام كان تنمية فإن العلماء قدموا عليه في كثير من الأمور التي حرق بها إجماع المسلمين. كمسألة (البرارة البوية الشريعة) وغيرها من المسائل في علم الكلام، وراجع في ذلك «شفاء السقام» لفتحي المسكي. ودفع شه من شه وشهد وسب ذلك للإمام أحمد. تنمي الدين الحصري، وغيرها كثيراً، ولكن أميرة عدداً في الدفاع عن الشيخ هي بالقول لا بالقاتل، حتى وإن لم يكن معتزلاً عند أهل العلم. ثالثاً: المدافعون عن الشيخ وأحبين له، وهم كل أهل المصوف من عصر الشيخ إلى قيام الساعة، وكل من كان محباً لهم، أو تابعاً لهم من الفقهاء وعامة المسلمين، وتركوا بذكرهم، فقول: منهم المعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وحيد الدين الصمدي في تاريخ مصر. والشيخ رروي، فقال: هو أعرف بكل من من أهله، وحيث أصدق اقوم (الشيخ الأكبر) بمقصودهم هو اهـ.

والشيخ كمال الدين ابن الرمكدي قال في كتابه المؤلف في اسي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاحراً في المعارف الإلهية.

والشيخ قطب الدين الشيرازي، وقاصي الفصاء الشمس الساطي المائكي، وبدر الدين ابن جماعة، وقبل أن له شرح على «المصومين» والشيخ تقي الدين المسكي، وقد ترجمه ثالثاً: كان الشيخ محبي الدين آية من آيات الله.

والشيخ سراج الدين المخرومي، وألف في الرد عنه كتاباً حاولت ذكر الشيخ الشيرازي نقل منه في

مقدمة: البيروني، وشيخه فيه الشيخ المحروسي على أن شيخ الإسلام سراج الدين البغوي لم يمت في الشيخ بسوء، وجعل يستشهد لذلك.

وكان القاضي شمس الدين الخوجي الشافعي يخدمه خدمة العبد.

والشيخ البغوي في إرشاده، وكان يقول في ذلك: إن حكم إنكار هؤلاء الجبهة على أهل الطريق حكم ناموسية نطحت في الجبل تريد لإزالته من مكانه بهتتها.

والشيخ محمد العربي شيخ الخلال السيوطي، وغيرهم كثير مما لا يحصيهم العدد رضي الله عن جميعهم.

وأما: وهم ممن لم يعرف لهم إنكار، ولا قول بسبهم ولا محبة من علماء الإسلام، فالقول فيهم: أن جميعهم كما قلنا قد عسوا بولاعات الشيخ وعقيدته، وإلا لمهمم الجبل مأمور المسلمين، وإهم مؤيدون عقيدة الشيخ وعلومه، مقررون بعلوم مسرته وروحه، وإلا لو كان الأمر كما توهمه المكرون لأحدا جميع علماء الإسلام قوون الثقات: (السالك عن الحق شيطان أخرس)، وإما أن يكون سكوتهم لحوف المؤيد بسبب الشيخ وهذا بعيد، مما بق إلا أن يكونوا مقررين، فيكون كل من لم يمت في الشيخ بشيء محبا له، معرا بعقيدته، وإما كان المانع له عن بيان القول ما رآه من مسطرة المنكرين، وقوة ما رآه به مشايخ الإسلام عليهم.

تعقيب: أسمى الحافظ الذهبي، وكان من المكرون على الشيخ بسبب: «المقصود» مع تقريره لجميع مؤلفاته عن قول الشيخ في «التصحيح»: أنه أعطى الكتاب من الحصرة السوية الشريفة، فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محي الدين يكذب أصلاً اهـ

لهل هذا بعد رجوعاً عن قوله في «المقصود»: الله أعلم!

تنبيه: أعلم أن لا نتر أحد من مشايخ الإسلام المذكورين حجة على الشيخ الأكبر، فإن كانوا هم مشايخ الإسلام فهو شيخ الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان وما فوله من مراتب العبد: إذ من شروط الوراثه المحمدية أن يكون أعلم الناس في عصره بالكتاب والسنة، وأكثر أهل عصره أساغاً لها، ومعاد الله أن يكون واحداً من غير الوارثين بسندنا محمد ﷺ حجة عليهم، فكل واحد من محمديين حجة لأخيه، وليس غيرهم حجة عليهم، وإما قول هؤلاء المشايخ رضي الله عنهم حجة عليهم؛ لأننا بقولنا المقيدة وبحملنا حقائق الدين لم نكن نقبل علوم محمديين؛ فجعلنا إقرار من هو أقرب إلينا في مرتبة العقل والفكر النظري كالواسطة التي قلنا بها تلك العلوم؛ ففرعهم من مرتبة العقيدة، وإن كانوا هم فوقنا في تلك المرتبة؛ لوسع اطلاعهم على النص الشرعي الظاهر.

وأعلم أن هذا القول ليس قدحاً في علماء الشريعة معاد الله، بل هو علامة على عو مرتبة الوراثه المحمدية، بل أن من ظهروا بالمعلم الظاهر كالأئمة الأربعة هم عند اليوم من أهل الوراثة، وإن اختلفت مراتبهم بين وقد أو صدقي، أو غير ذلك من مراتب الولاية.

وبالجملة: فإن القول في الشيخ الأكبر بما الله به في الدنيا والآخرة أعظم من أن يحمله هذا الكتاب، وليس هذا محل بسطه، وإن شاء الله سقوم بتحقيق الكتب التي تدافع عن الشيخ والتي سبق ذكرها، وتذكر الدليل والشواهد على كل مقولة أو عصبه أو فتوى.

لشهودي أن الفعل لله وحده، فما تحلى تعالى لقبني في اسمه القاهر ولا القهار أبداً، وإسماء عرفت القهر من شهوده في غيري حين حُجب. انتهى.

فاعرض يا أخي الخلق على من يدعي انصديق من مريدي رمالك نعرف حانه ولا ننس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عجبتهم لئسة أخير إلى غيرهم دونهم بادئ الرأي. فإذا قاموا الليل وصلحوا بصدقة أو بنوا مسجداً، وسعوا شخصاً بضيف ذلك إلى غيرهم اشترحوا لذلك من غير تفكير، وإذا كانوا بعمرون مسجداً، ويصرفون عليه ما هم، وكان شخص بهم كذلك مسجداً، فطلب منهم المساعدة سرّاً فرحوا لذلك.

وحق عليهم أكثر من صرفهم على بناء المسجد المنسوب إليهم.

ومنى نقل عليهم لئسة أخير إلى غيرهم فهو دليل على عدم الإخلاص.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك نعرف حالهم، ولا ننس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم احتقارهم لمن كان من أهل المادة؛ لأن خاصته محبوبة، ولأنه يصبر بذلك بصل الله وحوده وحلمه على عبادته مع إحسانه إليهم ليلاً ونهاراً، وقد قال تعالى: ((إن رحمتي سبقت غضبي^(١))).

واعلم لي ذكرت من أقوال الشيخ ما كللت به تحقيق هذا الكتاب، وانتي مثالي في محلها إن شاء الله: من الأقوال بحديث العالم، وبه لملول والاتحاد، وغير ذلك مما نسب إليه إما بحضر لبراء أو بهم كلامه على غير مقصده. ولنحسم تلك الترجمة بما ذكره سيدي عبد الوهاب رحمه الله: رأيت في الرسالة الشيخ الأكبر فلنس الله سره ومعه سيدنا آدم عليه السلام، فقال الشيخ لسيدنا آدم: أنت هذا مولد يحيا كثيراً. وكنت في هذا الوقت مولداً بقراءة كتب الشيخ والرد عنه والأجوبة عن مسائله، فقال لي سيدنا آدم: يا ولدي، ألم تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: ألم تقرأ قول الله تعالى: «ولا يبرأون حتى يغفروا» [هود: ١١٨]؟ أهـ. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) رواه البخاري (٢٧٠٠/٦)، ومسلم (٢١٠٨/٤).

فائدة جلية: قال الشيخ ابن ماء العيين: وبذلك قال إلا في الحديث الرباني: رحمتي سميت بالعين المعجمة، عصى، في بعض الروايات: أي وسعتها وتعلمها، وذلك لأن الرحمة صفة لا تعق لها بفعل ولا غيره، وأما العصب فتعنيته فعل العبد. وهذا أمورٌ تفصّل عنها العاراب، ولا تقع

ومعنى (سبقت الرحمة الغضب) ما قاله بعض أهل الكشف أن أساء الرحمة يسبق معاها إلى العبد، فبأنى معنى الغضب فيحد الرحمة سفته إليه، فلا يعضد فيه الغضب.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥].

ومن كان يظهر فصل ربه عليه لا ينبغي له إلا الشّعظيم، ولكن يحتاج صاحب هذا المقام إلى عينين: عينٌ ينظر بها إلى كونه مطهر رحمة ربه وفضله، وعينٌ ينظر بها إلى تفریطه في جانب ربه، وقلة حمده، وشكره بالعقل، فبإيه دون من كان أكثر عباده منه، وهذا خلقٌ غريب.

فأعرض يا أحمي على مریدی عصرك تعرف مقامهم، ولا تفسد نفسك، وعظم الناس بحق، واحتقرهم بحق بحسب میزان الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

انحطط من دخول مقام التوحيد درقا، فإن فيه عوائل تحالف إجماع سائر الملل، وهو اعتقاد الوحدة المطلقة، حتى أن بعضهم قال: إن حقيقة الروح هو الله، وحقيقة إبليس هو الله، وأنه يحب طاعة النفس وطاعة إبليس في كل شيء أمر العبد به، وهذا أعظم مراتب الجهل والخرافات.

فإن العبد لا يلحق مرتبة السبيل أبداً بالإجماع، ولو تأمل انقائل بذلك في قوله لوجده كلاماً غير مغفول، كيف يقول بالوحدة المطلقة وينت هناك عبداً يعصى مثل إبليس أو غيره، فتعود بالله من اعتقاد يحالف اعتقاد سائر الملل، وتعالى الله عما يقول الخاطئون علواً كبيراً.

فيها الإشارات؛ لأنها أرق من الشعر، وأدق من النظر. ولذلك هذا الشعر صاحبه هو الفرد الكامل، وهو الموت العاقل عليه يدور أمر الوجود، وهو حقيقة الرب المصود؛ لأنه صارت له الصفات الإلهية ذاتاً محصية، فأعطى كل رتبة من مراتب الموحودات الإلهية والخلقية حقها؛ لتحقيقه بالأخلاق الرحمانية، كما قال ﷺ: «تخلقوا بالأخلاق الرحمانية»، وفي رواية: «تخلقوا بأخلاق الله».

وهنا نكتة لطيفة من بعض جوامع كلمه ﷺ وهي قوله:

(بالأخلاق الرحمانية). ولم يقل بالمحاربة ولا العظيمة ولا الكبرياء، قال بالرحمانية لما فيها من الشمول العبر مثبته بشيء، وتقدم أن الأصل في الصفات هو (الرحمن). كما أن الأصل في الأسماء هو (الله).

ولعلم أن اسمه (الرحمن) على وزن (معلن)، وهو يكون في اللغة لقوة أخصاف المتعصب به وظهوره عليه، ولذا وسعت رحمة كل شيء. وانظر: شرح الكبريت الأخير (بمحصينا).

وقد عجز العقلاء كلهم أن يتكلموا بلسان فرد لا ثاني معه، واعتبروا بالقصور عن ذلك، فإنه يبطل رسالة جميع الرسل، ويبطل أحكام جميع الكتب؛ لأنها كلها إنما جاءت إلا تنبية رب وعيد، كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((فراند القلائد في علم العقائد))، وذكرنا فيه أن جميع الأكابر من الأوثياء ملازمين لأدب العبودية^(١)، لم يخرج أحد منهم إلى قضاء مساحة الربوبية للناس في كل عصر، حتى أن بعضهم أعطاه تعالى

(١) قال الشيخ الشرفاوي رحمه الله (العبودية)، وهي الدلة والافتقار وليس بمع إلهي، وهذا لما لم يجد أبو يزيد السطامي شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى ليس للأنوهمية فيه مدخل، قال: يارب نادنا انقرب إليك؟ فقال الله تعالى له: تقرب إلي بما ليس لي: لعلني والافتقار انتهى.

والعبد معناه الدليل، يقال: أرض معنودة: أي مدله. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لَعَنُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] أي لعلوا لي، ولا بد من لا يعرفه، ولما ستر ذلك ابن علي بقوله: أي ليعرفوني فهو تفسير باللام، وإنما خص هذين الحسين بالذكر لأنه لم يدع أحد الأنوهمية والشكر على الله تعالى من سائر المخلوقات غيرها، ولم يتحقق مقام العبودية على كماله أحدًا مثل رسول الله ﷺ، وكان عبدًا مخلصًا في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتته؛ ولما شهد الله تعالى به بأنه عبد مضاف إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله ﷺ شحان الذي أسرى عبده ﷺ [الأنبياء: ١]، وبما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، براءة: أي ما قصدت الفخر عنكم بالعبادة، بل أردت تعريضكم بشري لكم؛ إذ أنتم مأمورون بالتأني، ورؤي: «ولا فخر بالبراي: أي ما فتنه مسح؛ إذ الفخر: المسح بالباطل في صورة الحق، والعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من السراج عظم الظل، ولا قرب من الله إلا بما هو بك لا به، وكما نبت من السراج صغر الظل، ولا يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفته التي تستحقها، وطعنت في صفته تعالى.

قال الشيخ الشعراوي في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب عدي بعد عن حدوده كونه مخلوقاً على الصورة، والله تعالى العز والكبرياء والعظمة فسرت هذه الأحكام في العبد تحقيقاً للواقع، والكمال من العبد هو الذي لا يعرفه خلقه على الصورة عن الفقر والبنية والعبودية؛ ما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار إلى أدنى الأشياء، والسالم من فرصة برعوت، وهذا يدركه كل إنسان من نفسه دوماً، فليحذر العبد من رؤية نفسه حتى أحد من رعبته. ولو عبده الذي في رقبته لأنه ربما يكون عبد الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: تجعل رأسك رأسي أو مثلك بعثني أو غير ذلك، فإن هذا كله دليل على الجهل والقسوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.

ولو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى يكرهه فكان ذلك كافياً في الزجر؛ لأن العبد كلهم حرمهم ورفضهم منك به تعالى. لا فصل لأحد عن أحد إلا بما فضله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحى، فالزم الدل وبرك البحر لعبدك وخدمك إن كتب عبد الله. انتهى. وأطر: شرح الحكم الكرديه للشيخ الشرفاوي (١٣٧) جعتهنا.

حرف (ك) في هذه النار، فلم الأدب، ولم يتصرف به فيها، وقال: لا أراحم أوصاف الربوبية.

وعنهم: أبو السعود بن النسل^(١)، الذي شهد فيه الشيخ عيسى الدين بن العربي أنه أكمل من شيعته الشيخ عبد القادر الحلي^(٢)، وما أعطى الله تعالى عباده علم التوحيد إلا ليعلموا به أنه تعالى إله واحد، لا ليتصرفوا فيه فيما ليس لهم، فإنه يخالف أوصاف العبودية التي بها تقررة العبد من حصرة ربه.

وسعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من حين خلق الله تعالى الخلق مهم معه ولا وصل ولا فصل؛ إذ الوصل والفصل لا يكون إلا مع المحاسن، ولا محاسبة بين الله تعالى وبين خلقه بوجه من الوجود، وما تعلق علمه تعالى بهم إلا وهم مفصولون عنه.

قال لهم: كونوا، فكانوا ونو كانت حقائقهم موجودة، كما يقول من يقول بقدم العالم ما كانوا يحتاجون إلى قول (ك)؛ لأن قول (ك) لا تتوجه إلا على معلوم لتوحده، فقد أخطأ والله من قال بعضه يعتق بعضاً فهو المعشوق والمحب إن كان قال ذلك عن صحابي، وإن كان قاله عن مكبر فالسكران غير معتبر بالعبادة.

وأما ما يستدل إليه أصحاب شطح من نحو قوله ﷺ: ((ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل، وأنها أصدق كلمة قالها شاعر لبيد^(٣))).

فلا يصح دليلاً للقائلين بالوحدة المطلقة؛ لأنه صرح بأن مع الله تعالى خلق، ونكر وجودهم بإمداد الله تعالى لهم بالوجود، لا مستقلاً بأنفسهم.

ومن كان وجوده بغيره فهو كالباطل؛ لأنه باطل من كل وجه.

فانهم يا أحمي، واعرض هذا التقدير الذي قررناه على مريدي عصرك تعرف حاجهم.

(١) هو العارف الأنجم والصوفي الأعظم سيدي أبو السعود بن شل البغدادي، ممن كملت ياقه إرادته.

وصفت في مشاهد الحق ذاته، أجهل أتباع الشيخ العارف ياقه عبد القادر الجيلي بن

وفان الشيخ الشرفلوي: كان مقامه الصادق لا حاله، فكان في العالم مجهولاً؛ تمكنه من مقام الصادق مع الله، بقيض الشيخ عبد القادر فإنه كان محققاً متمكناً في حال الصادق، فظهرت على يديه الخوارق، وكان مشهوراً في العالم رضي الله عنهما لما سمعا في زمانهما مثل الأول في مقام صادق، ولا مثل الثاني في حاله، فالصادق الذي هو عب لا يكون إلا لأهل الله تعالى، والصادق المعروف عند الناس سار في كل صادق من مؤمن وكافر، وهو ظل الأول كظل الشمس بالنسبة له. انتهى. انظر الكواكب الدرية (١/٦٤٥)، وشرح المحكم الكردية (٨٩) بتحقيقنا.

(٢) رواد البحاري (٤/١٧٦٨).

ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يهرح أحدهم بكثرة تحجير شيخه عليه، ومعه مما هواد نفسه كحس الهبة وبطاقة الثياب، ومعه من محالسة أصحاب شيخ آخر، وهد عمامته وتعميمها على غير مراده، ومنعه من وضع جنبه إلى الأرض ونحو ذلك. وكل مريد نكث من شيء من ذلك فهو كاذب في دعواه الإرادة، وربما بالغ أحدهم وكره شيخه وفارقه وصار يحط عليه في المجلس.

وقد كان الشيخ عيسى الدين رحمه الله تعالى يقول: يسعى للشيخ أن يأخذ من المريدين أشد احذر، ولا يريهم إلا سياسة تامة، فإن أكثرهم كادبون، وليحذر من أن يتركهم يحالسون أصحاب شيخ آخر، فإن المصرة في ذلك كثيرة واقعة، والنفس من شأنها الخيانة إلا من حفظ الله أخذ مريده مع مريد غيره، فحصل منه رحر له، فتحول عنه إلى ذلك الشيخ فمقت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التجرد عن الدنيا، ولا يسلك أحدهم منها إلا ما لا بد منه من خرقه يسر بها عورته، أو كسرة يسد بها جوعته، وفروة يدفع بها ألم البرد، ونحو ذلك، وهذا ما درج عليه الفقراء سلفاً وخلفاً، فإذا كمل حالهم فإن شاعوا وأجمعوا الدنيا وصرعوها في مصارفها، وإن شاعوا ناموا على التجرد، ومقام الغفر إلى الله تعالى بجميع الناس كلهم، وقد بسطنا الكلام على ذلك في المتن الكبير في مواضع.

وملخص ذلك أن المريد لا يكون صادقاً في تجرده عن الدنيا إلا إن وصل إلى حد الصدق، وذلك أن يصير يشترح بضيق اليد، ويقتصر لسعتها، ولا يكون ذلك إلا بجذب إلهي، أو بالسلوك على يد شيخ ناصح.

فاعرض يا أخي هذا على من يدعي الصادق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخروج من مخالفة الأئمة، فيأتوا بعبادتهم على أكمل ما يقدرون عليه من مراعاة الخلاف، ولا يقتصرون على العمل بمناهيهم، وربما فاتهم العمل بأحاديث كثيرة لم يأخذ

ها إمامهم، وكل قولٍ أو فعلٍ لم يبين الشارع ﷺ رتبته في الوجوب أو الذب عبادة على وجه التأسّي، مع قطع نظرهم عن جعله واجباً أو مندوباً، ويكفيهم التأسّي برسول الله ﷺ في ذلك، وأثبته على بية الوجوب كان أفضل، لكن ليس لهم أن يأمرُوا أحداً به فيصنعوا على الأمة.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله لا يدع عبده قط شيئاً لعب من دراهم أو طعام، ويقول: إن أباً در وغيره من أصحاب الصفة كانوا يرون تحريم الادخار فلا يحافهم، وكان يثب الوصوء في شدة الرد، ويمسح رايضه كله. ويرتكب الأشد في الأعمال حتى كان يتوصاً من اليوم متمكناً، ولا يعصلي بعير وصوء إذا نام متمكناً أبداً. وكان يقول: الرخص ليست لأمثالنا.

فاعرض ذلك على من يدعى الصديق من إخوانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عص البصر عن النظر إلى زينة الدنيا، وإذا لبس أحدهم مصربة جديدة أو صوفاً جديداً لا ينظر إلى ذلك خوفاً من المقت.

وقد لست فاطمة رضي الله عنها مرة حلة فأعجبها، فأمر رسول الله ﷺ بسزائها، وصلى اثني عشر مرة في كساء له أعلام، فنظر إليه فأعجبه فتركه تشريعاً لأمنته خوفاً أن يصير لهم بمنله فتشبه، وإلا فاعتقاداً فيه ﷺ أنه لا يشعله عن شيء من الكويين.

فاعلم يا أخي ذلك، واجتنب لبس كل ما يميل إليه النفس، ولا تشبه بالكُمُل من الرجال إذا لبسوا الملابس الفاخرة؛ فإنهم ما ساعوا بفوسهم بلبسها حتى تساوى عندهم المخرات، وعلط المشاق في غلو شها ورحصه وحسه وحقارته، فإن وصلت إلى ذلك فالبس مثلهم.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول: المریدون في لباسهم على قسمين: منهم من يلبس الحرقة، ومنهم يحكم الوقت من سعة اليد وصيقها، والذي يلبس لأخرته هو من يلبس ما يستر عورته، وتقية من الحر والبرد، مما لا قيمة له ولا نص، كشراميط الكيمان، والذي يلبس يحكم الوقت فعلاصة صدقه أن يلبس ما لا يعيبه.

وقد كان أويس القرني^(١) يكتسي من حرق المرايل، والذي يلبس يحكم الوقت فعلاصة

(١) نه مقام قديم في العراق، وموقفه مشهد محترم قديم من بناء المتقدمين، بروره المسلمون كثير؛ ويروى

بركته. وقد حُرِّب كثيرًا واشتهر في بلدنا أن كل ولد يكون سيء الأخلاق، قبل الاسم، كثير الأسقام، يروى هذا المقام الشريف بهذا وسراً ياد الله تعالى سريماً، ويكفي شرفاً ومحرراً لشرف هذا المكان ما ورد في الخبر عن نبينا ﷺ: «خليلي من هذه الأمة أويس القرني».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب من حلفه الأصفياء الأجهلاء، المشعة رؤوسهم، المعصرة وجوههم، الحميمية بطونهم، الذين إذا عابوا لم يفقدوا، وإذا استأدوا عسى الأمر لم يؤدوا، وإن حطرو المصنات لم يحكوا، وإن طعموا لم يفرج بظلعهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وما أويس القرني؟ قال: أشبه ذو صهوة بعيد ما بين المكين معدل لقامة آدم شديد الأدمة، صارت بقلبه إلى صدره، وأم بصره إلى موضع سجوده، وأصبع يمينه على شفتيه، يسكن عنقه عنه ذو ضربين: أي ثوبين حلقه لا يؤبه له: أي لا يبالي به ولا تنصت إليه مقرر دار صوف. ورداء من صوف محمول في الأرض معروف في السماء أو الاسم على الله ﷻ، إلا وأن يحب منك الأيسر سعة بهاء إلا وأنه إذا كان يوم القامة قبل للصادق: ادخلوا الجنة وقيل لأويس: اشفع مشعته الله تعالى في مثل عدد ريعه ومضرب يا عمر يا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكم».

ولقد اجتمع به السيدان عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما في السنة التي مات فيها عمر رضي الله تعالى عنه بأراك عرفات وهو يرعى الإبل، وعمره بالأوصاف، وسأوه الاستغفار لهما بعد أن سلما عليه فرد عليهما السلام، وقال: من أنتم؟ قال علي رضي الله تعالى عنهما: أنا أنا وعلي رضي الله تعالى عنهما: أنا أنا طالب، وأما هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فاستوى أويس رضي الله تعالى عنهما، فأنتما، وقال: جركم الله تعالى عن هذه الأمة حبراً، قالوا: وأنت جرك الله تعالى عن نفسك حبراً، فقال له عمر رضي الله تعالى عنهما: مكانك رحمتك الله تعالى حتى أدخل مكة، فاسك بعقة من عصائي وفصل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بي وبيلك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بي وبيلك، فعرمني ما أصعب بالعقة ما أصعب بالكسوة، أما ترى عني إرداً من صوف ورداء من صوف؟ متى تراهي أحرقهما؟ أما ترى أن علياً يخلصونك متى يرمي أنبيهما؟ أما يراي أبي أحدث من رعايي أربعة دراهم متى ترمي أكبهما؟ فلما سمع عمر رضي الله تعالى عنهما ذلك صرب بدمته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تده أمه، يا ليه كذب عقيماً لم نعالج حبها إلا من يأخذها بما فيها: يعني الخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين حد أنت هاهنا حتى أجد أنا هاهنا، فذهب عمر رضي الله تعالى عنهما ناحية مكة، وساق أويس إليه فوافي القوم فأعطاهم إياها، وخلق الرعاية، وتقبل على العبادة حتى لحق بالله ﷻ.

ورأيت في كتاب بحر لأسباب أنه: «قد قل نصفين بالقرب من البيرة مع مولانا أمير المؤمنين عني رضي الله تعالى عنهما طالب رضي الله تعالى عنهما، وقرره الشريف هناك مشهور بمرار في سنة ستة وثلاثين من الهجرة، وعشبه أمير المؤمنين ودمه بيده الشريفة، وله عجة هذا المقام في بغداد المشهور بمقام السلطان أويس القرني، فلهذا ﷻ قد تعبد فيه أياً، والله أعلم».

والظاهر أن لقب السلطان له مأخوذ من قوله ﷻ في حق خير التابعين، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيد بن جبير، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أن

صدقه أن يلبس ما لا يعبه عليه العلماء، ولا يزدريه لأجله السفهاء.
 قالوا: ولا يفي للمريد أن يتعرد عن الدنيا بالكية، بحيث يصير كلاً على الناس
 يطعمونه ويكسونه، كالنساء مع القوائم عليهم، فإن ذلك من رذالة الهمة.
 وقد ذكرنا في كتاب ((المنن الكبرى)) أن شخصاً من المخترعة جاء يزور سيدي
 إبراهيم المتبولي^(١)، فأعجبه الفقراء وترك حرفته، فقال الشيخ: لم تركت حرفتك؟ فقال:
 دخلت النراوية رأيت بومة عمياء في طرفة النراوية، ورأيت صقراً بأيتها كل يوم بقعة لحم
 تأكلها.

قلت أنا الآخر: أتوكل على الله وأجلس مع الفقراء.
 فقال له الشيخ: لأي شيء تجعل نفسك بومة لا تجعلها صقراً، فتأكل من كسبك
 وتطعم منه غيرك، فتأكل ذلك الشخص، ورجع إلى حرفته. انتهى.
 فاحذر يا أخي النظر إلى صوفك الحديد وجوحتك الحديدية على جاري عوائد الهوام،
 فإن ذلك يحري إلى الممات، ونه إخوانك على مثل ذلك، ولا تنس نفسك، والحمد لله
 رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أهم لا يأكلون ولا يشربون إلا عند شدة الجوع والعطش، وكذلك لا ينامون ولا
 يتكلمون إلا عند الضرورة، وبذلك يثابون ثواب الواجب.
 فإن الإنسان إذا اضطر إلى شيء من المباحات صار معه واجباً عليه.
 وأبى مرتبة المباح من مرتبة الواجب، فعلم أن كل مريد أتى المباحات من غير

رسول الله ﷺ قال: «حر الثايمين رجل يُقال له: أُويس، يأتي عبيكم في امتداد أيمن لو أقسم على
 الله لأبره، فإن استطعت أن تستعفر لك فافعل».

فلما قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يستعفر له حديث بطونه.
 وروى الإمام أحمد في الزهد عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
 يدخل الجنة شفاعاً رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر قال الحسن: هو أُويس القرني رضي الله
 تعالى عنهما. وفي حوش هذا المقام الشريف قبور كثير من السادات الحسبية والأكارم
 [الأشرعة] رحمة الله تعالى عليهم أجمعين. وانظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/١١١)، وأحلية
 (٢٩/٢)، وشهدب التهذيب (١/٣٨٦)، ولسان الميراث (١/٤٧١)، ولا تنسار بموصلي (ص)
 (٥٤٠) بتحقيقهما.

(١) كان من أصحاب المدوثر الكبرى في الولاية. ولم يكر له شيخ إلا السي ﷺ، وانظر: أحاربه
 ومناهل المنظمة في الطلقات الكبرى (٢/٧٧)، وأخلاق المتولية للمصنف.

ضرورة فهو مترخص، لا يجئ منه شيء في الطريق.

وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي رحمه الله معنا به يقول:

ربما كنت أمكت في بدايتي السعة أشهر وأكثر لا أكل ولا أشرب لعدم الضرورة،
ومكثت مرة سنة لا أكل ولا أشرب ولا أنام، ولا أصح جسي على الأرض، ولا أمد
رجلي.

وما كنت أتذكر الطعام إلا إن حضر بين يدي.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصديق من المريدين تعرف حاله، ولا تسن
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تفتش أحدهم نفسه كل ساعة؛ لينظر إقباله على حصرة ربه سائر أوقاته. فيجد في
العمل ويريد فيه، فإن الله سبحانه وتعالى لا يظهر حتى يشهده بقلبه إلا في العبادات التي
فرضها لا غير، ولا يظهر قط لعدو في مكروه أو مساح أصلاً، إلا إن فعل المساح بنية
صالحة، فيسعي للمريد إذا عرف من نفسه التلبس عليه ألا يقل ما تلقى به، بل يسأل
عن أحواله من يعرف أنه يصححه ولا يداهيه، ثم يقل ذلك الأمر الذي تبه له بحكم
الجرم، ويقول لنفسه: اقبل هذا الصبح من هذا الأح الصاخ، ويكثر من توييحها.

فعلم أن كل من لم يقد نفسه كما ذكر، أو لم يقل قول من يصححه من إخوانه فهو
منافق كذاب على الطريق.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على غالب المتمشقين من أهل عصرك نجده عاشاً
لنفسه، وإن وقع أن أحداً يصحبه ويش له نفسه عاداه وحرره، وإن شككت في قولي
فحرب وانصح شيخاً منهم بحصرة نلامته فيها هو مرتكبه من محبة الدنيا وشهواتها،
وانظر ماذا يقع لك من جماعته، وما هكلا المريدين الصادقون، رحم الله من أهدي
لأي عيوي، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده رؤية أحدهم نفسه على أحد من عصاة هذه الأمة، بل يرى نفسه أمسق الفاسقين
دائماً سرمداً، ويعص عن نقائص الناس جملة واحدة.

ومنى رأى نفسه مساوية لأحد من إخوانه في الدين والتقوى فقد أساء الأدب، وخرج
عن طريق الإرادة.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله يقول: لا يصح لمريد قدم في طريق الإرادة يرى

أن كل بلاء نزل على بلاده سب ديوه هو، وأن ذنوب الناس كلها معصورة إلا ديه. انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على المتمشحيين في أهل زمانك تعرف صدقهم وكذبهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

عدم تصدرهم لإزالة مكرات عصرهم؛ لأن ذلك إما هو من وطائف الأشباح لمعرفتهم بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا رآوا المكر بخلاف المريدين؛ فإن أحدهم جاهل بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا رآوا المنكر، ويدخله الإعجاب بذلك، ويشغفه عن الله تعالى ولا سيما إن حصل له بسبب ذلك صرب أو حيس أو جرح في جسده من جلد السلطان، وقد عدوا مثل ذلك من دساتس إبليس.

حكى لي شيخنا سيدي علي الخواص رحمته، أن جماعة من المريدين أقاموا في ساحة، فكانوا يحصدون بالأجرة، ويعملون من عمل أيديهم، وقيهم حي من الذكر، وكان إبليس كلما قرب منهم يكاد يحترق من أعباسهم، فمما عجز إبليس منهم وموس لجماعة من العياق فصرخوا بعضهم حتى أدموهم والمريدون يظفرون، ثم وسوس لهم أن ذلك حشر يعتدي عليه، وهو أفضل مما هم فيه، فحبسوا بهم، فهو أفضل لكم، فتركوا المجلس وقاموا للعياق فادموهم كذلك، وكان مقصود إبليس منهم أن يقطعوا مجلس الذكر لا غير. فاحذروا أيها المريدون من ذلك، فإن عوائل الشيطان كثيرة، ودساتسه أخفى من ديب النمل.

فاعلم ذلك، واعرض ما قررنا لك في هذا الخلق على مدعي الصادق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

ألا يتكدر أحدهم من عدم إدن شيخه له بالدخول عليه في بيته أو حلونه، وكل مريد أحد في نفسه من الشح إذا سعه من الدخول عليه مفتته الله تعالى. وقد وقع لي ذلك في بعض المريدين الذين خرجوا من تحت التربية، فحاء إلى باب داري، فوجد انياب مردوداً، فرجع مفتوئاً، فمكث نحو شهرين لا يجتمع بي. وظهرت أمارات المفت عليه، فطرت إليه فوجدته نزل إلى دون الخالة التي كان أتى عليها من بلاد الريف من نحو عشرين سنة، ولم أعين اسمه لكونه معروفاً بين أصحابي.

وعاب عن هذا المريد أن الشيخ مأمورٌ بأن يكون له خلوة لا يدخلها إلا الخواص من أصحابه، ومأمورٌ أيضاً بأن يكون له رابطة تخص عموم أصحابه دون الأجانب من أبناء الدنيا، ثم بتقدير أن الشيخ قال له: ارجع يا منافق لا تدخل علي، فيحب عليه تأويل ذلك على أحسن الوجوه، ويقول: إن الشيخ ساني منافقاً، وما ذلك إلا لنفاق مبي، فإنه صادق بلا شك، فيصير يفتش نفسه ليعرف صفات النفاق ويتوب منها، هذا الواجب.

وأما التكثر من نسبه إلى النفاق فهو عين النفاق.

فأعرض يا أخي ما ذكرته لك في هذا الحلق على حال من يدعي الصديق تعرف ما له مقام، ولا تفس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أمر أحدهم كنه جداً لا لعب فيه ولا مرح، وإن وقع من أحدهم شيء من ذلك عوقب عليه في المسام، لأن عمل المريد في بدايته دائماً إنما هو فيما فيه من نواب أخرى، ولا تكاد تجده في لعب ولا غيبة ولا سهو عن فعل شيء من الأمور التي تقر به إلى الله تعالى.

وقد وقع لي أني قلت مرة كلمة مصحكة من حال تدريس العلم، فرأيت نفسي تنك اللبنة مع خلوص المعاني، وأنني مرافقه في سفر من مصر إلى أن أشرنا على الهلة الكبرى، فاستمطت مرغوباً من ذلك؛ لأنني خلصت مع الشرع ما لا يلبق أن يُذكر معه، وسافرت إلى ورائي لا إلى قلبي، إن انحدرت عن مقامي، والكلمة المصحكة لبني قلت لما فرأ علي: يستحب أن يكون المؤذن أميناً، فقلت أنا: لاسيما إن كان بجانب المنارة امرأة جميلة فاسقة، ربما غمزها من المنارة وغمزته.

كما حكى أن امرأة كان يسها وبين مؤذن أماراً، وهي أنها إذا قال المؤذن في تسبيح الليل: لا إله إلا الله، وكان زوجها عندها تقول كذلك: لا إله إلا الله حاصر ناظر، فيعرف بذلك المؤذن. فيمتنع عن الجيء إليها، وإذا قالت: لا إله إلا الله، مسحانه ونعالي يعلم المؤذن أن زوجها عائب فيأتيها، وكانت تقصد بقولها: (تعالى): أي يا مؤذن تعال فإن روعي عائب، فلما حكيت هذه الحكاية ضحككت الجماعة، فهوتت في المسام على ذلك، وقيل لي: تحبط مع تقريرك للشرعية غيرها، فمن ذلك اليوم وأنا أُنحرر من ذلك.

وقد أجمعوا على أن كل مريد حبط جداً بهزل، لا يجيء منه شيء في الطريق، فإذا كان في مثل هذه الحكاية التي ذكرناها من أن فيها نصحاً ونحذيراً للإخوان، فكيف بالعبية والنسمة ونحوهما. نسأل الله العافية.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك، ولا تسر نفسك، واخمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم تاجرًا أو يفرح كلما حسر، ويعنه كلما ربح، إلا أن يكون المال لغيره، وذلك لأنه كلما حسر فقد قرب من الفقر وصيق اليد، وذلك من صفات الأولياء والصالحين، وكلما ربح قرب من صفات الخبارة والعاصين، تعلم أن كل فقير ادعى الصديق في حمة الطريق وحزن لموات شيء من الدنيا فهو كاذب.

ويقع لي بحمد الله تعالى أنه يصيق صدري كلما دخل علي شيء من الدنيا، وأشرح كلما منع الله عني شيئًا من الدنيا، فأشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك.

وقد وقع لنسبحنا الشيخ نور الدين الشوي^(١) أنه دخل عليه مال من بعض التجار، فاشترى به قمحًا للتجارة موسوم كله، فباعه بأقصر من رأس ماله، قال: فرحت بذلك غاية الفرح، وعلمت بأن الله تعالى لم يرد مني الاشتغال بأمور الدنيا. انتهى.

وكذلك ما أحبرني الشيخ الصالح عمر النشيتي^(٢) المكشوف الرأس أنه حصل له من بعض الولاة نحو ثلاثمائة دينار، فأعطاهما لشخص يتحرر نه فيها يسره وبين الله سبحانه وتعالى. فمجدها وصار يقول: يا مسلمين، الشيخ أبو شوشة مكشوف الرأس يدعي علي باطلا بثلاثمائة دينار. (يش بقي في الدنيا حبر، إذا كان هذا الصائم الدهر يدعي باطلا، فكيف بغيره؟) فدار مدينة الخانقاه كلها وهو يقول كذلك حتى حرمست، قال الشيخ عمر: فتركت مطالعته من ذلك اليوم، وعلمت أن الله سبحانه وتعالى ما أراد لي الدنيا، فله الحمد على ذلك. انتهى.

وكذلك وقع لي أنا وولدي عبد الرحمن بأن أحد شخص من ومنه حسنة دينار،

(١) الشوي: سنة إلى شوي من أعمال العربية. نشأ معروفاً عن النهو، ويحتج وهو حتى رابع أول مجلس لصلوة علي النبي ﷺ وذلك بمسجد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما - ثم انتقل إلى القاهرة وأبنا مجلس صلاة علي النبي بالجامع الأزهر تحت سح وبصر لعلماء المحققين. وعنه انتشر في جميع الأنظار. وهو أحد شيوخ المؤلف، ومن الأقطاب الوراثين. توفي سنة ٩٤٤ هـ عندهما الله به، وعرف بالحق، وأخيه هو مجلس الصلاة على النبي ﷺ. وصريح الشيخ بهصر، يرار قدس الله سره، ونور صريحه.

(٢) قال الشيخ المصنف: أحد أصحاب سيدس أبي العباس العمري، وكان من الرجال المعبودة في السنادات، وكان صاحب همة، يكاد يقل عنه في قضاء حاجة الفراء، توفي سنة سبع وتسعمائة، ودفن في بيت في رلويه، وله أجمع عليه غير مره واحدة، فدعا لي بأن يسري الله بين يديه في اقيامة. وانظر: الطغفان الكبرى (١١٤/٢).

كما جمعها على اسم الخج يسا وبين الله تعالى، فادعى أن الله تعالى أذهبها كلها من بين يديه، وصار يقول: فلان وولده ظلموني، ونفسهما عندي حق، فأما الثلاثمائة التي تعبق بي فسامعتها في الدنيا والآخرة، وأما مدوس الولد فحسبه، ووصل منه إلى غالب حقه، فليمرح المرید الناجر كلما ناجر وخسر، فإن الله تعالى أراد به الخير، وكل مرید تكسر خسارته في الدنيا فقد تودع منه في الطريق، وهو من أبناء الدنيا لا من أبناء الآخرة. فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وإخوانك تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مأذرتهم إلى السعي في إزالة الخجل من جلسهم إذا وقع في شيء يحمله، كما إذا كثر اللغو واغذيان، فقال شخص من القوم وهو في وسط الحكاية: الفاتحة يا جماعة، وذلك بأنا نقرأ الفاتحة ثلاث مرات وأكثر، وبكلمة كلامًا طيبًا ثم سأله الدعاء، فيقول في نفسه: لو كانوا ضجروا من كلامي ما قرأوا الفاتحة أكثر من مرة، ولا سألوني الدعاء، وهذا خلق ما رأيت أحدًا من أقراني يراعيه. فاعمل يا أخي بذلك؛ ليعاملك الله بظهره إذا حصل منك ثقل لجليسك مع جماعة فيزيلوا طبعك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلب أحدهم من الشيخ أن يجيبه عن كل ما سألته عنه. فإذا وصف أحدهم لشيخه رؤيا وآها، أو مكاشفة كاشفها، أو مشاهدة شاهد بها أمرًا ما، وسأله عن مسألة ما من الشريعة، فلا يسمي له مطالبة الشيخ بالجاب ولو سألته: لأن شيخه حكيم الرمال، والمرید غليل محجوب عن رؤية ما يمتعه وما يصره، وربما كان ذلك الجواب يصر بالمرید، إذا اشتمل على أمر فيه تعظيم قدر للمرید، وربما رأى نفسه بذلك على شيخه، فسقط من حرمة الشيخ في قلبه بمقدار ما رأى نفسه عليه، ووقعت الإنابة منه عدم الانشاع بكلام الشيخ، وترك العمل بما يصححه، وإذا ترك العمل بما يصححه به وقع الحجاب والمطرود، وإذا وقع ذلك خرج المرید عن حكم الطريق، وأُعيد إلى أرض الشهوات، فمثل كمثل الكلب. نسأل الله العافية.

وكان سيدي يوسف المعجمي رحمه الله تعالى يقول: لا يسمي للشيخ أن يتكلم على ما يحكيه له المرید، أو يسأله عنه التثنية، وإنما يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما في ذلك من المضرة أو الحجاب، ويرقيه إلى ما هو أشرف من ذلك.

فاعرض يا أخي ما قررتَه لك في هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حاجهم في الأدب مع الشيخ، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يعتر أحدهم بطول صحبة الشيخ، ويرى نفسه انفصل ممن صحب الشيخ بعده، وأنه أرقى منه في المقام؛ لكثرة صحبته للشيخ وصدقه معه، لاسيما إن صار المريد القديم حطباً أو واعظاً، فما كل من سبق سبق، ويجب على المريد إذا صار له جاه في قلوب الخلق أن يحصل رحر الشيخ له بين الناس، وإخراجه من الخنفة، فإن جرى برجله فإن الشيخ ما أخرجه من محبته إلا لمصلحة تعود عليه، ومتى تكدر من شبحه لأجل ذلك فقد خرج عن الطريق، ووجب عليه تجديد العهد.

وقد قانونوا للشيخ ثلاث محال: مجلس العامة، ومجلس لأصحابه من المريدين، ومجلس للخواص منهم، كل واحد على أفراد، ولكل مجلس كلام يخص أهله متى سمعه من ليس هو من أهله أصراً بحاله، فأما مجلس العامة فيجب على الشيخ ألا يترك أحداً من المريدين يحصره، ومتى سامح أحداً من المريدين في حضوره فقد أساء في حقّه، إما الواجب عليه أن يأمره بالانحسار عنه على الأفراد، وذلك حتى لا يسمع العامة أو غيرهم شيئاً من رحره وتقربه وتوبيحه، وأن الواجب على الشيخ ألا يفعل عن زحر المريد وتقربه وتوبيحه، وبأن أن الأمر الذي هو عليه حال ناقص عن مقامات الرجال، ونسبه على زياده منه ونقصها؛ لأن لا يختص برؤية محاسن نفسه.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى يقول:

من شرط الشيخ إذا جالس العامة ألا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات، وذكر ما كان عليه أهل الله تعالى من المحافظة على آداب الشريعة، وأحكامهم إليها ونحو ذلك، انتهى.

وأما مجلس الشيخ مع خواص المريدين فنشرطه: ألا يخرج عن نتائج الأدكار والخلوات والمراقبات والرياضات.

وإيضاح السبل إلى طريق المجاهدة إلى المسات، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا لَنَا لَسَنَزِيدُهُمْ مَسْئَلًا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فاعرض يا أخي ما قررتَه في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولعلك تتحد أكثرهم بتعبير مه كل شعرة إذا رحره شيخه من الجلوس معه، وربما صار ينقص في المجالس بسبب ذلك، وربما كان الشيخ حال رحره للمريد عن الجلوس في وقت لا يسعه

فيه غير ربه **يُخَلِّقُ**، وصاحب هذا المقام يرحر السلطان ولا يبالي به، فاعلم ذلك، ولا تس نفستك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم فاعة أحدهم بما حصل له من الحصور مع الله في غالب أوقاته، ولا بما حصل له من التوكل والتسليم، وغير ذلك من الأحوال في المقامات، فإن الأمر بداية ما تم فيه نهاية. وقد كان سيدي إبراهيم المتولي **رحمه** يقول: لا يكثر تعظيم أحدكم نفسه، وإنما يرى نفسه دائماً صغير اليد، قدمه ومتاعه من إمداد ربه **يُخَلِّقُ**.

وكان يقول: لا يعتر أحدكم بما حصل له من الحصور مع الله تعالى في عبادة وترك ما سواه، فإن ذلك ليس من طبع النفس، والآخر مثلها، أن ما هو أمر عارض عرض لها، وربما رجعت إلى طبعها من الغفلة والحجاب في أسرع من لمح البصر، فعلم أن كل مرید لم يتعقد نفسه في كل ساعة ولحظة فهو بخدوع، ولو كان من أكبر المشايخ فصلاً عن المریدين.

قال تعالى: **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَنَّ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَنَّ الْخَيْرُ مُنُوعاً** [المعارج: ١٩، ٢٠، ٢١]، وكل رديلة في النفس قد أبان فيها أن الفضائل فيها مكتسبة لها، ليس هي في جبلتها، ومعلوم أن الأمور المكتسبة سريعة الذهاب من رهد وورع وإقبال على عبادة، وغير ذلك.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تجد غالبهم يفتع بأدنى شيء يحصل له في الطريق، ثم بعد مدة يسيرة يتحول ذلك عنه، ويصير مسئولون من كل حبر، حتى يظهر عليها لوائح المغت، سأل الله العافية، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة العمل على حلاء مرأة قلوبهم من الصدا المانع من كمال محبة الله **يُخَلِّقُ**، وذلك حتى لا يمل أحدهم من كثرة الأوراد وسهر الليالي بين يدي ربه **يُخَلِّقُ**، فإن كل من تغلق بالسهرة وكثرة الأوراد فذلك دليل على محبة الله **يُخَلِّقُ**، وأن عنده بقية من صفات أعداء الله سبحانه وتعالى، ولو كان أحدهم يحب الله لكأن محالسته تعالى ألف سنة عنده كلمحة، ثم الدهر بكمال محبة الله **يُخَلِّقُ**، وهو محبة المرید نشيحه وسهره معه الليالي، فإنه مرتبة إدمان للمرید، فيقول: كيف أيام وشيحي مهرا! فلا يزال كذلك حتى يصير يقول: كيف أيام وربّي لا أيام! فيكون يومه عليه بعد ذلك، فيصدق الله تعالى لا يقص له به رأس مال. فاعلموا ذلك أيها المریدون، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة بدمهم واستعمارهم إذا ماتهم مجلس ذكر، فيتأسفون على ذلك أشد من تأسفهم على موت ولدهم وذهاب مالهم، ولا يصير لأحدهم ذلك اليوم ميل إلى أكل ولا شرب ولا ضحك ولا جماع، ولا عبر ذلك من شهوات الدنيا، حرثاً على موت بحالهم لله تعالى، بل لو مات أحدهم أسفاً على ذلك لكان قليلاً، فعلم أن كل مريد فاته ورد واكل ذلك اليوم أو ضحك أو جامع حليته فهو كاذب في دعوى الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من شئت من المريدين تعرف صدقه أو كذبه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم حادفاً في أمر ديه، فقيهاً في كل ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من علامات صدقه في الطريق، فيتحايل على تحصيل الفوائد، كما يتحايل عب الدنيا على تحصيلها بل أشد؛ لأن الأعمال الأخروية أشرف من الدنيوية بالأعمال.

فإذا علم أن لبن الفرائض يورث كثرة النوم نام على الخصيرة أو على الأرض من ذات نفسه، ولا يجوز شجحه إلى أن يأمره بذلك، فإذا نام عن ورده إلى آخر الليل نوصاً، وفراً في صلاته بحوامع الكلم التي ورد أنها تعدل ألف آية، أو نصف القرآن، أو ربعه، أو ثلثه كاية الكرسي، و(أهاكم التكاثر)، و(إذا زلزلت)، والكافرون، وسورة الإخلاص. ونحو ذلك، ولا سيما إن وقع لهم فوق ذلك الورد أو آخر أعمارهم، فإنه يأكد القراءة، والقراءة بحوامع التسبيح والتكبير والتهليل اغتناماً للأجور، صاق الوقت أو العمر، ويطلب القراءة بالمعلومات على ما إذا اتسع الوقت، كما صرح الفقهاء في كتب الفقه، ثم الذي ينبغي لمن نام عن أول الموكب الإلهي مثلاً أن يوبخ نفسه كل التوبخ، ولا يرى أنه جبر ما فاته من تطويل القراءة مثلاً بحوامع الكم التي قرأها؛ لأن ذلك جعله الله رخصة لمن تعاضى أسباب كثرة النوم من الشبع والشرب وكثرة الأذى ونحو ذلك.

فاعرض يا أخي ذلك على غالب المريدين في عصرك تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة محنتهم للفقهاء ولو بالنوع في الإنكار عليهم وعلى طريقتهم؛ لأن الفقه ما يكر إلا ما لا يصل إليه فهمه، فهو معدوم في إنكاره من حيث أن الشرع أمره أن يتكر كل ما رآه من المنكر بحسب فهمه، وإن لم يكن الأمر منكراً في نفس الأمر.

كما يشهد به واقعة موسى مع الخضر عبيهما الصلاة والسلام، وأن موسى عليه السلام ما أنكر إلا لما علم أن الله سبحانه وتعالى أباح له ذلك؛ لأنه معصوم من الله، معذور فيما لم يعلم أن الله تعالى أباح له ذلك.

فكل مرید عرت نفسه من العقبة المنكر عليه فهو جاهل، لا يحسن منه شيء في الطريق لمعاداته لحملة الشريعة، الدين هم هداة الناس، لاسيما إن كان لم يتحرر في العلم، كغالب مریدین هذا الزمان الذين يتلمذون للأشباح من غير علم بالشريعة، فإن كراهته لأهل العلم من علامة مفت الله تعالى له، كما عليه طائفة فقهاء المطاوعة وبعض فقهاء العجم.

مقولون: الفقهاء محجوبون عن الله، والحال أنهم هم المحجوبون ولكن لا يشعرون. فاعلم ذلك يا أخي ونش نفسك، ربما كنت أنت الآخر تكره الفقهاء المكربين عليك، ثم تصير تلهتهم وعدحهم رياءً وفاقاً، واعلم يا أخي أن الفقيه ما أنكر عليك إلا ما خالفت فيه ظاهر الشريعة بحسب مقامه، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يترك أحدهم درجة في جنة الأعمال إلا وله فيها نصيب، وذلك بالأدع شيئاً من فعل المأمورات الشرعية إلا فعله، ويفعل ولو مرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فمن لا عمل له لا يدخل جنة الأعمال، كمن خلق مجنوناً أو مهلولاً، وإنما يدخل جنة الاحتصاص والممنن.

فإياك يا أخي أن تكتفي بوع واحد من العبادات، أو أنواع وترك كثيراً من الأعمال، فتحرم كثيراً من الدرجات، فاجتهد أن تكون قارئاً ذاكراً مهلاً، مشتغلاً بالعلم، كناساً للمساجد، قاصباً لحوائج الناس، حافرّاً للقبور والأبار، وفاداً في المسجد، إماماً، طاحاً، طحاناً، عحائلاً، رراغاً، حرناً، وهكذا، فلا يحقك عن فعل شيء من ذلك إلا عدم قسمه لك والكسل والتكبر.

ومن هنا قالوا: إن شرط المرید ألا يوجد إلا في عمل حبر، فتكون أوقاته كلها مصورة به.

فاعرض يا أخي ذلك على مدعي الصدق من مریدی عمرك تعرف حاله، ولا تسب نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

الأحد بالمال الحسن، وترك التطير تأسيًا برسول الله ﷺ؛ فإنه كان يحب المال الحسن لأمره كالشئ من الله ﷻ؛ إذ لا يعلم أحد ما في عنده تعالى حقيقةً. لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وهذا الخلق قليل من يرعيه، لا سيما من علب عليه شهود السوابق من المریدين، فلا يشوا أي فائدة في سماع أنمال، ولا يعلم أحد ما في علم الحق؛ فيقال له: إنما يهرح بعد بالمال الحسن طلبًا لخصول ما يحب من حضرة الإطلااق التي يفعل الحق منها ما يشاء، ومن وقف مع السوابق فعل الأمر بالنداء. وكثيرًا من الأحكام، وهو مثل من علم أن السماء فوقه والأرض تحته فوقف عند ذلك، ولم يتعد إلى عجائب ما فيها. انتهى.

وقد بلغنا أن رجلاً قرع باب الشيخ أبي مدين عليه السلام، فرج إليه ولم يكن في بية الشيخ

(١) هو سيدنا العوث، مصعب الأوباء، من أعيان مشايخ المغرب وحضور المغربين، وشهرته يعني عن تربيته. مات بلمسان ودُفن بها، وقد باهر الثعابين وقبره ثم طاهر الرار، وكاد سب دعوته تلمسان أن السلطان لما أتبعه خبره أمر بإحصاره من بجاية ليتبرك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وبسلفنا خمسة بزور الأخوان، ثم برل واستقل العبة وشهد، وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، وعجلت إليك رب لترضى عليه السلام [طه: ٨٤]، ثم قال: الله أخي ووصي روجه.

قال الشيخ أبو الخناح الأقصري: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول: نقيت أبا العباس الخضر عليه السلام سأله عن شيخنا أبي مدين فقال: إمام الصديقين في هذا الوقت، وكان عليه السلام حنبلاً طريفاً متواضعاً راعياً ورعاً، محققاً مستملاً على كرم الأخلاق، واجتهد المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأذّبوا بين يديه.

ومن كلامه: ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها. وكان يقول: الخلق من الأنس والشوق فاقد الخيبة.

وكان يقول: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

وكان يقول: الفخر نور ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره.

وكان يقول: الحضور مع الله جنة، والغيبة عنه نار، والقرب منه نعمة، والبعد عنه حسرة، والأنس به حياة، والابتعاد عنه موت.

وكان يقول: الإخلاص أن يقرب عنك الخلق في مشاهدة الحق تعالى.

وكان يقول: من نظر إلى اسكوبات بطرة إرادة وشهرة حجب عن العرة فيها والانتفاع بها.

وكان يقول: من عرف أحدًا لم يعرف الأحد، والحق تعالى ما كان عنه أحد أي من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحد أي: من حيث الملكات والصفات.

وكان يقول: من لم يصلح لمعرفته شغله برؤية أعماله، ومن سع منه بلغ عنه.

وكان يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقته بدعوته إلى ذلك فهو مفتون، وكل من رآته

أن يدخله بينه في ذلك الوقت، فقال له: ما اسمك؟ فقال: أحمد.

الفائدة: من سادات القوم، ثم إن أكثر من يقع في مثل ذلك من أكثر من مطالعة كلام القوم من غير شيخ، ويحفظ حكاياتهم، ويرغم أنه صار صوفيًا، فمجرد ما يقف على باب التوحيد يقول: أنا وصلت، ولو أنه كان له شيخ لأحد بيده، ورفاه إلى مقامات الرجال.

فاعرض يا أخي ما قرراه لك على مریدی عصرک تعرف حاجهم، ولا تس بمسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم كثير النظر في أخلاق شيوخه؛ ليتأسى بما فيها من رعب وورع وخشوع وقناعة وتقوى وسليم وصبر وغير ذلك. ولا يهمل أخلاق شيوخه، فلا يتحقق منها إذا مات شيخه يصير حكويًا، يقول: كان شيخنا كذا، وكان يفعل كذا، ويقول كذا، فيقال له: ماذا اكتسبت من شيخك؟ ولا يجد عنه اكتساب شيئًا، وهذا الحال قد فشى في غالب أصحاب مشايخ هذا الزمان، ثم إنه مع عدم انتفاعه بشيخه الذي يرغم أن الزمان ما بقي ينجف منه، يمش نفسه، ولا يصير عنه تطاوعه أن يتلمذ لأحد ممن لقبه أن يشمه شيئًا من روائع الطريق، فيا حسارة مثل هذا يوم يقوم الأشهداء، وتكشف أحوال أهل الدعاوى، فالعاقل من تدارك ما فاتته من شيخه على يد شيخ آخر، ولم يمش نفسه.

فاعرض يا أخي ما قررته لك على من يدعي الصادق من مریدی عصرک، ولا تس بمسك، ولعلك وإخوانك لا تنكس لكم نفس أن تأخذوا على أحد بعد شيخكم الذي لم ينتفع أحد منكم به، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

مع الله يدعي حالاً لا يكون على ظاهره منه شيء فاحملوه.

وكان يقول: من قطع موصولاً بربه قطع به، ومن أشعل مشعولاً بربه أدركه المفت.

ومكث سبعة في بيته لا يخرج إلا للجمعة، فاجتمع الناس على باب داره، وطلخوا منه أن يكلّم عبيهم، فلما أكرموا خرج فرأى عصابير على سدة في النار، فلما رأوه فرّجوا فرجع، وقال: لو صلحت بلعديت عبيكم لم نقر مني، ثم رجع وجلس سبعة أخرى، ثم جاءوا إليه فخرج فلم نهر من الظهور، فتكلّم على الناس، وورث الظهور نصيب ما جئنا به وتصق حتى مات منها طائفة، ومات رجل من الحاضرين بمكة. انظر في ترجمته: طبقات الشعمري (١/١٣٣)، والانتصار للأولياء الأخيار للموصلي (ص ٤٥١) تحقيقاً.

ومن أحلاقهم:

أن يريد في محبة كل من راه يحب شيخه، وذلك ليرفقا إلى محبة كل من يرويه يحب ربه ويعظمه، فإن كل حرب لا يعظم إلا من أحب محبوه، وبذلك تعرف مقامات الرجال عند الله تعالى، بحيث قام التعظيم لله تعالى في قلب عبد من عبيده، كأنما من كان، وحسب تعظيمه وتجبيله وإكرامه.

ومن ما عظم بعض الصالحين بعض العوام أكثر من تعظيمه طلبة العلم، لما قام عبد ذلك العاصي من التعظيم لله سبحانه وتعالى، وقد كان شخص من حلبة الوالي اسمه الحاج أحمد ينام عددا في الزاوية سبع عديدة، ثم بعد ذلك تحول وصار ينام في محراب أكرامه، وكان عارفاً، فقلت له: يا حاج أحمد، ما حملك على الخروج من الزاوية؟ فقال: سعت شخصاً من المهاجرين يحرر منه ربح وهو نائم، فحمت أن يحرر مني ربح كذلك في بيت الله وأنا نائم، فأسى الأدب، ثم لم يزل ينام في ذلك إلى أن مات رحمه الله.

فاطر يا أخي تعظيم هذا لبيت ربه، مع أنه من حلبة الوالي، وأحد المهاجرين يحرر الربح يلاً وسهلاً لا يخطئه فضلاً عن النوم، ولا يرى ذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فالعاقلة من أخذ الأدب والحكمة من أي من جاء بها.

كذلك وقع لي لأسي كنت أسمع وردني بالسبحة الكبيرة، فوضعتها بعد ذلك على البساط، فراها الحاج علي المشرقي أحد أصحابها، فأمرني أن أعلقها في مسمار في الحائط، وقال لي: عظم ما تذكر اسم الله عليه، فإن وضع السبحة في الأرض يعرضها لمس بعض أقدام الماشين، وذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فكذلك علقها في المسمار، وازدادت محبة في الحاج علي المذكور من ذلك اليوم، فإنه قد مر على هذه السبحة حلائق من طلبة العلم وهي على الأرض، فما قال لي قط واحد منهم: ارفع هذه السبحة من الأرض، كما أني أنا لم أعتد لذلك إلا حين سبني الحاج علي المذكور، فحراه الله عني خيراً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حاضم. ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

إذا صاب الوقت من قراءة كامل وردهم الذي فيه صلاة على الرسول ﷺ، أو استغفار للمؤمنين والمؤمنات، وذلك لأن العبد ولو علمت رتبته يحتاج إلى ما يعدي مقامه، ولا هكنا مقام الحق جل علاه فإنه عني عن عادته وعن ذكرهم، وعن تحميدهم له.

في هذه الية يا أحيي قدم قراءة الصلاة على رسول الله ﷺ على ذكر الله الخاص به، وإيضاح ذلك أن الله عيور لا يحب يرى في قلب عبده الملوس محبة لعبه، إلا أن يكون تسلك الية لأجله تعالى، كمحبتنا للأسياء والأولياء مثلاً إنما هي لكثرة محبة الله تعالى هم، فإن اطلع الحق جل وعلا أن محبتنا للأسياء والأولياء مثلاً إنما هي لأجله، راداً قرينة ومحبة. فلاحظ يا أحيي هذه الحكم في محبة كل شيء يبذل لك إليه، فلا تحب شيئاً إلا إن رأيت فيه مرصاة ربك، وهذا حق عريض قل من يتخلق به، فاعرضه على مریدی عصرک تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم من مباسطة شيخه له، وإطعامه الطعام معه، وتكليمه الكلام إخلو دون غيره، فربما كان ذلك من الشيخ امتحاناً أو اختباراً، فإن قلوب الفقراء كقلوب الملوك لا تملك، فيساعون بأكثر الكثير، ويواحدون بأقل القليل، وكذلك ينبغي لأحدهم الحذر من شر الشيخ الدراهم التي تأتيه من الركاة مثلاً في صحب الراوية بين الفقراء، فإنه إنما يفعل ذلك ليظهر للمريدين هوان الدنيا عند الفقراء حتى لا يراحموا عليها، ويعرف بذلك حال من يبادر إلى التفاضل تلك الدراهم كالأسد، ومن يأتي إليها على هيئته، ومن يتركها ولا يقوم لها تعقفاً، ومن يتركها ولا يقوم لها تكبراً، وفي قلبه الية لها، بحيث أنه يود أن أحداً أعطاها له من غير قيام لها، فيكره المريد على حذر من مثل ذلك، فقد مفت خلق كثير باعتراضهم على شيخهم في شره الدراهم على الأرض، وفولهم لو أنه أعطى لكل إنسان نصيبه في يده كان أولى، فإن رسول الله ﷺ قد سبى عن النهب، ونحو ذلك من الكلام الذي طعن على الشيخ، وعاب عن هذا المحققات أن النهي إنما هو في حق من يؤدي بعضهم بعضاً حين الالتقاط، وهذا الأمر معقود في حق غالب الفقراء، فيؤدي بعضهم بعضاً.

فقال الشيخ: إنما هو ليؤدب من يؤدي رفيقه؛ ليظهر ما في مكنون سره من دعوى الرهد في الدنيا، وعدم الاكتراث لها أن الشيخ امتنع أصحابه بما شاء لشرح أصعابهم، ويظهرهم من خبايا الأخلاق.

فاعلم يا أحيي ذلك، واحذر منه أب وأقرانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كرهية تقبيل الناس لأيديهم إذا خرجوا إلى السوق وغيره، وكرهية نزول الناس لهم عن دوابهم إذا رأوهم، ونحو ذلك لعلية دهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن

خفقه، ولكراحتهم مراحة الحق تعالى في مشاركته الخلق له في مسمى التعظيم، فهم يحبون أن يكون التعظيم كله لله تعالى لا لعناده، وربما مقتوا من قبل أيديهم، أو برل عن دأته لأجلهم غيرة لله سبحانه وتعالى، وانتصاراً لجنايه، ولا تعتقد يا أحي أن أحداً من الفقراء الصادقين يشرح لتعظيمه أبداً، ثم إن هذا دأب الفقراء ما لم يتمكنوا في مقام العبودية، فإذا تمكنوا فيه صاروا يسمون الناس من التعظيم لهم بقلوبهم من غير لفظ ولا إشارة، فيخرج أحدهم إلى السوق وغيره، ولا أحد يسأله الدعاء، ولا تقبل يده، ولا يبرل له إن كان ممن في اختيارهم في اختيارهم، فلم يصير له ميل، ولا دفع لشيء.

كان الشيخ أبو يزيد (دا) خرج إلى السوق يراحم الناس على الشيخ برفقته، ولامه بعض أصحابه في ذلك، فقال: إهم لا يتركوا بأبي يزيد، وإنما يتركوا بخلعة الله عني. انتهى.

فمثل هؤلاء لا اعتراض عليهم؛ لعدم المقصد لجلب شيء أو دفعه، فيقتل الفقير نفسه، فإن لم يجد عنده داعية فليحمد الله تعالى وإلا فليستغفره.

فاعرض يا أحي ذلك على من يدعي الصدق في عبة الطريق تعرف حاله، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألاً يشرح أحدهم بالرؤيا الحسنة التي يراها أو ترى له، إلا إذا كان على وفق طريق الاستقامة، فإن كان مرتكباً ذنباً من الذنوب وإنما يكون ذلك استدراجاً.

وقد قالوا: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس.

وقالوا: كرامات أمثالنا إلى الإثم أقرب، ثم إن هي خلت من الاستدراج، فلا ثقة ببقائها عليه، ثم إن وثق بدوامها فهي خلق الله وحده لا تعمد له فيها.

وأما فإن الرؤيا الصالحة إما تأتي تأييداً لصحيح اليقين لترينه في البقاء على دبه، وكذلك الترهيب والترهيب لا يكون إلا لأعصى القلب، وأما من كشف الله عن بصيرته فلا يحتاج إلى شيء يبعثه على الطاعة، ولا إلى شيء يقوي إيمانه، فعلم أن كل من كثرت له المراتي الحسنة فليحذر منها؛ لأنها مؤدية لصعف إيمانه، وكذلك فلة كرامات الصحابة بالنسبة لمن بعدهم لقوة إيمانهم.

فإنهم ذلك، واعرض يا أحي ما ذكرته لك على مریدی الصدق من المریدین تعرف حاله، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا تلقى أحدهم ذكراً على الشيخ أن يدوم على ذلك الذكر ليلاً ونهاراً حتى يقع له الفتحة، ويشعل قلبه بنار التوحيد والمعرفة.

وهذا الأمر قل أن يقع لأحد من مریدی هذا الرمان، فربما يفتن أحدهم فحمدت نار شوقه بعد ثلاثة أيام، ولذلك صار الشيخ يفتن المريد كذا كذا مرة.

وقد لقت مرة فقيراً من البررة من جامع الأهرم. وكان مجاراً بالتدريس في مذهب الإمام مالك، فوهب كتبه كلها للناس، وانقطع عني يذكر الله سبحانه وتعالى على باب داري في حصص ستة أشهر لا يعمل ليلاً ولا نهاراً، ثم وقع له الفتحة، ثم مات بعد ذلك بثلاثة أيام، فهذا من أعجب ما رأيته من صدق مریدی هذا الرمان، فأنه يرقى وإخواننا انصدق لله تعالى آمين، فإن هذا صفة الصادقين، وأما من يلتفت إلى شيء آخر غير ما هو مقبل عليه فهو كاذب.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرى أحدهم كل ما أمره به شيخه من الذكر أو المراقبة، أفضل من سائر الفضائل التي لا يأمره بالاستعمال بها، وذلك ليعبد في السبيل من غير التفات إلى أمر آخر، ولو كان أفضل مما هو فيه عند قوم آخرين، ولبحرم في نفسه أن انشيع ما حوله عن الاشتغال بذلك الأفضل إلا لما رآه فيه من الآفات التي تطرق الخلق، ولو أنه رآه سالماً من الآفات في ذلك لأمره به، وحرّم عليه العدول إلى المفصول من حيث أنه عشت ونطويل عني المريد في الطريق، ثم أكثر من يقع في مخالفة الشيخ في هذا الأمر طلبة العلم، فيصحب أحدهم الشيخ العشرين سنة وأكثر فلا ينتفع. وذلك لأنه على الضد مما يقول له شيخه، ويعزم أن كل ما يأمره به شيخه مفصول، وما يشتغل هو فيه نفسه أفضل.

فاعرض يا أخي ذلك عني من يدعي الصدق من المريدين تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتخلق أحدهم بالرحمة على العالم كله، حتى يسود أنه لم يكن في العالم شقي أبداً، وهذا وإن كان محموداً في البداية فهو جهل بأحكام الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أرحم بخلقهم من والديهم، وهو الذي أحد باصينهم إلى أعمال أهل الشقاء، فالرحمة للمخلوق حد.

لا تعداه، ولكن التكامل من يرجح مراد ربه على مراد نفسه، ولا يطلب أن يكون العالم كله سعيداً بهوى نفسه، فإن الناس إنما يدخلون الجنة برحمة الله لا بأعمالهم؛ لأن أعمالهم كلها خلق الله تعالى، وليس لهم فيها مدخل إلا من حيث كونهم محلاً لظهورها على جوارحهم، فسواء عند التكامل رادت المعاصي على الطاعات أم انعكس الحال، وإنما بأمر الناس ويحثهم على الخير امتثالاً لأمر الله له بذلك فافهم.

واعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم حادثاً يعرف نفاسة كلام شيخه، ولا يحوجه إلى تركية نفسه أو كلامه، كما يقع في ذلك أعمى القلب من المريدين الكذابين، وربما زكى الشيخ نفسه بحصرة من لا حنطة له بأهل الطريق، فيكر على الشيخ، فيخرج موقوفاً لا يصح في الدنيا ولا في الآخرة.

وقيل: إن المريدي إذا كان حادثاً لا يحوج شيخه إلى تركية، وأن الشيخ إذا كرر مسألة على مريد، أو قال له: احفظ من هذه المسألة التي لا نجدتها عند غيري، وإنما ذلك لكونه راد متساهلاً بها، لا يعرف هامتها، فأراد الشيخ بتلك التركيبة باب الاعتناء بها. فاعلم ذلك، واعرضه على من يدعي الصدق من المريدين، ولا تنس نفسك. والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدخل أحدهم على شيخه إلا لأجل شئئين:

إما الخدمة له، وإما طلب إرشاده إلى ما فيه صلاحه، فمن لا خدمة عنده وطلب إرشاده، فدخله على الشيخ سوء أدب، لاسيما إن سحب سبخته وسبح عليها بغير إذنه، فإنه ربما مقت. كما وقع ذلك لمريد يوسف العجمي رحمه الله.

وقد أجمعوا على أن أقل ما يفعل الفقير مع الشيخ من الأدب أن يُعظم ويُحترم، كما يُحترم السلطان، لا يدخل عليه أحد بغير إذنه، ولا يمسه أحد مسحته بغير إذنه. فاحترم يا أخي شيخك؛ فإنه عوان حالك مع ربك، ولا تنجح لمن رخص في ذلك، فإنه عش لئس.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي عصرك، فإن رأته يتكبر من شيخه إذا زجره ومقته حتى يدخل عليه بغير حاجة فاعلم أنه كذاب في دعوى

عجة الطريق، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا واطب أحدهم على مجلس الذكر ألا يرى له بذلك مقامًا على من لم يحضر ذلك المجلس إلا من حيث ذكر الله تعالى لا غير، بل الواجب على كل عبد أن يرى العصل لله تعالى الذي أهله لأن مجلس بين يديه، ويحاسب المخلصين لله تعالى من المشايخ والملائكة، الذين يحضرون مجلس الذكر.

وهذا الخلق يقع في محالته غالب من لا قدم له في الطريق، ويقول في نفسه: لولا حصوري لطل هذا المجلس، فيحذر الفقير من مثل ذلك، ولا يحصر مجلس الذكر إلا خائفًا من الله تعالى، كالمهرم إذا أتوا به إلى الوفا ليعاقبه، فهو يخاف من العقوبة، ولا يرجوه أو يخلع عليه.

فإنهم وانعرض هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عرض أحدهم صحيفته على شيخه كل يوم، ولا يكتم عليه شيئًا، وذلك لأنه أمين عليه من جهة الله تعالى.

ومنى كتم عنه شيئًا من أحواله حياةً منه فقد عثر نفسه، فإن الأشباح لا يردون أحدًا بجريان أقدار الله تعالى فيه، فإن العبد عاجز عن رد أقدار الحق تعالى التي قدرها عليه.

وكان بعضهم يقول إذا أحس بوقوعه في مخالفة: اللهم إني نادم بحري عن رد أقدارك النافذة في، فاغفر لي وسامحتي. انتهى.

ومن فوائد عرض المريد صحيفته على الشيخ تحفيظ وقوعه للحساب يوم القيامة، فإن الشيخ نائب عن الله تعالى في مناقشة المريد، ومحاسنه في دار الدنيا، فإن رأى العقوبة أصلح له عاقبه، وإن رأى الشهادة حير له شمع فيه ربه تعالى، واستعصر الله له، وكل من كتم عن شيخه زلة فيما طول حسابه وقت يتجاوز الحق عنه!

فعلم أن الصادق هو من لا يكتم عن شيخه شيئًا من نقائصه وعيوبه بالعكس.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرجع أحدهم باليوم على نفسه إذا خرج للفقير عن شيء من ثيابه مثلاً، ثم يرجع إليه ثانياً، فيقول لنفسه: لولا علاقة محبتك لما حررت عنه أولاً، ولم يرجع إليك ثانياً، ولو كنت صادقة لم يرجع إليك بوجه من الوجوه.

وقد أرسلت مرة صوفي ومروني إلى السوق، فعرهما شخص من الخبث، فأعطى القيب شهما ووهبهما لي. مرددت الشمس عليه فلم يرص، ثم بعد ذلك أرسلتهما أيضاً إلى السوق لاشتري للعميان هما شيئاً من الخبث، فصادفهما عب أيضاً فمدهما أيضاً، وأعطى الشمس للفقراء، حتى وقع لي ذلك خمس مرات، ففتشت نفسي فانهمتها أن عندها علاقة في محبة الشهوة بالإثارة، فحلفت أني ما عدت أفليهما بوجه من الوجوه.

فاعرض ذلك على من يدعي الصدق يا أخي من المريدين تعرف حاله، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لا يقرضون أحد بنية طلب الفرص، إنما يعطون المحتاج ما طلبه، ولا يحدنون أنفسهم بأنهم يأخذون به عوضاً في الدنيا والآخرة؛ إذ الخال الذي عند كل عبد إما هو الله حقيقة، والعبد كالوكيل لصاحب المال، فيعطي كل محتاج بقدر ما أشار به السيد، ولو اتهم المقرض بعد ذلك بالعوض لا يأخذونها منه لأنفسهم من مال لعبيد الله أبداً، ثم قدما قريباً أن رجوع العوض للفقير من علامة وجود علاقة في نفسه، لذلك الأمر الذي أعطاه، وأنه لو صدق لم يرجع إليه عوض أبداً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ترك الالتفات إلى وراء إذا مشوا في طريق الظاهر والباطن، وإذا التفتوا لحاجة التصوّح جيئاً إظهاراً لمقام أخيبهم، ووفاء حقه، وإظهاراً للعاقبة والحاجة إلى ما التفتوا لأجله من حوائج الدين.

نادى رجل أباً بكر الشسلي رحمه من حلقه فلم يجه، وقال: أما علمت أن الفقراء لا يتفتون إلى وراء لغير ضرورة، ولا يحبون من ناداهم من خلف الصفا، كل ذلك لتعني همتهم بما أمامهم من دوام السير إلى حصرة الله تعالى، شوقاً إلى أهلها، كما يجد المسافر في السير إذا قرب من معالم بلاده شوقاً إلى وطنه وأولاده وزوجاته.

فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تسن نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التصدق عفتاً بقلوبهم على جميع عباد الله تعالى بأعراضهم ودمائهم وأموالهم، ولا
يظلمون أحداً بشيء في الدنيا والآخرة بالأشباح وأصول انشراح معصده هذا الفعل، فإنه
من باب النعم ومكارم الأخلاق، وقد ورد الص في ذلك، وهم الذين يكون أجرهم على
الله سبحانه وتعالى.

وفي الحديث أيضاً مرفوعاً: ((لا يستطيع أحدكم أن يكون كافي صميم. كان إذا
أصبح يقول: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك^(١))) انتهى.

لكن لا يحصى أن التصدق بما ذكر لا يصح إلا من جاب حق الله، أما من جاب
حق الله تعالى فلا يصح عنه، فإن على كل من استعاب الناس إنشاً رائداً على الإثم الحاصل
بالصرر للمعتاب، من حيث أن المستعيب تعذى حدود الله بعد به عنها.
فعلم أن كل من تكدر من كلام الناس فهو لا يشم رائحة لأهل الطريق، فضلاً عن
كونه يقع في أعراض من اغتابوه.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول (إذا مات له عدو يجرن عليه، ويدعو
له بالمعفرة والرحمة ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا على يديه الخير من
حيث حصلنا الأذى منه، وإن لم يقصد هو ذلك).

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تسن نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده الأرداء لأحد من خلق الله تعالى؛ لأنه من شعائر الله، فالدرة الصغيرة كالعرش
العظيم من حيث أن خالقهما واحد وهو الله تعالى.

وكان سيدي علي الخوانساري رحمه الله تعالى يقول: لا يردري أحدكم شيئاً من
المخلوقات إلا تبعاً للحق تعالى، فإن الله تعالى لم يردده حين خلقه.

ومن شأن الكامل أن يعلم ما عظم الله، ويحقر ما حقر الله، فيقدم الخير على الشر،
والأدنى على الكتب، والعدل على الماسوس. وما أشبه ذلك. مع علمه بما الأمر عليه في

(١) رواه المصنف المقدسي في المختار (١٤٩'٥)، والذهبي في المردوس (٣٩٥:١).

الباطن.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول: لا يكمل الفقير في مقام العرفان حتى يحسن إلى كل بر وفاجر وباطن وصامت وظاهر وبحي، تحلقاً بأخلاق الله تعالى. ونقد حدثني الوجهي المقدسي بمدينة منطية أنه كان بمدينة بحاري وال طالم، فركب يوماً فرأى كلباً أجرب يرعد من البرد.

فقال لبعض علمائه: ارفعوا هذا الكلب، وأحسن له ودعاه من الشرد ودهنه، فلما كان الليل نودي في منامه: يا فلان كنت كلباً فوهبك للكلب. فانظر يا أخي كيف أثر ربي هذه الرحمة بهذا الكلب، فكيف برحمة الفقراء والمساكين؟

وفي الحديث: «(في كل كبد حواء أجرب^(١))».

واعلم أن المريد الصادق لا يدرى أحداً من الظلمة، ولا يستبعد وقوع الرحمة لأحد منهم، فربما يكون لكل فعل لم يدموم كفاية، أو يكون الله تعالى يعمرهم كلما أذنوا أولاً فأول.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من شرط الفقير الصادق أن يستعظم ذنبه، ويستغفر ذنوب الناس. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مرهدي عصرك تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين. وعن أخلاقهم:

ألا يفتح أحدهم باب التصدر لقضاء حوائج الناس إلا بعد فراغهم من خديب نفوسهم، وكمال رياضتهم، ومعرفتهم بطريق السياسة، وكل من تصدر لذلك قبل كمال رياضة نفسه فهو طالب رئاسة في غير محمها، وفي ذلك من التعب والرباء والعمى ما لا يحصى.

وكان سيدي إبراهيم المتولي رحمه الله يقول: ربما تصدر العبد لقضاء حوائج الناس قاصداً بذلك نشر الصيت وإنشاء الحميل، لاسيما إن عكف أصحاب الخواص على بابه وخدموه، وأهدوا إليه أهذا وقيلها، فإنه يهلك ويرداد غروراً، وتقول له نفسه: لو لا أنك مخلص في ذلك ما عكف الناس على بابك، ولا خدموك هذه الخدمة، وربما لامة أحد من

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٢٢).

إخوانه على ذلك، فيقول: أنا لا اختار لي مع الله تعالى.

وقد أجمع القوم على وجوب تقديم تحليص نفسه من الشوائب على تحليص غيره، وإن كان كل منهما واجباً.

إذ الفريق لا يطالب بإنقاذ غيره من الفرق إلا إذا خلص من الفرق.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه يقول: من تصدّر لقضاء حوائج الناس قبل تحليص نفسه من أسر هواها، وسحرية الشيطان بها فهو مقتول؛ لأن كل عمل لا يراذ به وجه الله تعالى فهو كالماء المتور، وقال رحمه: ((من أخذ يكلم في سبيل الله، والله أعلم بمن تكلم في سبيله^(١)))، فاعلمنا رحمه أنه ليس كل من قتل صف القتال يكون مقتولاً في سبيل الله عند الله.

فاعلم ذلك، واعرض ما قلناه لك على من يدعى الصادق على مريدي عصره تعرف حالهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

القناعة باليسير من الدنيا سواء كان دراهم أو أكلاً أو شرباً أو ملبساً أو نوماً أو لهما، أو جماعة، وبحسب ذلك، بخلاف أحوال الأحرار فلا يقتصرون منها باليسير الحديث: ((لا يشبع مؤمن من خير^(٢))). وقد عذ القوم القناعة من الدنيا بوقوف العس، كلما رُفقت من غير تشوق إلى زيادة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل المؤمن في مقام العبودية حتى يشهد أعماله كالماء، وإن كانت كالجبال من حيث الكثرة.

وهذا الخلق قد صار نادراً في مريدي هذا العصر، فاعرضه عليهم تجد غالبهم لا يشبع، ولا يقتنع من الدنيا، ولا تسر فاعرضه على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الشكر على الصراء كما يشكرون الله على السراء، ولا يتعرد أحدهم من ثوب يعطيه لأحد إلا على طهارة.

وكذلك من أخلاقهم: ألا يحلفوا شعراً ولا يفصوه، ولا يقصوا أظفاراً إلا على طهارة؛ عملاً بحديث السلائكة الكرام الكاتبين في فوهم: (أنبأهم وهم يصلون وتركاهم

(١) لم ألق عليه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١٨٥/٣)، والذهبي في الفردوس (١٦٣/٥).

وهم يصلونهم).

ومعلوم أن صلاة كل شيء بحسب ذلك الشيء، ولا تصح الصلاة من شيء إلا على طهارة. كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنش الكبرى)).

وكذلك من أخلاقهم: عصر البصر عن فضول النظر، والإسراع في المشي.

وفي الحديث: ((من أراد ألا يلحقه تعب في مشيه فليشد وسطه ويقارب خطاه^(١))). أو كما قال: وذلك أبعد عن الزهو والعجب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان لا يهتدي البرس صيفاً ولا شتاءً ويقول: إنه يكف البصر عن فضول النظر انتهى.

ومن لم يجد البرس فليرخي الطيلسان عن عبيه، بحيث لا يرى إلا موضع قدميه، ولا يكلم أحداً حتى يرفعه.

وكان على ذلك شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله^(٢)، كانت طيات عباءته يده حتى يكلمه ثم يرخيها.

فأعرض يا أخي هذا الخلق وما فيه على مريدي عصرك تعرف حالهم.

ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على تنظيف قلوبهم من كل شيء يحجب عن الله تعالى حياة منه تعالى.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يبلغ أحد مقام الاستحباب من الله تعالى حق الحياة حتى يطلع الحق في سريرته وحركاته وسكناته، فلا يرى شيئاً يكرهه.

وفي رواية أخرى: حتى يطلع الحق جل وعلا في قلبه، فلا يرى فيه رئاسة لغيره، ولا شوقاً إلا إليه، ولا حباً إلا لله، وفيه ومنه.

(١) لم ألق عليه.

(٢) هو شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري السبكي الشافعي، الفقيه المعاصر صاحب التصانيف المسماة في علوم متعددة، أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف، قال الشيخ المصنف: وقد خدمته عشرين سنة بما رأيته فطمي عصية ولا اشعالي به، لا يهني لا ليل ولا نهاراً، له. أسس المطالب في شرح روض الطالب، أقتنى الأمل في السان والسميع والمعالي، أحكام الدلالة على تحرير الرسالة التفسيرية، ونعمة الناري شرح البحاري، والمصباح ونعمة الطلاب، والنعمة العلية في الطلب المصرية، وبلجيس الأربعة في أحكام الأدعية للبركشي، ورسالة في بيان الألفاظ الصوفية والبردة العاتقة في شرح البردة العاتقة، والتكواكب الدرية في مدح خير البرية، حسنهم بتحقيقاً. وانظر: المطبوعات الكبرى للشيخ المصنف (١/٢).

وفي رواية: حتى يطلع على مريوته فلا يرى فيها الثعالب فقيره انتهى.
فاعرض يا أخي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

علما الرجاء عندما يريد سلطان القنوط أن يتحكم فيهم، وفي غير هذه الحالة والخوف
لهم أكمل وأجمل.

وكذلك من أخلاقهم: الانقصاص، إذا رأوا منكراً في الشرع إثارةً لجناب الشرع.
كما أن من أخلاقهم: التعامي عن عيوب الناس حتى لا يصيروا يعتقدون في المسلمين
إلا خيراً.

وكان سيدي عمي الخواص رحمه الله يقول: لا يكمل الفقير في مقام الإرادة حتى يعمى
عن مساوئ الناس كلها، فلا يشهد فيهم إلا خيراً، وذلك عنوان على أنه يصلح في
الطريق، وكل مريد يشهد نقائص الناس فهو شر الناس؛ لأنه لا يشهد في الناس إلا صورة
نفسه، ولو أنه كان نظف من الرذائل كلها، لم يشهد في الناس إلا خيراً.
وسعته يقول: يحتاج المريد أن يكون له عيان: عين يطر بها في كمال الناس، وعين
ينظر بها إلى ما وقع منهم من البدع والمعاصي، ينكرها عليهم.

فقد أجمعوا على أنه يجب على كل مسلم مشر عاقل الخلق، وسر مساوئهم إلا
المتدعة، فإنه يجب على كل مسلم أن يعرف الناس أحوالهم؛ ليأخذوا منهم حذرهم من
باب الرخصة لهم وبالمسلمين، فإن على المتدع ورر كل من تبعه ريادة على إلهه هو، وهذا
معدود من حيلة إمالة الأدي عن الطريق؛ إذ لا فرق في الأدي بين إماتته في الطريق
الظاهر أو الباطن، ثم إن أكثر من يقع في خيانة العمل بهذا الحق من لا شيع له من
المريدين من أوائل دخوله الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصديق من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

طرح الميل إلى الكوثر بقلوبهم إلا بقدر الضرورة، بحيث لا يحجبهم ذلك عن شهود
الحق جل وعلا في ساعته من ليل أو نهار.

وكذلك من أخلاقهم: إعطاء المحتاجين كل ما بأيديهم، مما يتركون منه إلا ما دعت
صورتهم إليه، وكل مريد منع المحتاج بغير ضرورة فهو من أبناء الدنيا، لم يشم من طريق

القوم رائحة.

ثم إذا بلغ مقام الكمال فله ميراث آخر خلاف هذا، وهو أن يقدم حاجة نفسه على حاجة غيره؛ الحديث: «(الأقربون أولى بالمعروف^(١))»، ولا أقرب للإنسان من نفسه، بل هي حقيقة ذاته، وما مدح الله المؤثرون على أنفسهم إلا تقوية لقنوعهم؛ ليخرجوا عن ورطة النشح، الذين فتحوا عيونهم في الدنيا عليه، فإنه من أفتح الصعات في المؤمن، فإذا خرج عن ذلك صار لا يرى أنه أثر أحدًا بشيء من رزقه هو، وأنه ما أعطى الناس إلا ما قسمه الله لهم، وإن لم يكن قسمه له لا يمكن أن يعطي غيره منه ذرة، وهناك يؤمر بالندابة بنفسه؛ عملاً بحديث: «(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول^(٢))».

فأما من قال الإيثار مطلقاً أفصل، والندابة بالنفس مطلقاً، فهو يبيع مقام الكمال. فاعرض يا أخي ما قررتك لك على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تمن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التساعد عن كل ما للنفس فيه عرض طبيعي لا شرعي، كأأن يتناول شهوة غير شهود الحق حل وعلا، على حجة التمني والتعني والطلب لها؛ ليخرج من سبقت له تلك الشهوة بغير تعب ولا سؤال.

فإن مثل هذا له أكلها وتناولها، إلا أن يكون في مقام المعاهدة، أو في مقام توفير اللذة في مواطنها الخفية، وكان على هذا القدم الإمام عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وأبو ذر وأضرابهم.

وورثهم في ذلك: عمر بن عبد العزيز، وعنة العلام، وبشر الحافي، وحساعة كسدي عبد العزيز الدبري^(٣). وسيدي عبد الله السوفي^(٤) والشبح عبد الحليم بن مصبح ونحوهم؛

(١) ذكره المجلوني في كشف الخفا (١/١٨٣).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١/٢٤٦).

(٣) هو الشيخ المعارف الولي عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدبري الشافعي المعروف باندريسي (عز الدين، صبياء الدين، أبو محمد) مفسر، فقيه، متكلم، مؤرخ، واعظ، أدب. من تصانيفه مصباح السير في علم التفسير في مجدين، وطهارة القلوب، والمقصد الأسنى. وانظر: معجم المؤلفين (٢/١٥٧).

(٤) قال المصنف في الكبرى (٢/٢٠٦): هو سيدي الصالح العائد الراشد الأوحى صاحب الكرامات الكبيرة والتلامذة الأئمة. توفي سنة ٧٤٨ هـ، ودرس نجاة قبر قايساي بالقاهرة، وقد أوردته تليده خليل بالترجمة (أم الله لنا تحفيها).

فليس لمن هو في مقامهم أن يتناول شيئاً من طيات الشهوات.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمته الله يقول: الدنيا حرام على أهل الأحره، والأحره حرام على أهل الله عليه السلام انتهى.

فاعرض يا آحي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعملوا على تحصيل الحضور مع الله تعالى في جميع عباداتهم، ولا يعثرون بشيء لم يحصل لهم فيه حضوراً لأن ما لا حضور فيه عادة لا عبادة، والأمور العادية لا ثواب فيها، ولا تقرب إلى حضرة الله، فإن الله تعالى يقول نلتملائكة الكرام المكاتيب: اكتبوا عمل عبيد فلان، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لأخاريه بمثله انتهى.

ربما كان عمل العبد في عيه كالجبال الرواسي، ولا يتحصل منه فبراط واحد من أربعة وعشرين فيرطاً، وما كان كذلك فهو إلى الإثم أقرب.

وقول بعضهم: إذا حصر الصد في جزء من صلاته يشمع ذلك الجزء في بقية الأجزاء، فيقبل الله شفاعته فصلاً منه ورحمة من باب الترحيص، لا ترفي بها بإجماع القوم، ولا دليل على ما قلناه هذا البعض من كتاب ولا سنة، وأين مقام الحاضر مع الله من مقام العادل عن الله!

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لو فتش الفقير من نفسه لوجد عبادته طول عمره لا تساوي عبادة العارف بالله تعالى يوماً واحداً.

وقد قال أبو عبد الله الحصري للشبلي وهو مريد: يا أبا بكر إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تأتي؛ فإنه لا يجزيك شيء في الطريق.

فانظر تكيف الحصري لمريده بالحضور من الجمعة إلى الجمعة في صلاة أو غيرها، فكيف بمن لا يحصل له ذلك في صلاة من الخمس فصلاً عن النوازل، فعدم بما قرناه أن عبادة أكثر مريدي هذا الزمان لا ترفي فيها؛ لاشتغال قلوبهم بغير الله تعالى.

فاعرض ذلك على من يدعي الصادق من مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس

(١) هو سيدي إبراهيم بن أدهم البجلي الحارم الأحره العارف الأعزم، كان عمه المصنوع المردول داهلاً، والمردوع الوصول مشاعلاً، لقب بأمر الزهاد. ونظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣٦٧ ٧)، واطلاقات الشعرايه (٨١١)، والرسالة القشيرييه (ص ٩)، صفة الصفوة (١٢٧: ٤)، وطلقات السلمي (٢٧)، وطلقات الأولياء (ص ٥)، والكواكب الدرية (١٤٢ ١).

نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

زيادة الاحترام لإخوانهم الذين لا نساء لهم ولا يد يقابلون به من يؤدبهم، فإن الله تعالى يكون حصناً لكل من أذى مثل هؤلاء، فإنهم كالآبائهم في حجب تربية الحق جل وعلا، فيأخذ لهم حقهم من خصمهم ولو لم يسأل الله تعالى ذلك، ومن كان من المرهدين يؤدي إخوانه بغير حق فهو عدو الله تعالى، وعدو الله كيف يدعي أنه يحب طريقه؟

فاحذر يا أخي من أن تؤدي من كان من إخوانك هذه الصفة، فإن المقت أسرع إليك من السل إلى مشهاة، ولذلك عدم فقراء الرواية المشاهير لإخوانهم النفع، وصحبوا أهواء أشباحهم حتى ماتوا، فلم يفتح على أحد منهم، ولو أنهم كانوا صادقين في طلب الطريق لعظموا كل من انتسب إلى الله تعالى، واكتفى بعلمه به.

فاعرض يا أخي ذلك على فقراء عصرك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لبس المرقع من الثياب بالسببة الصالحة لا بقصد التميز عن الإخوان، ففي الحديث الشريف: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَشَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ»^(١). اللهم إلا أن يكون مع جماعة كلهم لابسين المرقعات، كجماعة سيدي عبد العزيز الديريسي، وسيدي عبد الله الموسوي وأضرابهم.

فمثل هؤلاء لا بأس بموافقتهم في لبس المرقع، ولهم في مثل ذلك مشاهد صالحة منها: إعلام الناس أن دينهم مرقع مرقع كل في سائر أقوالهم وأفعالهم، فليس لهم عمل صحيح كله أبداً.

ومنها: تخفيف المؤونة على إخوانهم إذ لم يكن لهم كسب يستترهم بين الناس، وقد كانت المرقعات صدقاً نحتة در، فصارت مدرّاً نحت فواحش وقبائح، لو أطلع عليها الناس ما سلموا على أصحابها.

ولقد أُنشد في ذلك الشيخ العارف بالله تعالى الخطيب ابن أحمد الميومي، فقال من جملة أبيات:

وَأَهْلَانَعْلَمَةُ إِنْسَانٍ بِسَامٍ وَقَدْ صَاحَ الْمَشْبُوبُ بِهِ بِمَا صَاحَ لَوْ سَعَا

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢١٠/١٨)، وفي الأوسط (٧٢/٧).

حتى إذا زادت الآثام واجتمعت عليه فرُكبت الأيام ما جمعاً
 يا من يُكاثِر بالدنيا وببك هل رأيت مالا غداً للميت متبعاً
 كم من فني قيد الدنيا ورفعها ثراه في النار يوم الحشر قد وضعاً
 له احتيال على جمع الخطام ولو من الربا وتراه يدعي الورعاً
 ويلبس الثوب قد خيطت به وقع وليس ممن لباب الله قد قرعاً
 فلو نظرت إلى مكتوب باطنه رأيت أحشاءه مملوءة بدعياً
 لو كان يعرف ما لبس المراقع لم يكن بتليسه قد دنس الرقعاً
 إن المراقع في أربابها صدف للدر من كدر الأغيار قد منعاً
 فإن أردت طريق الحق تسلكه فكن عن الميل للأهواء متخلفاً
 وانبط على السنة القراء بيهديك تكن ومن لأثار حير الرسل تبعاً
 إلى آخر ما قال.

ثم أعلم يا أخي أن السلف الصالح ما خاطبوا المرفعات اختياريًا، وإنما ذلك لصيق أيديهم عن الحلال، فلا تظن أنهم كانوا كفقراء هذا الرمان من الأحذية والبرهامية والسهروردية، وسحومهم ممن يقطع القماش الملون اختياريًا، ويحيطه بعد ذلك، فإن ذلك كله حظ نفس لا يزداد به صاحبه عن حصرة الله إلا إداريًا، وقد رأيت من صرف على مرقعة نحو أربعمائة ونصف، ولو أنه لبس هذا اثمن جوحة أو صوفًا لكان لفصل له وأحسن.

وقد عُدَّ أشباح الطريق لبس المرفعات من الموت الأخضر على النفس، مخرج من مخرج بلبس المرفعات، وقالوا: لا بد لكل مريد أن يموت أربع موتات: الموت الأحمر وهو مخافة الهوى، والموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأسود وهو تحمل الأذى من الناس، والموت الأخضر وهو طرح الرقاق، فما عدوا ذلك موتًا إلا لمخافته الهوى نفوسهم، وأما إذا وافق هواها فذلك من جملة حظوظها انتهى.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنى الكبرى)) مراجعه.

واعرض يا أخي ما ذكرته هنا على مرهدي عصرك تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وسع الله عليهم الدنيا ألا يأكلوا الطعام الدسم اللدبد أو الحلو مثلاً، ولا يلبسوا الثياب الفاخرة، ولا يطعموا الطعام المكلف نصيب، كذلك إن علموا من نفوسهم أن من صيغهم القيام بالشكر العادي، فإن علموا من نفوسهم العجز عن ذلك وجب عليهم في طريق المجاهدة أن ينعموا نفوسهم من ذلك.

وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يخلط دفينه بالرماد نحو الثنت، ويقول: نحن لا نقوم بشكر.

وهذا الذي قررناه من شأن المرید ما لم يطنعه الله تعالى على ما قسمه له أو لصيغه، فهو مثاب على تركه الأكل والدسم له أو لصيغه، أما إذا أطلعه الله تعالى على ما قسمه له أو لصيغه فهو أدب آخر سيأتي بيانه في هذا الأحكام إن شاء الله تعالى.

ورأى إن الله تعالى قد ربي على أن يعمل عدي الطعام الدسم اللدبد كل يوم لي ونصمي، ومع ذلك أتركه راحة بي والصيف، وحة فيه، ويجزوا عن القيام بشكره عادة، فإن من الواجب على من عرف في النعم لا ينام الليل لا شتاء ولا صيفاً، ولا يعمل عن ربه ساعة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من طلب من الله الكثير من الرزق طاله بالكثير من العمل وبالعكس انتهى.

وكي يا أخي حادثاً، ولا تصيب درامتك في شيء آخره بيت الخلا، وما أبقى العقلاء في كل عصر إلا فيما يقرهم إلى الله تعالى، أو يقرب إخوانهم إليه، أما ما يعجزوا عن أداء شكره فلا.

وقد كان الحسن البصري رحمه الله يقول: وددت أن أكل أكلة فتصير في بطني كالأجرة حتى أموت، فإنه بلغنا أنها نكت في الماء نحو ثلاثمائة عام انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عسرك تعرف هذا تقوم به أم لا، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يبدل أحدهم وسعه في حضور القلب في الورد الذي جعله شيخه له من قراءة، أو ذكر وصلاة على رسول الله ﷺ.

فإن فتوحه في ذلك، ومن علامة بدل وسعه في الحضور مع الله سبحانه وتعالى في ذكر الورد أن يجد عبده داعية للاشتغال بحفظ بوجد. أو قراءة ورد آخر، فإنه لو بدل وسعه

ما وجد عنده داعية في ذلك الوقت، وذلك أن شيعه حكيم لا يحملها إلا قدر طاقتها. وبالجملة فقد عدم أكثر المريدين مع أشياحهم، وصار أحدهم شيع به. وأكثر ما يقع في ذلك فقهاء أطنال الراوية، فيقول الشيع لهم: دعوا الأصفال بحدروا مجلس ذكر الله؛ ليحصل لهم جلاء باطنهم، فيعمر أحدهم الأطفال أن اقراؤا في الواحكم دون حضور الذكر، ويرجح رأيه على رأي شيعه، فكل ذلك معدود من جملة الحياة للشيع، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى الضعيف باطنا وظاهرا، وذلك بأن يطعموه الطعام الحلال الفيل، لكن من لون واحد، وهبات أن يجد أحدا نونا واحدا من الحلال، وهذا الحق يحل به أكثر المريدين، فينون أحدهم الطعام لصيفه من الشبهات، أو الحرام عند أهل الورع^(١)، فيحسن إليه ظاهرا وبسيء إليه باطنا، ولو أنه كان أطعمه نونا واحدا قليلا من الحلال لأحسن إليه باطنا وظاهرا، فليتبته الفقير لمثل ذلك، ويراعي الإحسان إلى ضيعه باطنا وظاهرا دون أحدهما، وليعلم أن الإحسان إليه باطنا مع غضب الصيف عليه أفضل من إساءته على الصيف باطنا مع محنته له، فإنه إذا أساء إليه ظاهرا أحسن إليه باطنا وبالعكس.

ومن هذا الباب أيضا: إخراج الطعام الكثير للصيف إذا عتب على طه أنه لا يقدر على رد عنه عن الشيع المضط، فهو كذلك إحسان للصيف ظاهرا وإساءة إليه باطنا، وكذلك تدعته الضيف بالعطاء أيام النساء هو إحسان له في الظاهر إساءة إليه في الباطن، إن كسل بذلك عن قيام الليل، ثم أنه لا يقدر على العمل بهذه الأخلاق إلا من خرج عن حكم الطبع، وكان أشفق على دين إخوانه من المسلمين من أنفسهم، وقيل من يحرص عن ذلك من المريدين.

فأعرض يا أخي هذه الأخلاق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تمس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى كل من صحبهم من باطني وصامت، ويقومون بحج صحته، فلا يهتوا

(١) قال الشيخ المصنف: واعلم يا أخي أن عبارة الدين الورع عن كل ما سوى الله تعالى عنه، ولو نهى تنزيه، ولا خير في عبد يكون لليل التردد والورع الحديث البخاري وغيره مرفوعا، وصح: «وَحَيْرٌ فِيكُمْ الْوَرَعُ» وانظر: الدرر واللمع للمصنف (ص ٣٢)، بتحقيقنا.

عندهم مثلاً إلا لس يحسن إليه أكثر منهم أو مثلهم، ولا لس هو دونه من الإحسان إليه، ولو كان من أكثر المحالين لأعراضهم الأقرب عن طاعتهم، ولا يهوا شيئاً من ثباتهم إلا لس يكون أكثر طاعة لله تعالى فيها منهم، ومن وهب توبه إلى من يكون أقل طاعة لله تعالى مه فقد أساء في حق ذلك الثوب وذلك الملاس، فإن الثواب تشرف بلباسها إذا كان أكثر طاعة لله تعالى.

وهت مرة صومي الأبيض لعص إحومي الشعار، فجاءني في المنام وقال: أعطيني لشعبي بام جناً، ولا يقوم من الليل شيئاً، ولا يذكر الله تعالى والدار الآخرة إلا قليلاً، بعدما كنت أشرف معك بالوقوف بين يدي الله تعالى في ظلام الليل، والله ما كان هذا جزائي بعد صحتك عشرين شهراً، فاستبقت متأسفاً على كوني لم أحش عني من أعطيتك ذلك الصوف قبل أن أعطيه له، هل يقوم الليل أم بام؟ وهل يطيع الله به أم بعصيه؟

وهت مرة أخرى حتي لعفيه أكثر عادةً مني، فجاءني الحنة وقالت لي: حراك الله عني خيراً في إعطائك لي هذا الرجل الصالح الذي لا بام من الليل إلا قليلاً، فشكرت الله تعالى على ذلك.

وقد ذكرنا في كتاب ((المن الكبرى)) أن من الأدب مع من لس شيئاً من ثياب العراء ألا يعصي الله تعالى به، ولا يحصر به في مواضع المعاصي، ولا يعتبه برميه على الأرض، ولا يعطيه لأحد بيع ولا هبة ولو بدل به أصعاف شنه. وأن الجسد أعطى الشئبي رحمة الله سواكاً، بدلوا له فيه ألف دينار، فهو أن يعطيه لهم فقال: قد يكون الحيد لله طوى لي فيه شيئاً من أسرار الله تعالى. وقد من الله على أصحابي هذا الأدب، فلم يعطه أحداً منهم لأحد شيئاً بما وهبته له، ولو بدل له فيه ما عسى أن يذل.

منهم: سيدي شرف الدين بن الأمير.

ومنهم: سيدي محمد بن الموفق.

ومنهم: سيدي أبو الفضل الحريري.

ومنهم: سيدي الشيخ شرف الدين الديصطي، والشيخ تقي الدين بن المقبول،

وسيدي محمد الحنفي، رضي الله عنهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عورك تعرف حالهم، ولا نس نفسك،

والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

ألا يسألوا الله تعالى الخعط من الخطايا إلا مع سؤال الخعط من الوقوع في العجب، ورؤية نفوسهم أهم خير من أحد من إخوانهم إلا على وجه الشكر.

وأما قوله ﷺ : ((اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس^(١)))، وإنما قال ذلك لأنه معصوم. لا يخاف العجب عن نفسه، وليس له ذنوب حقيقية، وإنما هي ذنوب أمته التي وقعوا فيه، فأصافها ﷺ إلى نفسه من حيث أنه هو المشرع والمبين لأمنته وتحريمها، ونو بيانه لها ما كانت ذنوبًا بل كانت بحكم المباحة، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق)) عن الأجوبة عن أكابر الحضرة الإلهية.

وكان سيدي عني الخواص رحمه الله يقول: قل أحد من الأمة يحفظه الله من الذنوب إلا ويقع في العجب بحاله، والإدلال على ربه، وبسير يستكر من ربه تعذيبه لو شاء الله تعالى، ويقول في نفسه: كيف يدخلني النار وأنا لا ذنب لي انتهى.

وكان أخي أفضل الدين يقول: من نعمة الله على المريد تعرفه إليه بالرخاء تارة وبالشدّة أخرى، وتقدير الطاعات له مرة، وتقدير المعاصي عنه مرة أخرى، وذلك لشكر ربه تارة، ويرضى بقصائده تارة، ويعرف فضل الله عليه من جهة حبه عليه، وعدم معاجلته بالعقوبة، ولأن ينفي العبد المؤمن ربه دليلًا خاصًا من كثرة الذنوب خيرًا له من أن يلقى ربه معجبًا بنفسه من حيث كثرة الطاعات، لا يرى لربه تعالى حجة انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرك تعرف حالهم. ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

عدم اعتراضهم على شيخهم وغيره من الفقراء إذا رآوه يعطي ماله أو ثيابه أو يطعم طعامه للأغنياء، ويترك الفقراء والمساكين في العري والجوع وصيق المعيشة، ويقول: لو أنه أعطى ذلك أو أطعمه الفقراء والمساكين لكان أفضل، فإن ذلك اعراض بالجهل.

فإن الله تعالى كثيرًا ما يعطي العبي الذي يملك الألف دينار المائة دينار ريادة على الأنف، ويدع الفقير والمساكين إلى جنبه لا يعطيه الدرهم الفرد، فإن الفقراء في ذلك قد بشأوا على الأخلاق الإلهية بحسب القصة، وليس معهم للمفقر عن جعل، وإنما ذلك

(١) رواد البخاري (٢٥٩/١)، ومسلم (٤١٩/١).

حكيمه رأوها، ولا سيما إن سألهم العي ذلك، فإن للسائل حقاً ولو جاء على فرس كما ورد، وقد يكون مع الفقير إنما هو لما أعطاه كشف من قسمة ذلك لعي دون الفقير، فيكون المؤدي أمانة لشخصي معين، وليس له دفعها لغيره، ثم لا فرق بين السؤال لهم بالحال أو القال.

فإياك يا أحي والاعتراض على شيخك إذا أعطى العي وحرم الفقير، واحمله على الحامل السنة، وقد كان يلاً يعطي الرجل العطاء إذا سأل، ويقول: ((أذهب بعطية يتأبطها نازراً، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، فلم تعطهم نازراً؟ فقال له: ماذا أصنع؟ يابون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي الجمل^(١))) انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف هل سلم أحدهم من الاعتراض على شيخه إذا أعطى العي وحرم الفقير، أم وقع في الاعتراض بسببه وبقلبه وحاد عهد شيخه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم مشدداً في مجلس شيخه أن يكون بيته بالإشاد امتثال أمر شيخه فقط، لا يشكره الناس على ذلك، ويشهدوا له بالدحول. وليحذر كل الحذر من أن يكون عنده هجوم على الشيخ، أو مرآة عليه في الكلام، أو المرح حال مد السباط في الولايم وبحوها، فإن الأشباح كالمنوك لا يؤمن مكرهم ولو صبحكوا في وجه من أساء عليهم الأدب، وقد مفت خلائق من المنشدين في مجلس سيدي مدين، وسيدي أبي الحمايل، وسيدي محمد الشناوي، وسيدي إبراهيم المتولي، وماتوا على أسوأ حال، وكذلك مفت من المنشدين في مجلسي جماعة منهم الآن في أسوأ حال.

فإياك يا أحي من مثل ذلك ثم إياك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

حفص الحاح لطلبة العلم الذين علمهم موضوع في موسمهم دون أرواحهم، فإنهم أكثر وأكرعاً من أمراء الحاضرة، وليس عندهم همهم نفس، ولا نواصب من حفص الحاح الممنشي إلى عيادتهم، والسلام عليهم إذا قدموا من سفر، ولا ينتظر الفقير أن يحيى أحدهم فيسلم عليه لكونه شيخ راوية مثلاً، فإن ذلك من حفة العقل، فإن أحدهم يرى

(١) رواه أحمد (١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٣٨)، والحاكم في المستدرک (١٠٩١).
والمبهي في الشعب (٥١٩/٦).

نفسه أفضل منهم فكيف يطلب منهم أن يمشي إليه، وقد حج مرة شخص من طلبة العلم ولم يشعر به؛ لأنه لم يعلمني بسفره على عادة إخواننا معاً، فلم أبادر باسلام عليه، فلا تسأل يا أخي ما وقع فيه من مرضي، مع أن حصة أمير الحاج لما رجع من السفر بلغه أنني عارمة على السلام عليه، فركب وترك الصاجق والخواشمة في بيته وجاعلي فسلم عليّ، وقال لي: أنا أحق بالسعي؛ لأنني عبدكم، فاطر كم بين مقام تواضع طالب العلم المذكور تعرف صدقي في قلبي أنه أكبر نفساً من الأمراء.

فإياك يا أخي أن تخل بحق أحد من أصحاب الأئمة، وتقول: نيس عليّ مه، فإياك تأثم بسلك في وقوعه في عرصك وعرض أهل الطريق، واحذر إذا ذهت إليه أن ترى نفسك عليه في التواضع له، فإياك تصير بذلك أكبر نفساً منه.

فاعرض ما قلناه لك في هذا الخلق على نفسك، ولا تنس إخوانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يظهر أحدهم شيئاً من الأخلاق الشرعية التي اندرست بالدراس المتعاملين بها، لا لغرض صحيح، كقصد الاقتداء بهم فيها، أو إظهار نعمة الله بها عليهم، وبحر ذلك من الأعراض الشرعية، كل ذلك خوفاً من فتنة الشهوة بالخير دون الأقران، فإن فتنتها شديدة؛ إذ الغالب على من يتمير على أقرانه بالأخلاق الحميدة كثرة حسد الناس له، ومن لارم تحقر إخوانه إذا لرم من ذلك التحقير المذكور تحرك عندهم الوقعة فيه، وعمل السكائد، حتى ربما رموا بيته وبين حكام بلده، فتعاديته الولاة، وإذا عادوه اتبعوا سره، وأشغفوه عن ربه، وكفى بذلك فتنة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: يجب على من يتميز على أقرانه بخلقٍ عريب محمود أن يسأل الله تعالى أن يعمي عنه أبصار الحسدة وغيرهم؛ حتى يصير يعمل عالماً بالأخلاق الحميدة، ولا يتعطر له أحد مدة حياته، وذلك كالكرم والرهة والورع.

فيقول كلما أراد أن يظهر خلقاً غريباً: اللهم استرني بين عبادك. وقد وقع لي أيام الشتاء في سنة ثلاث وستين وتسعمائه، فرقت ثيابي كلها من أصواف وجوخ وحسب وقمصان على من له ررق فيها من الفقراء، وبعث بعضها واشترت به حباً للعميان وغيرهم، واستعرت ثياباً فلسستها، فجاعلي سائل قدم أحد له سوى عمامتي، ففقطعت له منها نحو الربع فاشتهرت بذلك في مصر، وقدمي أصحابي بذلك على سائر أقراني، ولو أي كنت سألت الله تعالى أن يسترني في ذلك لربما فعل تعالى بي ذلك ولم يشعر بي أحد.

وقد كان الواحد من السلف يأتي إلى بيت أخيه في عيته، فيخرج ما فيه من ثياب وضعام ويصرفه على المارين على باب الدار، فيأتي أخوه فيخرج بذلك، ثم يكي من شدة الفرح ويقول: ذكرتني يا أخي مما كان عليه السلف الصالح الذين مضوا، انتهى.

وهذا الأمر لو فعله أحد الآن من أصحابه لما قدر على الانشراح به، ولو أنه اشترح به لعظمه الناس كل التعظيم لعرايته في هذا الزمان، فعلم أن من تحقق بأخلاق السلف في هذا الزمان فشكره الناس على ذلك وأنشوا عليه. فهو علامة على ميل نفسه إلى الحمد والشكر، ولو أنه صدق مع الله سبحانه وتعالى لدفع همته عنه جميع الناس الذين يمدحونه، وخرج من الدنيا بأعماله كاملة لم يقص من آخرها شيء، ولم يقدمني أحد على أقرمي. فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مردي عصرك نعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الحلم على الظالم الذين يشعرون عنده في الناس، ولا يهملون في الدعاء عليه بالخلاق؛ تحسناً بأخلاق الله تعالى في حلمه على من عصاه، حتى يستوفي جميع ما قدره عليه وعلى رعيته، ومن رعيته هذا الفقير الذي يأكل حلالاً ولا يقع في معصية، أما من يأكل الحرام والشبهات ويقع في المعاصي فدعاه على الظالم مردوداً، فضلاً عن كونه يبطئ.

فليحذر شيخ النصف الثاني من القرن العاشر صاحب العجائب والعرائف أن يطلب إجابة دعائه على ظلمه وهو يأكل الحرام والشبهات، لاسيما إن كان أكل به طعاماً أو لیس منه ثياباً، فإن دعاءه مردود من وجوه عديدة، وليس له قوة في التوجه إلى الله تعالى، وقد سعى أن السلطان سليمان بن عثمان رحمه الله وبصر عساكره وذريته، لما سافر لقتال الصوفي اجتمع به شخص من مشايخ بعلبك، فقال له: أعطني ألف دينار وأنا أتوجه إلى الصوفي أقتله، وأريحك من التعب في التجاريد، وبذل الأموال، فأعطاه ذلك ووعدته أربعين يوماً، فصمت الأربعون يوماً ولم يمت الصوفي، فأرسل وراءه وقال: أين ما وعدتنا به؟ فقال: توجهت إلى الله سبحانه وتعالى في قتله مدة أربعين يوماً ليلاً ونهاراً، وكان السلطان قد رتب له طعاماً كل يوم فقال: اطروا هل كان يأكل من طعامنا، أو كان يطعمه جماعة، فقالوا: كان يأكل منه، فقال السلطان: الذي يأكل من مال الولاة ليس له قوة توجه إلى الله، ولا يسكن من دخول حصرت، ثم ساعه في الألف دينار وقال له: لا تعد نوبتاً أحدًا بموعدي إلا أن علمت من نفسك القدرة على الوفاء. انتهى.

فعله أن من كان يأكل الحرام والشبهات بعيد عليه أن يجاب إلى أحد في سؤانه في أحد من الظلمة أن الله يهلكه.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لا ينبغي لعقير أن يطلب من تشمع عنده من الظلمة أن يحيه أو يعظمه، فإن ذلك محال، فإن الظالم كالتمساح الطامع على السمك، والعقير يقول له: لا تمسك هذه السمكة ولا هذه السمكة، ولا يقدر التمساح بطبعه في ترك كل السمك ويموت جوعاً، وكذلك الظالم لا يقدر على مع نفسه من أكل أموال الناس بالباطل، ولو أنه طلب الحلال لما احتاج الناس إلى شناعة الفقير، انتهى.

وسمعه أيضاً يقول: من آداب العقير أن يدعو للظالم بالهداية والتوفيق؛ ليكون رحمة عليه ولا يكون عذاباً، ثم إذا استوفى الظالم جميع المظالم التي قدرها الله تعالى عليه للعقراء الدعاء عليه بالهلاك، لكن مع التوبة أو العقوبة التي تكفر ذنوبه، وإن أراد سرعة هلاك ذلك الظالم فلينبس له ثياباً دسمة، ويمشي إلى دار الظالم حافياً، مكشوف الرأس، ويعلط عليه القول، فإنه بالضرورة يردري الفقير فينمى به سهم الله تعالى، فيترجى به العاد والبلاد، انتهى.

وقد فعلت أنا ذلك مع الأمير محمد البروردكان أيام تولية الوزير علي باشا بمصر، فأحرب الله دياره، ومات على أسوأ حال، ولم أذهب إليه، وإنما أرسلت إليه القيد، وقلت له: ارجع إلى الله، وإلا توحهما إليك إلى الله تعالى أن يحرب ديارك، فصاح: أبس العلماء يصرون هذا، فلم يجدوا أحداً منهم، فقص الله له في تلك الليلة ولده لصله، فأبى فيه للناس على أنه يعمل الزعل، وقال: أرسل الوالي معي، أطلعكم على الآلات المتعلقة بالزعل، فأرسلوا معه الوالي، فرأى الأمير كما أنهاد ولده موضعه في حجرير، وأسلموه لنوالي، وأخذوا منه نحو سعة أكياس ذهناً. وهدوا داره بنواحي مصر العتيق، كما أشار إلى ذلك العقراء، فلم يدعوا فيها قاعة ولا مطرة، وقطعوا أشجار حبيته، ونقضوا الجدران، فهي حراب إلى الآن، وسلبوا جميع خدمه وأمتعه، وما كانوا إلا شقوقه.

فليحذر الظالم من توجه العقير فيه، ولو كان من أكبر ملوك الدنيا، كما وقع للسلطان قايتباي مع سيدي علي البنتي الضرير، فإن السلطان أراد أن يهدم طاحون الشيخ لأجل عمارته في عمارة (الحانقاه السرياقوسية^(١)) ويعطيه بدلها، فأرسل سيدي علي يقول له: يا

(١) ويقال أيضاً: حانكاه، والحانقاه لفظ فارسي، معناه البيت أو المهد أو الدبر، ثم أطلق اللفظ على مكان الذي يقيم فيه الصوفية لعبادة. وانظر: الخطط لسقيري (٢٧١٤)، والسلك له (١).
(١٨٢)، والمعجم في اللغة الفارسية الهندوي (ص ١٢٩).

قائماي ما لك قدرة على توحه الفقراء فيك إلى الله تعالى. فحاف السلطان ورجع عن هدم الطاحون.

فيسعي للفقير إذا أراد صحة أحد من الظلمة أن يسأل الله أن يعربه منه إن كان فيه خيرا، وإلا فيبعده عنه، ثم بعد ذلك إن قرب كان الخير في صحبته، وإن بعد كان الخير في بعده.

فاعلم واعرض ما قررناه لك على مرهدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يسألوا رحمهم ألا يصلي عليهم بعد الموت إلا من حالطهم، وأطلع على رأتهم من طريق الكشف أو غير ذلك ولو بسوء الظن. وذلك ليسأل الله سبحانه وتعالى للميت أن الله يعمر له ذنوبه على التعيين، بخلاف سؤال المعصرة على الإجمال وإن كان آخر ويحس يعلمها. فإن دعاء المصلي يكون حادجا^(١) كدعاء الشيعان أن الله يبرره رعيافا، فإن أعصاه لا تستحب له في السؤال على وجه الاضطراب كالحجباء، فانهم.

وكذلك القول في دعاء المعتقد في الميت الخير والصلاح، فإن دعاءه يكون حادجا، ولو رد العلم فيه إلى الله سبحانه وتعالى، وإيضاح ذلك أن المصلي على الحجارة شافع لها، فكلمها عرف ذنبه اثنتد كربه عليه.

كما قالوا في أدب المرید: إنه يسعى له أن يعرض صحيفته كتبها على شيخه في هذه الدار، ليشفع له في ذنوبه عند ربه حتى لا يحوجه لطول الوقوف في الحساب بين يدي المولى سبحانه وتعالى.

وبما فلما أن من يسعى الظن بالميت أولى مما يحسن به على سبيل العرض والتقدير، أو بحكم العراصة والقرائن الدالة على سوء طنه بالناس، فإنه يدعو للميت مع تحيل ذنوبه التي قاساها على نفسه.

وقد قدموا أحي أفضل الدين مرة للحجارة فتأخر، وقال: قدموا عيري من هو يعرف رلاته ليشفع له فيها عند ربه على التعيين. فإني مخفأ إلى من يشفع في.

فإن قيل: إن العلماء قالوا أن دعاء الصالح أقرب للإجابة، ومعلوم أن الصالح مصوح الحال، فالجواب إنما قدرناه لا ياتي ذلك، بعد بطلع الصالح على ذنوب الميت من باب

(١) الحجاج: هو كل نعمان في شيء.

الكشف^(١) كما قدمناه، أو من طريق المخالطة، أو من طريق الإلهام، فيكون أولى من جهتين: من جهة صلاحه، ومن جهة اطلاعه على ديوه، وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية.

فاعرض يا أخي ما قررناه لك على من يدعي الصدق تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يروون فم مصلًا على من أعطوه شيئًا من الذهب أو الفضة، بل يروون النعمة عندهم في ذلك؛ لأن العالب على من يطلب صدقات الناس بحبته الدنيار والدرهم، ولا يكاد تعد أحدًا ممن يسأل الناس بالحال أو يقال راهدًا في الدنيا، ومعلوم أن الدنيا أمة إبليس، وكل من أدخل حبا قلبه دخل له إبليس ليروو بنه وصهره، فيفسد عليه قلبه، وفي مد حلقه بركة العطاء، بما حصل له من فساد قلبه بدخول إبليس فيه، ربما أتلغ قلبه وولد نفسه المعاصي والعملة والإعراض عن الله. والإقبال على ربه الدنيا فأهلكه.

واعلم أنه ينبغي لمن أعطى فقيرًا ذهبًا أو فضة أن يسأل الله تعالى له الخفظ من ميل القلب إليه، حتى لا يدخل إبليس باطنه، وذلك بالرهدة في الدنيا حتى يصير الذهب كالتراب على حدٍّ سواء، ومن نظر بعين التحقيق رأى صرر العطاء للفقير أشد من صرر الشحيح والبخيل عليه.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله يقول: ينبغي للمصدق أن يرى الفضل لمن يقبل صدقته، فإنه لو لا قبوله الصدقة ما حصل للمصدق أجر، ولا رال منه دون. فحكم الفقير إذا قبل صدقتك حكم من غسل ثوبك إذا تسمع بلا أجرة، فله الفضل عليك؛ وليس لك الفضل عليه. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على عائب مريدي عصرك تجدهم لا عزم لهم بما قررناه، بل ولا خطر ببالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) قال الحق العراقي قدس سره: عزم للمكاشفة عبارة عن نور يظهر في القلب عند تظهيره وبركته، تنكشف به أمور كان يسمع اسماءها ويتوهم بها معاني غير متضمنة فتضح.

وقال: من لم يكن له نصيب من علم الباطن أحسن عليه سوء الخاتم، وأدى السبب منه التصديق وتسلية لأهله، ومن كان فيه حصتان لم يفتح له من هذا العلم بشيء: بدعة، وكبر. وقال: من عرف الله بالرجال حار في مشاهات الصلال، فأعرف الحق تعرف أهله.

ومن أحلاقهم:

طلبهم الدعاء من الأمراء والأكابر من حيث أن الله تعالى أعطاهم التصريف في هذه الدار دوساً، وجعلهم أبواباً لقضاء حوائج الخلق، وربما تعطف الحق تعالى عليهم بإجابة الدعاء في حق كل من دعوا له بيلاً يجعلهم بين الناس، ولو لم يعدلوا كما وقع لمرعون لما سأل الله سبحانه وتعالى في طلوع بيل مصر بعد توفعه، ولم يرد دعاءه، وهذا سرٌ حصي له، لا يطلع عليه كل أحد.

وقد كان سماعيل الثوري رحمه الله^(١) يطلب الدعاء من أعوان الوالي، ويقول: ربما كان قلب أحدهم أحسن لله من قلبي، وربما كان عمر لأحدهم دنوبه دوني. انتهى.

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: إذا توقفت عليكم حاجة عند الله فاسألوا فيها نائب مصر؛ فإنه أعظم الوواب درجة؛ لكون غالب رعيته في مصر حملة العلم والقرآن، ومن ولاه الله تعالى على مثل هؤلاء فهو أعظم ولاية الله على الحمد والنعيم، والمستدعة من سائر أقطار الأرض، وقد أجمع الناس على أنه ليس في بلاد الإسلام أكثر حفظاً للقرآن والعلم من أهل مصر.

فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

سد باب الإنكار على شيخهم جملةً، وذلك بالعمل على تطييف باطنهم من سائر الأدناس والخواطر الرديئة، فإن المرید ما دام في قلبه شيء من الأدناس فهو يحمل على ذلك شيعة طئاً أو حصوراً، ولا يملك عن مثل ذلك إلا أن أشرف على مقام الكمال، ودخل أوان العظام، ومن هنا طالت الطريق على غالب المریدين في كل زمان، ففضوا بأشياحهم الشر، معدموا الجمع بهم، وكل شيخ حق له قدم المشيخة، فهو يعلم من ذلك ولو تبرأ منه المرید.

فاعمل يا أخی على تطهير نفسك من الأدناس لتنتفع بشيحتك، ويرقبك في مراتب القرب من حصرة الله تعالى، فإنه ما دام في باطنك شهوة خرام أو مكروه فلا يقدر شيحتك على إدخالك حصرة الله تعالى أبداً، ولو كتبت على عبادة التقدين.

فاعرض يا أخی هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی عصرک تعرف هل ومي

(١) قال النصف: كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث.. وكان عالم الأمة وعاهدها وراهداها، وكتب الحديث والتراجم مشحونة بأحاديث المباركة، وانظر: الطبقات الكبرى (١: ٢٢٠).

به، أو وقع في شيبه إذا رآه في محل ربة كحلوته بأحسية، وهو ذلك.

ولا تفس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يركوا أصحابهم في عينتهم، في كل مجلس ذكرهم الناس فيه بسوء، ثم لا تطلب بعوسهم منهم أن يصنوا بذلك إخوانهم لا بعفسه ولا بغيرهم، وهذا خلق لا يقدر على التخلق به إلا من يعامل الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم.

فليمتحن الذي يركي إخوانه، ويدكرهم بخير في عينتهم بعفسه، فإن رآها ضيل إلى إعلام من ركاه ويحصل عندها بعض قبض، إذا لم يصل إليه علم ذلك، فيعلم إن ذكره أحياه من وراءه بحبر إنما هو رياء وسعة، فإنه لو كان يعامل الله تعالى لاكتفى بعلمه تعالى، ولم تشوف نفسه إلى إعلام أحد من الخلق بذلك.

فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وعلى مریدی عصرک تعرف حالک وحاض، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم كل الحذر من الوقوع في شيء من المعاصي سرّاً، لاسيما ما يوجب الحد أو التعزير أو النفي أو إسقاط أغبة من قلوب المؤمنين، ولا يتساهل في الوقوع في ذلك اعتماداً على ما عهده من حلم الله ومتره عليه.

فإن الحق تعالى ربما ستر عن المعاصي ثم أحده من بلاده، وسلط عليه من يصربه الحد وأكثر، أو يعمره بين الناس بالتحريح والنصع والتفريع غيرة على شرع به، أن ينتهكه أحد سرّاً، فإنه يرى من الله وسيع.

ولما قلنا غيراً على شرع نيه تلويحاً؛ لأن الله تعالى لا يؤاخذ الخلق إلا لإحلالهم بحقوق الخلق؛ إذ الألوهية لا تنتقم لمصها؛ لأنها خالقة لأفعال العباد، وإنما تنتقم للخلق بعضهم من بعض من حيث كسبهم.

ومن هنا يعلم أن جميع ما يؤاخذ به الخلق إنما هو بذنوبهم التي أحصاها الله تعالى عليهم، وإن سوه فلا يعني المبادرة إلى التراجع لمن نفي من بلاده سبب أو جلد، بل ينهي التبرص، وربما زنا وهو بكر، ولم يعلم به إلا الله تعالى، فالصادق من مد باب العقوبات عنه بعدم وقوعه في الذنوب سرّاً أو جهراً.

فاعرض ذلك على من يدعي الصديق من المریدین تعرف حاله، ولا تفس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كتمان الفقر والعنى، فإن إظهار الفقر فيه شكوى الباري جلّ وعلا، ودعوى التجرد من الدنيا وكذلك القول في إظهار العنى فيه دعوى الكبر من كان فيه وصف العنى أو العرة للعنى، كما أنها مباحة لمن كان فيه وصف الفقر والدل، فيدخل حصرة الله ﷻ، في أي وقت شاء، لا يمنع في وقت من الأوقات، فعلم أنه ينبغي لكل من سأل عني أم فقير أن يقول: أنا بخير، ولا يتعرض لفقر ولا عنى، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مراعاة الأبطال في التقوى، والإكثار من عمل الآخرة، فقد قالوا: ليس السطل من يقطع السراي والتعمار، إنما السطل من يتق الله ويحالف هواه، وقالوا: عليكم بالتقوى، فإنها ما جاوزت قلب عبد إلا وصل إلى حصرة الله ﷻ.

وقالوا: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يصبر على شدة الجوع والعري والآلام، كما يصبر القابض على الجمر في كفه ليلًا ونهارًا مدة حياته. انتهى.

وهذا أمر لا يصلح إلا ممن آتاه الله تعالى بقوة من قوة أهل حصرته.

فأعرض يا أخي ذلك على نفسك ومريدي عصركم تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم الخوض في أعراض أحد ممن مات، فصلاً عن أهل الرمان، وذلك لأنه قل من يكون في عمة إلا ويكون له أعداء وأصدقاء، يفلون عنه البهتان والرورة، والعاقل من حفظ لسانه عن الأحياء والأموات، وأطلق لسانه بالحمد والشكر وأشاء بطريقه الشرعي.

وقد قالوا: من أراد العز عند الله وعبد الناس فليسكت عن ذكر عيوب الناس ما أمكن.

قالوا: ويؤكد ذلك على كل من اعتزل في رؤوس الجبال والقفار ليشاكل بعضه بعضاً، فإن صورة المعتزل صورة من انقطع إلى الله سبحانه وتعالى وترك الناس، وذكره يعيوب الناس الذي بلغت عن السنة الفسقة بها صورة حاله. وذلك بأكل الحسرات التي عملها حال عزلته فيذهب إلى الأخيرة صقر الديدن.

وهذا الأمر قل أن يسلم منه معتزل؛ نكون إبليس له بالمرصاد، لا يكاد يفارقه، ويقول له: اذكر أقرانك الذين لم يعتزلوا الناس بسوء تشدد أنت بالصمت، ويكمل لك اعتقاد الأمراء، فلا يلتفتون إلى غيرك، فتصير تشمع في الناس عدهم، ولا يردون بك

شامعة، ويزين له ذلك كل التزين حتى يهلكه.

فاعرض ذلك على من يدعي الصادق من مريدي عصره تعرف حاله، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على جلاء قلوبهم من الشهوات والأدناس؛ حتى لا نصير خواطر العقول في المحشاء تحظر على قلوبهم؛ وذلك ليصح لهم دخول حضرة الله سبحانه وتعالى في الصلاة والمكث فيها.

وقد كنت مرة في حصرة الله تعالى وعندي من الخشوع ما الله به عليم، فحظر في يائي سوء ظن بشخص ممن يكرهني، فطرد قلبي من الحصرة، وصرب الحجاب بيني وبينها، فاستحليت ذلك بالاستنعاز حتى عجزت، فلم أقدر على دخول الحصرة عدة أيام، هذا في خاطر لم يستفر فكيف بالخواطر التي استقرت وصارت عرقاً، وهذا الخلق قد صار غريباً في أكثر المريدين.

فاعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يتحد أحدهم بغيراً حدث السن، وإنما يتحدون من حرب الأمور من الكهول؛ لأنهم أقرب إلى معرفة مرادهم من الأحداث في صغر السن؛ والأحداث في الطريق، فإنهم ليسوا بمحل لأسرار الرجال، وربما لاث الناس بالفقير إذا كان نقيباً حدثاً، وطوا فيه السوء.

وقد فأنوا: من سلك مسالك التهم، وحذب حسن الظن به، فهو كمن يريد أن يحجب نور انشمس عن الأرض بلا حجاب محاب، فكما أن الشمس يحكم بحرارتها الأرض، فكذلك سوء الظن بس سلك مسالك التهم يحكم على الناس به.

وقد أقمت مرة بغيراً أمركاً، فكشف لي مرأيت معه شيطانين: واحدك أمامه، وواحدك خلفه، كلما يدخل عليّ، فعزله.

ومن ذلك اليوم ما وليت بغيراً إلا إن كان طعن في السن، ودريت لحبته، ثم من خاصته لتعاد النقيب من الأحداث. سقوط جاء الفقير من قنوب الناس، فلا يصير له جاء في قلوبهم، وذلك أن الميل إلى كل مستحسن في الوجود دون الله تعالى يورث المقت والإهانة عند الله تعالى، فضلاً عن الخلق، ومن يهن الله فما له من مكرم.

وقد قال أشباح الطريق كلهم: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأتدان والجيف.

ويهي بذلك صحبه الأحداث.

وقالوا: ما ابتلي عند بذلك إلا أهانه الله وحده، ولو يأنف ألف كرامته أهله، لأن الحق تعالى عبور. ولا يحب أن يرى قلب عبده المحصوص بغيره، وربما رأى تعالى محبة أحد في قلب ولية سمعت ذلك الولي أو ذلك المحبوب، وربما غار الحق على قلب ولية أن يدخل محبته بغيره، فقصي حوائج كل من توجه إلى ذلك الفقير من غير علمه؛ خوفاً أن يشعل قلب ولية بأحد سواه؛ ولو حصل بذلك الثواب؛ لأنه ثم مقام ربيع أرفع. ومن هنا يعرف الحق سر أمره ﷺ بالاستعمار في سورة النصر، مع أنه ﷺ كان تحت أمر الله تعالى في كل شيء فعله أو قاله.

فإياك يا أخي وظن السوء في الفقراء الذين اتخذوا أحداً من الأحداث نصيباً، وربما قصد بذلك حفظه من المواجهات، وقد نفت خلق كثير باعتراضهم على الأشياخ، كسدي يوسف العمري، وسدي إبراهيم المتبولي، ومات المتراضون عليهم على أسوأ حال. ثم لا يخفى أن كل فقير جعل لظاهره الشرع عليه اعتراضاً فهو ناقص رتبة الرجال، إلا أن يحمي نفسه من المعارضين، فيأخذ بأقوالهم عن الكلام في حقه، ويقلوبهم عن سوء الظن به، كان أوصافها الكلام على ذلك في كتاب ((المن الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على نفسك وأقربائك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

استحلانهم لصحة النولاة إذا رأوا فيها مصلحة ترجح على التباعد منهم. وطردهم كدلت من صحبتهم إذا رأوا أن ذلك الطرد أرجح في حقهم؛ وذلك لأنهم لا يفعلون شيئاً إلا أن رأوا رضى الله فيه، فليحذر الأمير إذا نودد إليهم أن يرى أنه فضلاً عليهم بترده، بل الواجب عليه أن يرى فصل الفقراء عليه، وتقريبهم له من حصرتهم؛ لأنها حصرة الله ﷻ، ومن أدخل مطروفاً حصرة الله ﷻ فلا يصح له مكافأة من أدخله بشيء من الكوتين.

وكان سدي علي الخواص رحمه الله إذا طلب أحد الأمراء أن يصحبه يتوصاً ويصلني ركعتين، ثم يقول في سجوده: اللهم إن فلاناً قد عزم على صحبتنا، فإن كان في صحبتنا خير لي منه تسهل علينا ذلك، وإلا فاصرفه عني صدقة من صنفاتك علي، فيصبح ذلك الأمير عنده بنفسه من غير استحلاب. فيعرف بذلك أن صحبتنا خير، وإن لم يصح عنه يعرف أن صحبتنا شر.

وقال سيدي علي الخواصر رحمه الله: لا تصفو النوفت للفقير في صحة الأمير إلا بعد صدمة تحصل له من عزل أو مصيبة في بدنه، ويجد الخلاص منها على يد الغفير، وما لم تحصل له الصدمة فلا تصفو محبته معه.

وكان أيضاً يقول: لا ينمي لفقير صاحب أميراً بعد الاستحارة وظهور أن صحبته خير، أن يأكل من هديته أبداً.

وقد وقع لي أن الأمير عبد الله بن بغداد أرسل للراوية عشرة أرادب بسلة، فأكلت منها يوماً ناسياً فتعبته، وكل من لم يعطه الله التصريف في الظلمة فاسحلابه لصحتهم من سحافة العقل، فإن من حق الظالم على الفقير إذا صحبه أن يتحمل عنه جميع مظالم العباد يوم القيامة، أو يشفع له عند الله تعالى، يبرصى عنه أصحاب التبعات كلهم حتى يخرج من قبره نفياً من الديوب، ليس لأحد من الخلق عليه حق، فمن قدره الله تعالى على ذلك فليصحب الظلمة، وإلا فليكن عن صحبتهم معزول.

وقد وقع أن عبد الله بن بغداد خرج عن طاعتي فيما أمره به من الخير، فتوصأت وعلبت ركعتين، وقلت: اللهم إن كان في صحة هذا الولد خيراً فاجعله مفاد القلب لما أمره به من الخير، فأصبح عندي من بكرة النهار، فعلمت أن صحبته لي خير من مفاطعتي.

وكان أخى أفصل الذين رحمه الله يقول: كل فقير توجه إلى الله في ولاية أحد من الولاية فهو وشريكه في جميع الإثم الذي يحصل له، فليوطن الفقير الذي توجه في ولاية ظالم نفسه على تحمل مظالمه يوم القيامة.

فاعلم ذلك، واعرضه على فقراء عصرك تعرف حاضره، ولا ننس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلالهم:

تمويص أمرهم إلى الله تعالى في إصلاح أولادهم إذا كانوا على غير قدم الاستفادة السبية لأمتهم، ولا تعبوا أنفسهم في تربيتهم من غير تشويص أمرهم إلى الله تعالى، فإن ذلك لا بعيد لاسيما إن صرب أحدهم ولده وجوعه وأعره، فإنه لا يرداد إلا جوعاً.

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس في دين الله تعالى، ومع ذلك ابتلاه الله تعالى في ولده أبي مشحمة، وكان مفرطاً بشرب الخمر، وعمر أبوه وهو بجده وهو لا يرجع، فعوض أمره إلى الله تعالى فتاب من يومه، وصبح حاله، وكذلك وقع الكثير من أولاد العلماء والصالحين.

وأخبرني شيخنا أن بعض أولاد مشايخ الإسلام كان معروفاً بالشراب، والشيخ يقول: تكذبون عنه، فلما أكثروا عليه قال: لا أحده إلا بطريق شرعي من إفراده، أو بية أنه شرب غير مكره، فأتوه به مرة في دست طباح وحملوه بعير عفل، وقالوا له: انظر ولدك، فكشعوا الدست بين يديه، فوجد ولده لا يعرف السماء من الأرض، فأنر في والده ذلك، فلما كان الليل كشف الشيخ رأسه وسأل الله تعالى أن يتوب على ولده، فأصبح الولد نائبا، وما شيء أبغض إليه من الشراب.

فاعلم ذلك، وفوض أمر ولدك إلى الله تعالى، وأمر إخوانك بذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على تحصيل عبة الله تعالى لهم، حتى أن الحق تعالى يحميهم من الوقوع في شيء يحميهم عن حصره، فإنه هكذا يفعل مع من يحميهم عكس من يكرههم. ومن فائدة عبة الله تعالى أيضا للعبد أنه يرسل على كل جارية من جوارحه الظاهرة والباطنة ملكا يحرسها، ويحفظها من أن تصرف في شيء يكرهه الله سبحانه وتعالى، وقد رأيت ذلك الموكل في ليلة من الليالي حين كشف الله عن بصري، فشهدت الملك الموكل بعبي. والموكل بلساني، والموكل بفرجي، والموكل بعقلي، ففرحت بذلك غاية الفرح، ثم حرت بذلك أشد الحزن، خوفا من حياتي لرسل الله تعالى، إلا في حانة دهلهم عن حظي بما تجلي لهم من عظمة الله سبحانه وتعالى مثلاً.

فإن قلت: كيف الوصول إلى مقام عبة الله؟

فالجواب: إن ذلك بمنابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وورعه، وغير ذلك من أحواله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإن قلت: كيف الوصول إلى متابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله والموانع ودونها قائمة؟

فالجواب: يصل العد إلى ذلك بالسلوك على يد شيخ صالح، يرمل منه الموانع شيئا بعد شيء، حتى لا يبقى بينه وبين مقام الاتباع مانع إلا عدم القسمة الإلهية. ومن ثمرة عبة الله سبحانه وتعالى للعبد أيضا حمايته من أكل الحرام والشبهات، ومن ألا يرد له دعاء؛ فإن أكل الحرام والشبهات مانع من قبول الدعاء، ما دام في البدن شيء من قوى تلك اللقمة.

وقد قالوا: إن النعمة بمكث قواها في ثلاثين يوماً، وقلب العبد أقوى من الحجارة، لا يكاد يظن أن الله سبحانه وتعالى يجب له دعاء، فيجني شرة سوء ظنه بربه، عكس من يأكل الحلال، فإنه لا يرد له دعاء لحسن ظنه بربه، ثم إنه يتعين ترك أكل الشبهات على كل من صار معروفاً بقضاء حوائج الناس عند الله تعالى.

فاعرض ذلك على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحكموا بين الفقراء بالعدل، ولا يمينوا مع رندهم أو أصحابهم ولو بانقلب، بل البعيد والقريب عندهم في الحق سواء، وقد أجمعوا على أن كل شيخ حكم بين الفقراء بالهوى، دهمت حرمة من القلوب، وهيته لروال تعظيمه عند الله سبحانه وتعالى، وكل من حكم بالحق عطيه الله تعالى في قلوب عاده، وأعطاه أهبة في قلوبهم.

فاحكم يا أخي بالحق، وإلا دهمت حرمتك وهيتك من القلوب، وعدمت انتفاع الفقراء بك، ولاه نوابك بالسنتهم وقلوبهم، واعلم أنه يجب على شيخ الراوية أن يقوم كل القيام على ولده وأخيه وابن عمه إذا تعاضم مع أحد من الفقراء، ليرضى الله والناس وإلا دهمت رئاسته على الفقراء، وخرجوا من تحت طاعته قهراً عليه.

فاعرض يا أخي على نفسك وأقرانك حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تنقيتهم لأعمالهم من الشوائب القاذحة في الإخلاص، فإنها تعب من غير فائدة، فيحملها صاحبها على طهره، إلى أن يضعها عند الميزان، فتأتيها الملائكة فتشير ما كان منها لله تعالى، ويصمحل ما لم يرد به وجهه. فحكم هذا من فتح مطلقاً في دار الدنيا، وملاً من حراجه، فلما جاء به إلى داره وجد بهراً أو خفياً، فإنه يدم حيث لا يسمعه الندم.

ولعل هذا الحال هو حالنا اليوم في أعمالنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون لهم حال المعصية عباد أو عين، فعين يظفرون بها كسهم للمعاصي بعد نهى الشارع ثم عنها فيستعمرون منها، وعين يظفرون بها حكمة التقدير الإلهي. فيرصون بذلك عن الله، وهذا معنى قول الأئمة رضي الله عنهم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقصي.

وقولهم: نؤم بالله ولا نحتج على الله به، ومن هنا كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم احفظني من الوقوع فيما يكره أسبؤك ورسلك وعبادك الصالحون، ولا يقول: احفظني مما نكره، فإن الله تعالى هو حائز لأعمال العباد ومختارها، وما كان من فعله واختياره لا تتخلص لكراهته من كل وجه، كيف يتصور حقيقة كراهيته لما خلقه واختاره؟ انتهى.

واعلم أن معنى عدم محبة الحق تعالى لشيء من الأعمال وبعضه له أنه لا يحبه لبعده شفقة على عبده. مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [المر:٧].

وقوله في الحديث القدسي في عبده المؤمن من يكره الموت مع أنه تعالى هو الذي قدره عليهم، فاعلم.

فما تعاضت الأعمال إلا بالضر إلا الخلق واكتسابهم، وإذا تمس جعلها إلى الله تعالى كلها من حيث كونه خائفا لها، ومن هنا قاتلوا؛ الربوبية لا تنتقم لنفسها، إنما تنتقم لكون بعضه من بعض، وكذلك القول في إبليس يجب عليهم عداوة أعماله من حيث كونها حاجة لهم عن حصره رهم، لا يجوز لأحد أن ينهه فيها، كما يجب على كل عارف أن يطلب من الله تعالى الحكمة في لغة إبليس، مع أنه لا يتحرك بحركة إلا إن حركه الله تعالى بقدرته، وهذا أسرار في الكلام على حقيقة مرتبة إبليس لا تُسطر في كتاب.

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على نفسك ومريدي عصرك تعرف حالك وحالهم في هذه المشاهدة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقيهم:

ألا يستحي أحدكم أن يذكر لشبهه أمراضه التي ابتلي بها في الباطن؛ لأن المريد مريض والشيخ هو الطبيب، وإذا كنتم المرضى داءه عن الطبيب طأن زمن مرضه، وليس من شرط الشيخ الاطلاع على ديوب المريد، إنما الواجب على المريد إنما هو الذي يذكر عيوبه لشيخه؛ لأن حصرته ممرهة عن شهود القائض والقبائح؛ إذ هي بعينها حصره الأنبياء والملائكة والأولياء، وليس في حصره أحد من هؤلاء شيء من القائض التي تسخط الله تعالى، وإنما هي حصره رصا الله تقريبا ومع عطايا، عكس حضرات الشياطين؛ فإنها حضرة سخط وبعد عن الله ومقت وحرمان.

وفد قدما في هذا الكتاب أنه يجب على المريد أن يعرض صحيحته كل يوم أو ليلة على استاده؛ ليشمع له في ديوبه عند الله تعالى، أو بدله على طريق معرفتها، وأنه ليس بين المريد وبين شيعه عورة؛ لأنه نائب للحق تعالى في محاسبة المريد في دار الدنيا ليحصف حسابه في الآخرة.

وقد حكى القشيري في باب رؤيا النوم من رسالته بأن بعض الأولياء رُئي بعد موته، فقبل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: عمر لي كل دسب أقررت له به، إلا دسأً واحدًا استحبيبت أن أنلظ به، فأوقعني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقبل له: وما ذلك الدسب؟ فقال: نظرت يومًا إلى امرء شهوة حائل بدايتي، فلو أن هذا الشخص كان ذكر ذلك لشيحه في دار الدنيا لكان شميم له فيه عبد الله تعالى، أو علمه الدواء المنكسر لذلك.

فعلم أن كل مريدٍ كم عن شيحه دسأً من الدنوب فقد عسَّ نفسه، وحال شيحه. فاعرض يا أخي صحبتك كل يومٍ أو ليلةٍ على شيخك، ولا تحف من ارداء شيخك لك؛ فإن الأشباح لا تردري أحدًا من العصاة بذلك، بل يظرون إلى كل عاصي بعين الرحمة، وإقامة العذر في الباطن وإن زجروه في الظاهر.

وأكثر من يعمل هذه الخلق طائفة الدنياء، فيخبرون أشياخهم بكل ما حطر بياهم أو فعلوه، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعمل على ذلك، لكن يكون ذلك سرًّا بينك وبين الشيخ، هذا شأن المريد ما لم يتحد بالشيخ، فإن وقع له اتحاد فهناك يكفه التوجه إليه نفسه، ولو كان فيه وبينه بُعد المشرقين، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وقع أخوهم في دسب يستفتح ذكره عادةً كتقبل امرأة أجسفة، وأراد تأديبه أن يرابعه بذسب لا يستفتح عرفًا، كالبول فائمًا بلا عذر، وتركه قيام ليلة ونحو ذلك؛ كي لا يخلطوه بين الناس، لاسيما إن كان في مجلس الماشقة من لس خرقه الفقراء.

وقد كان سيدي أبو السعود الجارحي^(١) إذا وقع له ماشقة فقير على دسبٍ عظيم بين العامة يقلب ذكر الدسب إلى شيء لا يراه العامة دسبًا، كجمعه لندبار، وتبيته لندبار والدرهم في داره مع علمه بحاجة أحد من المسلمين إليه، فتقول العامة للشيخ: شيء لله المدد، ويتعجبون من مثل ذلك.

وكان يحرص في الليل فيصع يده على فروج المريدين وهم نائمون، فكل من رأى فرجه منتشرًا عاتيه بكرة النهار. وأمره بالجووع والأعمال الشاقة؛ خوفًا عليه من الفواحش، ويقول: إذا كان فرجك منتشرًا وأنت نائمٌ وروحك بين يدي الله ^{تعالى} فكيف بك إذا

(١) كانت له الكرامات الخارقة والتلامذة الكثيرة والقبول الثام عند الخاصة والعمم والبنوك والوزراء... وكان كبير المجاهدات، لم يسمع عن غيره ما يسمع عنه في عصره من مجاهداته. توفي ينف وثلاثين ومئمة، وانظر: الطبقات الكبرى (١٦٧/٢).

كنت مستيقظاً ونفسك في حضرة الشياطين والفساق. انتهى.

يتوهم منه محبة الفاحشة فيه، فلو كان ذلك الشخص يسحب الشاب لفاحشة لمر منه.

وقد كان الشيخ عبد الخليم بن مصطلح يقول: إذا رأيتم الشاب يحب الماتحي مضوا بالشباب خيراً، وإذا رأيتم المتحفي يحب الأمرد وهو غير محموظ الطاهر فهو عمل الرية. انتهى.

وكلاماً في غير أرباب الأحوال، أما من كان له حال مع الله تعالى فهو محموظ غالباً من الوقوع في فاحشة.

وقد كان سيدي إبراهيم المنولي رحمه الله تعالى ينام من الأمرد في الخلوة ويقول: احفظه من أهل الفساد، فأنكر عليه فقيه في ذلك، فقال له: إنما أفعل ذلك لأحفظه منك ومن أمثالك، فاستعنى على الشيخ فمسكوه ثمي يوم بأمرد من ممالك الأكابر، فدخلوا به بيت الوالي وضربوه ضرباً مبرحاً، وحسوه حسة كاملة، فأرسل يقول للشيخ: نت إلى الله، فقال: غداً بطلق، فأطلق.

وكذلك كان سيدي إبراهيم يجمع بين المرد والرجال العرب في مكاب واحد، ويقول: كل من بعدى على أخيه لحفته الماردة والسحوية نهره، وأسمائه تضرب عليه سبع شهور، فما كان إلا هلك. انتهى.

فإن كنت يا أخي تعلم من نفسك حماية نفسك وحماية الشباب منك أن تتبع سيدي إبراهيم، وإلا فابعد عن ذلك؛ فلما تهلك وتهلك الناس بسببك.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقربائك تعلم حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا شاورهم أحد من الولاة في صحة أحد من إخوانهم يعرفونه عنه جهدهم، ويجرحوا فيه عندهم، إلا أن وثقوا بفساده في الطريق، ويقول شعاعته عند ذلك الأمير، فيجسد يرغبونه في صحبته، ويذكرون له محاسنه وكراماته.

وكان أخي الفضل الدين يقول: مذهبي وجوب التمييز من صحة أمثالك؛ فعلى الميل إلى الألوهية بقينا، وكاد يشكر الله تعالى، ويحمد كل من يمر به أحد من الولاة، ويقول: جزى الله أخانا فلاناً خيراً على ما فعل معنا. انتهى.

وقد وقع أن الشيخ أحمد القلبي رغب الأمير عبد الله بن بغداد في صحبتي، فشركته

من حيث ظنه في الخير، ثم أرسلت أقول له: لا تعد ترعب في صحبتي أحدًا من الولاة؛ فإن السلامة مقدمة على العيبة، ومن حق الأخ أن يحنط لأخيه كل الاحتياط وفاءً بحقه، وقد بسطنا الكلام عن ذلك في ((العن الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك عني نفسك والمراتب تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا حج أحدهم ورجع إلى بلاده أن يبدأ بإخوانه بالسلام، ويذهب هو إلى بيوتهم ويسلم عليهم، ولا يحوهم إلى الذهاب إليه، ولو كانوا دونه في المقام عادةً، وفي ذلك من التواضع ورياضة النفس وتهذيب أخلاق الإخوان.

وقد دخل أبو حفص البسابوري بغداد فبدأ بمنزل أبي القاسم الحسبي، فسلم عليه؛ فلما يحوجه بالمشي إلى المشي له، فتعافيا وتعادتا مليًا، ثم خرج أبو حفص إلى مكانه، فما استقر إلا والحفيد عنده، فسلم عليه ناسًا، ثم قال: ذلك فضلك وهذا حقك. انتهى.

فليحذر الفقير إذا حج أن يحوج أحدًا من أكابر العلماء والصالحين أو الأمراء أن يأتيه، بل يبدأهم هو بذلك، إلا أن يترتب على دهايه إليهم لو تهرسه يرجع صرره على صرر عدم الذهاب، فهناك يعمل بالأرجح، ولا يذهب إلى أحد منهم.

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: إياك أن تلتفت إلى محبي أحد يسلم عليك إذا رجعت من سفر الحج، لاسيما أكابر الناس، فإن ثواب حجك لا يجرى من حق طريق واحد منهم، فيجب عليك رد المس عن طلب ريارها ما أمكر، فإن كل من لم يأتيه فقد عتقها من منه عليها، ولكن إن جاءه أحد مع غير قصد فاشكر الله تعالى، وكافته على ذلك بقضاء حاجة له. أو تودد لريارته، أو هدية ترسلها إليه ويحو ذلك، وهذا الخلق يحل به كثير من أصحاب الرعونات المتمسحين بأنفسهم، حتى أن شخصًا من تلامذة سيدي علي المصفي^(١) حج فلم يأت إليه سيدي علي، فانقطع عن ريارته إلى أن مات، وهذا الأمر واقع في غالب فقراء هذا الزمان، فيعادي أحدهم من لم يسلم عليه ويهجره إلى أن يموت، وربما كان أحدهم أكبر نفسًا من الأمراء، أو هو يطن بفسانيته أنه من الصالحين، وقد وقع أن الأمير حمزة كاشف الغريبة، والأمير خضر كاشف الشرقية

(١) هو من الأئمة الراشدين في العلم، وله المؤلفات السبعة في الطريق، واختصر الرسالة التفسيرية، واحسنت عليه الفقراء في مصر. وصار هو المشار إليه فيها لأفراض جميع أقرانه.. توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وانظر: الطبقات الكبرى (١١٦/٢).

والقبوينة لما حجا سنة اثنين وستين وتسعمائة أتيا إلى ريارتي، قبل أن آتي إليهما، فعماني بذلك التواضع من كونهما من الولاة، ولم يروصوا أنفسهم، ولم يدعبا الصلاح، فإذن هما أحسن من كثير من مشايخ الزمان، الذين تألف نفوسهم أن يدعوا بريارة أحد من الولاة والمقرء إذا رجعوا من الحج. وربما طي أحدهم بنفسه الصلاح، وأنه غير للحاج تلك السنة بسبه، وربما منع من يقول بذلك في حقه فيسكت ولا يكره، فيرجع من مكة ممقوثا، وتلك قانونا: إذا حج جارك فحول باب دارك: أي لأنه لا يرجع من الحج يرى نفسه علي، ويقول: دنوبي قد عفرت كلها بالحج بخلاف جاري، فيقال لمثل هذا: فإذا عفرت دنوبك قدم على احتقار نفسك، ورؤية عيوبك، خوفا أن ضوت في تلك السنة، فلا يقع لك بعدها حج، فتذهب إلى الآخرة بكل دنب يعادل دنوبك السابقة.

وقد أوضحنا الكلام على آفات رؤية النفس في كتاب ((المنن والأخلاق الكبرى))، فراجعها إن شئت، واعرض ما قلناه على نفسك وأقربائك تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يفتش أحدهم في هدية الحاج قبل أن يأكلها، ولا يبادر إلى الأكل منها تركا لها؛ لكونها جاءت من مدينة رسول الله ﷺ مثلاً، كما يقع فيه كثير من المسامحين.

وقد وقع لي أن حرة أمير الحاج، أرسل لي حراب تمر مرقته على المغاورين، فأكلت ثلاث حراب، فأحسست بأنه برل في بطني حجر معصره، ثم لعت نفسي وتقبات كل ما في بطني من تلك التمرات. حتى خرج طعام اليوم الذي قبله، وهتان العلامان تقعان لي كثيراً في الحرام والشهات، فما أحس بنقل في بطني فأشرب عليه ماء وانقيأه، وأما نفسي فيطبع سمه، وهذا من أكبر نعم الله تعالى علي، فإن به قطع مادة المعاصي، فإنها لا تنشأ إلا من أكل الحرام، وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن لم يستبرأ لدينه، فيبادر إلى الأكل من الهدايا التي تأتي من الحجار، والنظيف بطيها، والتسوك بمساويكها، ولا يلتفت إلى المادة الأولى التي اشترت تلك الهدايا بها، هل هي حلال أم حرام.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله مرة عن نبيد الحرة. فقال: اسألوا عن الثمن الذي اشترى منه الزبيب قبل أن يتنيد. انتهى.

وقد أعدت تلك الصلاة التي صيتها والتمرات في بطني، وأمرت الإطوان الذين أكلوا من ذلك التمر أن يهدوا تلك الصلاة.

لما ورد: ((إن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد وفي حوله شيء من الحرام^(١))).
فاعلم ذلك واعرضه على نفسك وإخوانك تعرف الحال، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

أن يعمل أحدهم الأعمال الصالحة غير طامع في الثواب، فإن طلب الثواب على العمل من سقطة النفس، وهو محطور عند شريف الأصل، فإن الأكابر إنما يمدحهم علمائهم قياتاً بواجب حقهم، لا لأجل أن يعطوهم أجرة على ذلك.
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول:

من طمع في فصل الله فقد حجر على الحق ألا يحرمه مما طمع فيه، وذلك معنود من سوء الأدب، كما قالوا في الرجاء: إنه من أنواع التحجير على الحق جل وعلا.
وأيضاً فإن العمل الذي يطلب للأجرة نسبته هو حق الله وحده لا خلق له عبد، فكيف يسوع أنه يطلب أجرة على فعل هو لغيره، فكان من رجا في الله حيراً يحجر عليه بقلب ألا يفعل معه صده، والحق تعالى مطلق، لا يدخل تحت تحجير عبده، وطريق الصد أن يسأل الله سبحانه وتعالى إظهار للعاقبة والحاجة، وبطهر الطمع والرجاء في فصله من غير ترجيح للعطاء على المنع. انتهى.
وسعته يقول أيضاً: إذا تصدقت بمال وهبه إنسان لك، فأجره لمن اكتسبه بتجارة أو صنعة، ولك أجر نية الخير لا غيره.

وقد رأيت ريذة في المنام بعد موتها، فقيل لها: ما فعل الله بك بعد تلك الصدقات العظيمة التي كنت تصدقين بها؟ فقالت: أجزأها لأربابها، وحصل ثواب النية في تفرقها للفقراء والمساكين. انتهى.
ولو أن ريذة حققت المطر لوجدت نفسها لا نستحق ثواباً على نيتها؛ لأن النية هي من خلق الله أيضاً.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم. والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم الواجبة عليهم:

إغاثة الملهوف، فمن ادعى الولاية وقلبه فارغ من تحمل هموم الناس فهو كاذب في دعواه، حتى أن القطب الموت لم يلق بالموت عندهم إلا لإغاثة الملهوفين من جميع العالم، وهذه الحقيقة سارية منه في جميع الأولياء.

(١) لم أقف عليه.

وكذلك من أخلاقهم: عدم الاحتجاب عن الناس إلا لضرورة، ولا يحلون قط على أبوانهم حجاباً إلا إن كان في البيت عبال لا مكان لهم يتوارون فيه، وذلك حتى يكون كل من طلبهم في حاجته وجدهم، وكل من أرادهم وصل إليهم، إلا أن يكثر الواشون الذين يدخلون عليهم لغير غرض شرعي، فيشغلوا الوقت بغير فائدة.

وكان سيدي عبد القادر الدشظوطي رحمه الله يقول:

من شرط الفقراء أن لا يتواروا عن أحد إلا لعذر، ولا يقولون لمن قصدتهم حاجة: ارجع بعد ساعة، ولا يمنعون قط سائلاً إلا بحكمة لا لتحل، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقربك تعرف حالهم وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلخوا من الخادم أن يجري على أعراصهم، وإذا أتاهم بما لا يوافق أعراضهم لا يعنونه على ذلك. إلا أن يكون الخادم تلميذاً للشيخ، فله أن يؤديه من حيث يحافضه أمر شيعه لا لغير ذلك، وإنما تركوا العتاب لمن حالهم من الخدام وحالف أعراضهم؛ تهدياً لأخلاقهم، ورياضة لفسوسهم، كما أنهم يحتملون الأذى من الخلق، ولا يقابلونهم بظير ذلك، ويحملون مؤثرهم عن الناس، ولا يلقون كلهم على أحد، ومن شأنهم أن ينهوا الفاعل، ويرشدوا الضال.

وكان سيدي عني الخواص رحمه الله يقول: من القوم من صارت إرادته متعلقة بكل ما يجريه الله تعالى عليه من الكون من غير تخصيص ما عدا محارم الله وتكليفاته، فإياه لا يرضاها كما أن الحق يريدها ولا يرضاها، ومن تحقق بهذا المقام صار يرضى بكل ما يفعله الخادم أو الخلق معه، ويراه غير خارج عن عرضه؛ لرضاه بكل شيء أجراه الله تعالى على أيدي عباده، وهو فان عن حظ نفسه؛ فمعارفته عالم نفسه، ومن لا يرضى له لا عرض له، ومن زال فرضه زال مرضه، فإن سبب الأمراض عدم موافقة الأغراض.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأبناء جيلك تعرف حالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم اختيار الشيوخ إذا دخلوا عليهم، كأق يقول: إن أقمعي الشيخ الفلاني كنا اعتقدته، وإن لم يطعنني ذلك لم أعتقد، وذلك لأن كل من دخل على شيخ يخبره بهو جاهل منقوت عند الله، فإن الشيوخ لا يختارون التلة لكماهم، وإنما الحق تعالى هو الذي

يختبرهم، وأما اخلاق فهم دوسم في المقام، فكيف يختبرونهم في مقامات لا يدقونها.

وكان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول:

لا يُطلب من الشيوخ الكلام على هواجس النفوس، وإنما يُطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء، وبحو ذلك مما هو من شروط المشايخ، فإن المكاشفات إما هي من أخلاق المريدين، لا من أخلاق الكُمل العارفين.

وقد كان سيدي إبراهيم المتولي رحمه الله إذا سأله عن عبده الأبي مثلاً: أين هو؟ يقول للسائل: اصبر حتى يأتي مريدنا فلاناً يكشف لك عنه.

فماذا له يوماً: وكيف يحتاج مشكم إلى من يكشف له؟ فقال: يا ولدي العارف إذا بلغ مقام العرفان يصير يهرب من مشاركة الحق تعالى في الاطلاع على الغيوب، فلا يكون له التفات إلى شيء من المكاشفات، لاسيما اطلاعه على عورات الناس. انتهى.

وفي الفتوحات المكية للشيخ عمري الدين: أن من عباد الله من كشف له عن مكنوت السموات والأرض على التفصيل، ومع ذلك لا يعلم ما في جيبه؛ لأنه مع الله تعالى بحسب ما يطلبه لا مع ما تشبهه نفسه.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا صحواً أحداً من الولاة يعموه الأدب، مع مراسلات إذا وردت عنهم في أمرهم بمعروف مثلاً، وأن يقلوها ويضعوها على أعينهم؛ لأن بذلك ندوم ولايتهم. وقد بلغنا أن كتاب يعقوب عليه السلام لما ورد على يوسف عليه السلام بمصر فقله يوسف ووضعه على عينيه.

وقال: أتدرون لما فعلت ذلك؟ فقالوا: لا، قال: لأنه من سنة الموك، وبذلك يدوم ملكهم. انتهى.

وذكر صاحب الدلائل على الله أن في أولياء الله من إذا أرسل السلام لظالم واحد من العصاة تاب الله عليه، وسأعه في جميع اتبعات النبي عليه، وذلك لأن الله تعالى ينصر أوليائه، ولا يخذلهم في الدنيا ولا في الآخرة، ويستحي أن يؤمن أحد من أوليائه بإرساله لأحد ويخذه في أمارة. فيسمى للفقير إذا صحب أحد من الولاة أن يخبره بهذا السر العظيم، ولا يرد على فقير مراسلاته له بالسلام.

وقد وقع لي مع بعض بني بغداد أنه صار يرد مراسلاتي ولا يقرأها، وتارة يعطيها للبصاري، ويستكف عن قراءتها، فصرت أكتنيه، وأسقط البسملة والصلوة على رسول

الله ﷻ والسلام عليه؛ خوفاً أن يفتنه الله تعالى بإعطائه الصاري اسم الله تعالى فينهبكون ذلك، فمكث بعد ذلك مدة يسيرة، وغرل وأدخل الرح وغوب، هذا أمرٌ شهدته فيهم. وبالجملة فمن لم يكن له حال مع الله تعالى يحمي به نفسه من الظلمة، وتصريعاً فيهم بالولاية والعزل، فليس له التصدر في الشفاعات عندهم، فإن ذلك لا يتم له، لاسيما ظلمة النصف الثاني من القرن العاشر أبي العجائب والعرائب، فإنه لا يكاد نجد أحداً من الولاية يعتقد في فقير، ولو أظهر له كرامة قال: هذا ساحر.

فإن أعطاك الله يا أخى التصريف في الظلمة فافتح باب الشفاعاة عندهم وإلا فكف عن ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم المبادرة إلى نصريف المسكرين على أهل الطريق، وعدم الخوض في أعراض الفقراء بسحر إشاعة الفائض عنهم، فإذا قام على أحد من إخوانهم مسكر فلا يصحون إلى شيء من كلامه في حق أحبيهم، بل يترهبون ويضطرون في أعمال أحبيهم الصالحة وأعمال المسكر عليه، فكل من رآوه أكثر أعمالاً وورعاً ورهناً واحتمالاً للأذى قدّموه في المحبة والتعظيم.

ولا شك أن أعمال القوم ولو نزلوا إلى أدنى المراتب أظهروا أكثر وأحسن من أعمال المسكر عليهم.

ومن هنا قالوا: لم تزل الأشراف تُبتلى بالأطراف، انتهى.

وما رأينا أحداً قط تطاهر بأنه من أهل الطريق يترك الصلاة أو يشرب الخمر، ولا يربي، ولا يتعاون في الناس عند الضالمين، ولا يراحم على الدنيا، وإنما هم على الدين والخير حتى لو أراد أحد أن يثبت فسقهم، لما قدر على ذلك.

وعاية أمر المسكرين على الفقراء أن يرموهم بالأمور الباطنة، كارباء والكبر والحسد والعل وبحو ذلك، وهذا أمرٌ لا يطلع عليه عالماً إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد وكل ﷻ سرائر الخلق إلى الله تعالى بقوله في حديث: ((أموت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) وحسنهم على الله^(١))). انتهى.

فباب منه رسول الله ﷺ، فلا يجوز لأحد أن يفتحه.

فاعرض يا أخى هذا الخلق وما فيه على نفسك وأقربائك تعرف حالك وحافهم،

(١) رواد البخاري (١/٥٣)، ومسلم (١/٥١).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الاعتناء بالدب عن أهل الطريق، ورد المكرين عليهم بالأدلة الواردة في الكتاب والسنة. وإن كان المنكر معدوداً من الجهال المأمور بالإعراض عنهم، ولو أنه كان عالماً لم يقع منه إنكار، بل كان يستدل بأفعالهم وأقوالهم بالكتاب والسنة، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((المنن والأخلاق)).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة التعفف عن أموال الناس وأطمعتهم ظاهراً وباطناً، لاسيما الولاية بإهم إذا علموا من الفقير سفاطة المس اردروه، ولو كان له سبحة وعبادة صوف جعلوه من جملة الصابيين، فلا يقع له مع لأحد من المسلمين على أيديهم، فيحتاج الفقير الذي يشعر عند الولاية أن يكون أعف الناس أن طلب؛ ليكون أكثر الناس شفاعته. واعلم يا أخي أن من علامة انصب المكشوف أن يهدي الفقير لذلك الأمير حلوة ماء ورد أو سكر ونحو ذلك؛ لأن الأمير في عينة عن مثل ذلك، وأول ما ينظر الأمير معه هدية يفهم منه أنه شجاع.

وقولهم: (أجبروا بحاضر الفقراء) جهل وساقط؛ لأن انصير الصادق لا يطلب حبر الخاطر من الولاية؛ لأن مرتبته فوق ذلك، بل الولاية هم الذين يطلبون منه حبر الخاطر بإطعامهم من طعامه؛ لأن كل لقمة من الفقير تعادل في هذه الأيام ألف دينار ليلة الحلال المناسب للفقراء الآن، فما كل طعام يلقى بهم الأكل منه، وما كل ناس يلقى لهم المس منه، فإذا سمح لذلك الأمير بأن يأكل من طعام الفقراء. فذلك غاية التبجيل والتعظيم، ومن رأيهم يرون الفقراء أعظم منهم درجة، وينبركون بالأكل من طعامهم أولاد يعداد، فكل يوم يأكلون فيه عند فقير يعدونه يوم عيد عندهم، ويقدمون طعام الفقراء على أبناء الدنيا ولو ملحاً وعدساً وبسلة.

فأسأل الله تعالى من فضله أن يسبح النعمة عنهم في الدارين، وأن يديم عليهم عماره بينهم بتولية خيارهم، ويعطفهم على شرارهم آمين. انتهى.

وهذا آخر الكتاب المسمى بـ((الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق))، تأليف سيدها وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، صاحب الكرامات والعلوم والمعاني، رحمه الله آمين ورضي عنه. وصلى الله

على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ووافق افراع من هذه الكلمات الشريفة المباركة المجللة المعظمة صبيحة الجمعة
خامس من شهر شهور سنة مئة وثلاثين بعد ألف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين
وصحبه المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

الوصايا والنصائح الخلوتية

لسيدي مصطفى البكري الخلوتي،
والشيخ حسن رضوان الخالدي

تحقيق وتخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ حسن رضوان

هو الشيخ العلامة القدوة حسن بن رضوان محمد الحمي بن عامر المالكي الحالدي العمري.

صوفي، شاعر، مشارك في بعض العلوم ، من علماء الجامع الأزهر.

وُلد ببلدة بيا بمديرية بني سويف، بصعيد مصر سنة ١٢٣٩ هـ، ورحل إلى القاهرة، قدرس بالجامع الأزهر.

وتوفي في بردونة الأشراف، سنة ١٣١٠ هـ.

من مصنفاته:

- أرجوزة روض القلوب المسطاب أو مطهرة النفوس وروض القلوب في التصوف.
- الفتح المبين في أحكام النون الساكنة والتنوين.
- المفاتيح الرضوانية في الصلاة على خير البرية.
- مورد النعمات الإلهية على شرح ابن تركي على المشاوية.
- الجوهر المنتقط في المحامس.
- مراسة النصائح والوصايا والوعظ.

انظر في ترجمته: النبوات النبوية (١/ ١٢٧، ١٣٠)، الأعلام الشرقية (٣/ ٩٧، ٩٨)،
معجم المطبوعات (٧٦٠، ٧٦١) ومعجم المؤلفين (٢/ ٥٥٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ البكري

هو الشيخ العلامة العقبة الحجة الرباني سيدي: قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف الكري الدمشقي الصوفي الحمصي الشهير بالقطب الكري، وُلد سنة ١٠٩٩، وتوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الانتهالات السامية والدعوات النامية.
- الأربعون المورثة للاتباء فيما يُقال عبد الزوم والاتباء.
- الاستفانة الآتية بالنصرة والإغاثة.
- الاستغفار (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ المرصعي.
- بلعة المريد ومتهى السعيد.
- والموائد الإشرافية.
- اقتحام اللالي في شرح منفرجة الغزالي.
- أنقى الوفة للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بديع موشحات بالبديع مرشحات.
- برز الأسقام في الزمزم والمقام.
- البسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدم.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام.
- هجة الأذكاء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- تبريد قيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو.
- تذكرة عرب سائم أسس الطريقة في الحرب القائم بين النص والحقيقة.
- تسلية الأحزان وتصلية الأشجان.

- تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة.
- تفريق المموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم.
- تناول أقداح الحق الصراح وشرب عذب رذاله في معنى قوله المصلى على انسى وآله.
- التواصي بالصبر والحق امتثالا لأمر الحق.
- التوجه الوالي والمنهل الصافي في الورد.
- التوجه الرافع لتأليه لواء منشورا فيما يتهل به المبتهل يوم عاشورا.
- التوسل الأسنى بالأسماء الحسنى.
- التوسلات المعظمة بالحروف المعجمة.
- الثانية الإنسانية في الرحلة القدسية.
- الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم.
- الثغر البسام فيمن يجهل من نفسه المقام.
- جريدة المأرب وحريفة كل سارب سارب.
- جمع الموارد من كل شارد.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- حرز الحماية والاعتصام الذي هو لسرب العواية قصام.
- حزب الحفظ والحراسة من المموم.
- الدافع الرافع حرسجف المموم.
- حزب الفرج الطيب الأرج.
- حلة الأرغان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجارية الثانية.
- الحمامة الورقاء القصرية في المقامة العنقاء المصرية.
- الحواشي السنية على الوصية الحلبية.
- الخطرة الثانية الإنسانية للمروضة الدانية الناهلية.
- المحمرة المحبة في الرحلة القدسية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين.
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق.

- الدور المستثمرات في الحضرات العبدية في العرر الميسرات بالذات العبدية الحمديّة.
- الدعامّة الإنسيّة في المقامّة الناهليسيّة.
- دلائل القرب ورسائل إطفاء الغضب.
- الدفعة النظرية الحمديّة في صبغة النظرية الأحديّة.
- ديوان الجلا والاستجلا في حدّ الباري حلّ وعلا.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للأثم في الصلاة على خير الأنام.
- الرحلة العلية الدانيّة.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصبغة التي أنتجتها الخدمة والمحبّة.
- رشحات صدح من مسي العدار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى.
- رفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال الممد.
- الروصات العرشية على الصلوات المنبثية (تحت قيد الطبع بتحقيق).
- روضة الوجود.
- سبيل النجا والالتعا في التوسل بعروف المحجا.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (بتحقيقنا).
- شوارق البارق المشام في التوسل بالأبياء من المبدأ إلى الختام.
- صلاحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الصلوات النبوية الشافعة ذات النفحات الإلهية النافعة.
- الصياء الشمسي على العنق القدسي في مجلدتين (تحت قيد التحقيق).
- طلبه الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).

- العقد العريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية الحكم في الحكم الإخية (طبع بتحقيقنا).
- كروم عرش التها في شرح صلاة ابن منبش الداني. (تحقيقنا).
- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (تحقيقنا).
- ورد الضحى.
- ورد الإشراق.
- الغيات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح دعاء الصباح.
- شرح حزب النووي.
- شرح ورد الشعرائي.
- العصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجليلة للمساكين طريقة الخلوتية.

وانظر في ترجمته:

هدية العارفين للبعدادي (٦٨٤/١)، وعجائب الآثار للحبرتي (١٦٥/١، ١٦٦)،
والأعلام للزركلي (١٤١/٨).

نماذج من صور المخطوط

٢٧١

هذه مراسلة مستمدة على نصائح ووصايا وقواعد
من مولفها استاذي والدي الطاهر فانه ما مر
الفاضل الشيخ حسن رضوان الى بعض مرسله
بالجامع الانهي نفع
انفسها ومولفها
العباد ايقن
م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نعت
اما بعد حمد ولي الحمد بذاته لذاته والصلاة والسلام
والسلام على علي المجد جلي الجهد المدرك مع الجهد اجل
مدرك به ذاق معالي معاني القرب وله الله فبكتفه
مراسلة امداها من فيوضات البر من مراسلة
ولا يدرك القلوب غا سلة بما فيها من الوداد والروضة
الى نقيب نعال الفقر ورقيه اللذين واسر احوا
بين الحسن والمجد وفاز كل منهما بنصيبه وجاز
بلوغ جميع الاله مال وحسن المال بانفرادة وتخصيه
حقن الله لهما الشرف الرهمانية والوراثه المهدية
بالقرابة الروحانية واذا فهم اذ ان المعاني الربانية
بجاء خير البرية وليبلفاها من اراد ان الاخوات
نيابة عن عاجزها حقيق الاحزان خادما لفعالها
كثير المخالفة والعصيان حسن الظن في رهنواك
الرحمن ذي العيوب والعيون المانعة من قلبه العيون
عن مطالعة سر الفيوب واذا كان الغنوك حسبها

نقشه

صورة الصفحة الأولى من الوصايا والنصائح الخلوية

٢٧٢

يقتضيه رايها اما باله فاذا او المعاني ولكن لا يكون
 الا لمن شاهد افيه الحق الى النوع عسى يكابد
 نفسه بالمجاهدة ويعاني فاسد في عرك العبد
 ما دام العبد في عرك اخيه فعلى ما اذا دوت
 التعاون على البر والتقوى يصاحب احدا من الهوى
 ويوليه احن اشدد به ازرى واشركه في امرى
 كى تسبحك كثيرا وذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
 قال سشد عضدك باخيتك وجعل لك سلطانا
 فله يصلون اليك يا ابا سنا انما ومن اتبعك الغالبون
 وان اراد احد منكم ان يخطبها بتخليتها عن المديس
 البالية ويجتهد حفظها بتخليتها بجلل المعاني الغالية
 والباسها من الشيا ما هو ارف من اللوز ليخطبها
 من انتم الى اهل هذا الفريق وبه عاذ ولاذ فقد
 لاح عليها حينئذ جز الفلاح وصاح على اغصان ريسها
 بلبل الاله فراح بما يغنى الاله راح عن شراب الراح
 ويغنى النفوس عن شراب الكون الذى ماله الاله
 الراح وهما هو العاجز عن مدارك المحول بلسان
 مجزم وانكسار يقول عازما على ان لن يحور عن
 موارد بحور فضل الله المطلق وله يحول عسى
 بالانطلق على موارد فواء دعوا لقلوب الاخوان
 في ميادين الاحسان يحول وبالله التوفيق
 الى اقوم طريق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
 الذى اوضح سبيل الرشاد لكل فاصد وارج تجارة

صورة الصفحة الثانية من الوصايا والنصائح الخلوتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نقتي

هذه مراسلة مشتملة على نصائح، ووصايا، ومواعظ من مؤلفها أستاذي، والدي الكامل، والإمام العاقل الشيخ حسن رسول إلى بعض مريديه بالجامع الأزهر نفع الله بها ومؤلفها العباد، آمين فيقول:

أما بعد حمد ولي الحمد بفضله لفته.

والصلاة والسلام على علي أحمد، جلي الحد المدرك مع الحد أجل مدرك به، من داف معالي معاني القرب ولذاته.

فهذه مراسلة إمدادها من فيوصات أثر متراصلة، ولأدران القلوب عاملة بما فيها من الوداد والمواصلة إلى طيبي نعال الفقراء ورقبيه اللذين دارت أحوالهما بين الحس والخس، وفار كل منهما بصيبه، وحاز بلوغ جميع الآمال، وحسن المال بأفراده وتقصيه. حقق الله هما الثروة الرخاثة، والوراثة المحمدية بالقراءة الروحانية.

وأدالهما لذات السعالي الربانية بحاج خير النيرة، ونبتعاها من أرادا من الإخوان بناية عن عاجرها حنيف الأحرار، حادما ناعما، كثير المحالفة والعصيان، حس الظن في رسول الرحمن، ذي العيوب والعيون المائعة من قلبه عن مضاعة سر العيوب، وإدراك الصون، حسما يقتضيه رأيهما إما بالألفاظ أو المعاني ولكن لا يكون إلا لمن شاهد فيه الخلو إلى الدنو عسى يكابد نفسه بالمجاهدة ويعان: «فاته في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»^(١).

فعلى مانا دون التعاون على البر والتقوى، بصاحب أحدا الآخر ويواجهه.
«أخي • أشد به أزي • وأشركه في أفري • كي تسحك كثيرا • نذكرك كثيرا •
• (إلك كنت بنا بصيرا) [طه: ٣٠، ٣١].
قال: «سشد عضدك بأخيك وبجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا إنما
ومن اتبعكما القائلون» [الفصص: ٣٥].

(١) نص الحديث روى مسلم (٤/٧٤، ٧٥).

وإن أراد أحدهما تحريد لمعلمها بتخليتها عن الملابس البانية وتحديد حطها بتخليتها بحلل المعاني العالية، وإناسها من الثياب ما هو أرق من اللأداء ليحطها من انتمى إلى أهل هذا الفريق وبه عاذ ولأذ، فقد لاح عليها حينئذ فجر العلاج.

وصاح على أعصاب رياضها بليل الأمراح بما يحي الأرواح عن شراب الرُاح، وبمعي النفوس عن سراب الكون الذي مآله إلى الرواح.

وها هو العاجر عن مدارك المحول بلسان عجزه وانكساره يقول عارماً على أن لن يحور عن موارد يحور فصل الله المطلق ولا يحول، عسى بالتطفل على موائد فوائده عوائد قلوب الإخواء في ميادين الإحسان بجول وبالله التوفيق إلى أفوم طريق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْضَحَ سَبِيلَ الرِّشَادِ لِكُلِّ قَاصِدٍ، وَأَرْبَحَ نَجَارَةَ مَنْ عَامَهُ بِإِرشَادِ نَفْسِهِ إِلَى أَحْسَنِ الْوَسَائِلِ وَالْمَقَاصِدِ، وَأَرْبَحَ مَوَارِئِ الْمَوَارِينِ دِيوَهْمِ الْإِلَاقِي مَلَأَتْ دِيوَهْمِ بِالْثَوْبَةِ الْمَصَادَقَةِ، وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى الْمَشَاهِدِ.

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ فَتَحَ بِمِفْتَاحِ الشَّرِيعَةِ مَا أُغْلِقَ مِنْ أَبْوَابِ كُورِ الرَّمُورِ الْحَقِيقَةِ الْهَدِيَّةِ الْمُبْعَةِ.

وَمَنْعَ مَنْ سَمِعَ نَفْسَهُ نَفَاسَ مَعَانِي مَثَابِي الْفَنَسَرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْرَبِيعَةِ الطَّرِيقَةِ.
وَدَعَى مَنْ وَدَعَ الْأَكْوَانَ إِلَى تَأَوُّلِ تِلْكَ الْأَكْوَابِ مَادَرِ الْمُحْنُونَ الْمُخْتَبُونَ، وَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَجَابُوا مَهَادِينَ الْنَفُوسِ عَلَى مُقْتَضَى السَّنَةِ وَالْكِتَابِ.

وَهَرَعُوا إِلَيْهِ وَكَرَعُوا مَا لَدَيْهِ مِنْ كُلِّ مَرٍ سُرَّ بِهِ السَّرَّ.
وَبَرَعُوا بِذَلِكَ الشَّرَابِ مِهَالِكَ طَلْفُوا النُّفُوسِ، وَأَطْلَقُوا الْهَيْبُوسَ فِي سَحْرِ الْهَوَى مِنْ دَوْلَةِ الْأَشْبَاحِ.

وَخَاطَرُوا فِي الْهَوَى بِالْأَرْوَاحِ لِأَجْلِ طَلَبِ الْأَرْوَاحِ بِدُخُولِ حَصْرَةِ الْكَرِيمِ الْفَتَّاحِ، الَّتِي لَيْسَ لِكَامِلِ عَنْهَا بَرَّاحِ.

وَضَعُوا بِالْإِسْرَارِ؛ حَيْثُ ضَعَعُوا بِالْأَسْرَارِ عَنْ غِبَارِ الْأَغْيَارِ.
وَشَامُوا بَرَقَ تَحْلِي الْأَسَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّ مَا سَامُوا قَرَبَ الدَّنَاتِ. فِي سَاءِ الْكُونِ أَصَاءِ وَلَا حِ فَتَحِيرُوا وَمَا تَخِيرُوا.

وَحَرَجُوا عَنِ الْمَرَادِ، وَاهْتَدَوْا لَمَّا ائْتَدَوْا بِمِهَاجِ سَيِّدِ الْعَادِ، وَسَلِمَ مَنْ هَاجَ بِهِ يَحَرِ الْحَمِيرَةِ مِنْ غَرَقِ الْفَرَقِ، حَيْثُ سَلِمَ مَا جَاءَ عَنْهُ بِحَسَنِ الْاِئْتِقَادِ.

وَعَلَى آلِهِ ائْسَادَةُ الْقَادَةِ الْأَحْبَارِ الْأَخْبَارِ، وَأَصْحَابِهِ الدِّينِ رَفَعُوا عَنْ قُلُوبِهِمْ بَرِّعَ

الوقوف مع الآثار.

وحصنوا من لدغ قلبه القلب بحصن شهود^(١) المؤثر الواحد الفاعل المختار.
وأحياه الدين دهشوا برؤية الساطي عن الشراب وحبابه.
وسكروا^(٢) بالعبية فيه عن أن ينعنقوا إلا به، وأن يلودوا إلا بحبابه فزادهم بالعبية

(١) قال الشيخ ماء العسل: والشهود معناه الحضور، وعبد الموم دوم المراقبة والحضور مع الله تعالى، لا يعمل عن الله طرفه عين، ومن وصل إلى هذا المقام وجد المدة حتى في الألام والأقسام، والمشهود والمشهد بمعنى المشاهدة التي تحصل لأهل الله تعالى، بسبب تخبئه على قلوبهم، فيشهدون ذاته أو صفاته أو أعماله على حسب استعداد التحلي عنهم، وهذا استهود إما هو في القلب فقط دون البصر، م رؤية الباري تعالى بالبصر مستعنة، وبالأرواح والقلب جاذبة، ولذلك قال سيدنا عمر عليه السلام: «وأي قلب ربي».

وقال الإمام علي عليه السلام: «لا أعبد ربياً لم أرقه» أي بروحي.
وما يحصل للعين الجسماني من الرؤية في الحمة بعد الصفاء يحصل لبعض أهل الصفاء في الدب في نقطة بالروح؛ إذ الدنيا والآخرة للروح الصافية سبلان، والله الواسع.
فقال في المطالب الوفي: والمشهور عند علماء الطاهر والباطن كالمشركي والعرالي وغيرهما أن مشهود والرؤيا إما هنا في القلب بدون المقابلة في هذه الدار الغابية لأن البصر فإن والحق تعالى ساق، ولا يرى الباطني بالباطني، فإذا كان يوم القيامة ركبوا تركبنا باطنياً، فكانت أنصافه بالية. فصيح أن يرى بالباطني، ونحو هذا منقول عن الإمام مالك، وهو مستحسن.

والجويون قالوا: إما قد تعالى: «لأن تذكره الأنصاف» [الأعلام: ١٠٣]، ولم يقل: لا نراه. وانظر: ميل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر (ص ١٣٩) بتحقيقنا.

(٢) قال الشيخ نقاشاني رحمه الله: السكر: عية بوارد قوي، وهو يتصل علم الأحوال، وهو يعطي المضرب، والأسلناد المفرد وإبراط يعطي هنت الأسرار، والعبية فيه إنما يكون عن كل ما سمي الفرج والسرور، والسكر على ثلاثة أقسام: طبعي، وعقلي، وإلهي:

فالتطبيعي، هو ما تجله النور في عينها، من الالتداد، والانتهاج، وتوارد الأماني. حين مشاهدتها في أسياال صور، فائمة ها الحكم والتصرف، والخواص، فاب النفس لا بران ترائب ما يحصل بحصيله من المطالب، حتى يظهر ها في صورة محبوبة، تظفر إليها وتحرر عنها وبصرف ها.

مثل قوله عليه السلام في التحني المعنى: «أوتيت قدحاً من العسل، وأمن الله في قلبه المتصلي» في عين التحلي نحو ذلك، وهذه الصورة المحيلة في عية السكر قد تشمل مصاحي إلى مرتبة المحس فيصير محمداً كتحقق حبه خيلها إيس بتصرفه في جدول الخيال المفصل المختص بروائع الخس يعني ها سليمان عليه السلام في المحس منه، من الله تعالى عليه.

وأما المعلي: فهو رد الأمور إلى ما يقصه الأمر في نفسه. وذلك لمن يرد عنه في سكره: الخطاب الإلهي، بصرب يشعر باتصاف الحق، ببعض بعوت المحدثات، فيأتي قبولها، أو يفتنبها سا يقتصبه نظره مع جهله بالحق في نفسه أنه يفضل ذلك في نفسه، وفي موضع ما، أو لا يفضل، فأما بصره

حضوراً، وبانصاء بقاء وحضوراً.

ورائهم بالخلق الجمالية؛ حيث لازموا به له الوقوف على أعتابه.

واجعل النهم منهم وانوارث عنهم كلا من أخوي الروح، ووندي الفتوح، اللذين أولهما نقيب رجال الفقراء من حياء حبه أشارت بالتحويف إلى قبول التحويف في مقام الاستعداد.

وسين سناء يرق قربه تسننت عن إمداد استمداد طبه من مشهد حقائق الوداد.

وبون نور برق نور أعصاب روض أفيامه أظهرته بعد إيهامه بعلو نقطة الأفراد وطهرته من إيهام الأوهام ومبرته عن الأفراد، فصار بذلك حسن الأقوال، والأفعال، والأحوال ملفياً بطويل الباع في نزال الأبطال أرباب المجال.

مكى بأحمد الأوصاف في معرض الانصاف والإصاف بين أكابر الرجال المقصود بالبشارة والإشارة، المصمود بالتحريض على رفع الستارة. والتعريض بإعراضه عن موافقة نفسه الأمانة، عسى أن تظهر عليه أمارات الإمارة، ررقه الله الحسنى وريادة، وأتمم عليه نعمه، ورجب له موجبات السعادة، ورجب به في مقعد صدق القرباه.

والمهمة سر العبودية^(١) في الطاعة والعبادة.. آمين.

حالتد وقع في حد الإيمان، ولم يرد الخطاب الإلهي، واعتقد أنه أعلم نفسه، وبما سمع إليه. وأما الإلهي فهو شرط السرور والانتهاج بوجود الكمال ومريده مع الأخص ومنه: «رب ردي تحيراً». وهذا السكر نتيجة الشهود، ومن كان سكره عن شهود فلا يصح أبداً. ولذلك قال رحمته: «رب ردي تحيراً». وكل حال لا يورث طرناً، وسطقاً و دلالاً وأسا أسراراً إلهية، فليس يسكر بل هو عفة، أو ماء، أو عو، أو نحو ذلك والعفة. عفة القلب عن علم ما بهجري من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من جناب الحق، حتى أنه قد يجيب من إحساسه بنفسه فصلاً عن غيره.

(١) قال الشيخ الشرفاوي رحمه الله. (العبودية). وهي الدلة والافتقار والحب بعت إلهي، وهذا ما لم يجد أبو يزيد الشبلي شيقاً بتقرب به إلى الله تعالى ليس للألوهية فيه مدخل، قال: يا رب بماذا أنصرت إليك؟ قال الله تعالى له: تقرب إلي بما ليس لي: إن الله والافتقار. انتهى.

فالعبد معاه الدليل، يقال: أرض منسدة: أي مدله. قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون». [آدم: ٥٦]. أي ليلذوا لي، ولا يدن مني لا يعرفه. ولنا فسر ذلك ابن عباس بقوله: أي ليعرّفوني فهو تفسير بالآراء، وإما حص هدي الحسنى بالذكر لأنه له يدع أحد لأخيه والتكبر على الله تعالى من سائر المحنقات غيرهما، ولم يتحقق بتمام العبودية على كماله أحد مثل رسول الله ﷺ، وكان هذا مخلصاً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتبته ولذا شهد

وثانيهما: رقيه المحرص له على ما به نفيه من ركب سوائف نواقب الأفكار، وترك طائفاً للمحد والاحتياط موارك الأفكار، وبكر باقتصاص آرام المعاني النقية من شوب الانتقاد والإسكار، واقتص من مسائل الوسائل والمقاصد مخدرات الأفكار، وحازماً استبعاد من تقول بفهم جديد معضده، وبصده، وكمله، وجمله من معاني المصاني بشوب جديد.

والله حلل التحرير بحميل التعبير، وجلب التفييد، ورفع بديع التحديد، فحار بدك جميع الماخز، وجار مبيع الماور غير معاجر ومكار، وشد بالعم والحرم منطقة الحرم، وراحم بالماكب غير مراكب الأكابر، وركب أفيال الإقبال، وركب لأن الأقبال بحسن نظم عقد الأقوال، ففان في ذلك الأقبال.

وقرّ تحرير تعريه عيون القلوب، ومرّ عبر تعيره على كل طالب فأساده، وأشاده، وصبره؛ لأجل النطاب مطلوب الإمام المهام، أحف الروح من سكارم الأخلاق مسوب، وللمعالي عطلوب.

الله تعالى به بأنه عبد مصاب إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله بهتجاً الذي أنشأ بهه. [الإسراء: ١]، وما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، بالراء: أي ما قصدت الفخر عبيكم بالسيادة، بل أردت تعريكم بشري لكم؟ (د أنتم مأمورون بأبائي). ورؤي: «ولا فخر بالري: أي ما فقه متجج» إذ الفخر: السجج بالباطل في صورة الحق، والمحد مع الحق في حال عبوديته كاطل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من اسراج عظم الطل، ولا قرب من الله إلا بما هو بك لا به، وكما بعد من السراج صعر الطل، ولا يعذب عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها، وضعت في صفته تعالى.

قال الشيخ الشيرازي في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب عهدي العبد عن عبودته كونه محوفاً على الصورة؛ والله تعالى العزة والكبرياء والعظمة يسر هذه الأحكام في العبد تحقيقاً للموقع، والكامل من العبد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفعر والمذلة والعبودية؛ لما عرف من نفسه من العفر والمصعب والاعمار إلى أدب الأشياء، واستلم من قرصة برغوث، وهذا يذكرك كل إنسان من نفسه دوقاً، فليحذر العبد من رؤية نفسه على أحد من رعيته، ولو عبده الذي في رقبته؛ لأنه ربما يكون عبد الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: نجعل رأسك براسي أو مثلك بعثلي أو غير ذلك، فإن هذا كه دليل على الجهل والقساوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.

ولو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى يكرهه لكان ذلك كافياً في الرجوع؛ لأن العبد كلهم حرمهم ورفقهم منك به تعالى. لا فصل لأحد على أحد إلا بما فضله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحى، فالزم الدل وبرك البرحر لعبدك وخدمك إن كتب عبد الله. انتهى. وأطر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشيرازي (١٣٧) جحقينا.

وفضل علمه وعرفه أشهر من علم على علم، له عرف يهوج، وبور تصحيف فخره
في أفق سماء عزه عن شمس دلاجه ينتشر ويلوح، وتصحيف عين أصل اسمه، صبره صاحب
حيون، وطيب جل اسم منشأ جسمه أكسبه التمتع بأجل الفنون.

حد لله الذي منه الأعمال، والأقوال بحاه سيدنا محمد ﷺ الذي بان عنه كل سر
مكتون أمين أمين أمين.
أما بعد...

السلام من السلام، فيما دوي العود، ما بال ود لم يصرف بما عهد نحدد مراسلة
مياه الموداد، وقد دوي العود، وبرق قرب الوعود تحلف، ولم تزجر النفس بمرعجات
الرعود، عسى بسبب^(١) صيب^(٢) مرر ورن الأعمال بالمواري بين ما قسي، وبورق
أعصاب العود فقد مضى من الأيام بعد الاجتماع ما يوف عن اثنين ولكمها مع عدم
وجود ما يحدد الوداد، ويسدد المراد، ويحدد المواد عن موجبات البعاد، ويساعد على
الوفاء، ويواعد موجبات الجفاء من مواصلة المراسلة.

صارت لدى عاجركم أطول من سنين عمل أحسستم إلى رقي، ودماء سور بمسطور في
رقي مشور، يفيد السرور بما أتم عليه من العمل السرور، ويعيد له الخور؛ لأن بحير
قلبه المكسور والله يحب المحسنين.

وظلما وجه انقلب الخربيع نحو ياديكم كي ساموئه نديكم من إمداد وارفات الأوراد
ينثر. وينثر، فيقف متطفلاً على أبواب قلوبهم ياديكم، طائلاً أياديكم، فما يُجاب بشيء
من مقاصده، ولا بما تبسر فيرجع، وهو بانك شاك غير ناكل أعاديته ممن بالشتمات ياديه.
يتأوه ويتحسر فما أدري أصمم قام بأذنيه أم عمي بعينه فلا يسمع ولا يبصر، أم
عقلة منه، أو عه بما هو منتصف به مما ظهر لكم فيه من الصفات التي لا تجدي ولا
تمر، أم انحطاط مكم في الهمة عن السهوص إلى المقاصد المهمة التي نحوها أبطال
الرجال تشمر.

فإن كان من حيث أوصافه الأول، فاستعمر الله العظيم، وإن كان من جهة العقلة عه
فليس من شأن الكرام الوقوف على عيوب الخدم.

وإن كان من القليل الثالث فلا والله يمكن حصول التسليم، بل لا بد من ركوب جواد

(١) السبب: بالفتح عطاء، وبالكسر يجرى المياه.

(٢) الصيب: بالشدائد مكسورة: يجرى السماء، والإرقة.

سوايق المسم، فالخرب سجال، وقتل علام النفس بسيف محاربة الهوى، ومراعاة أرباب المجال فذلك أفضل الأعمال كما قال مطهر الكمال، ومظهر الخمال، فإن لم تكونوا أنتم الأولى بالانقاد إلى مساجه من الأحق باعتبار خلقه، وإيقاد سراجيه، والعروح إلى سماء حقوق الربوبية ذات بروح اليهودية على معراجيه نعم، وإن كانت المنّة في تحلص القلب مما سواه مشهودة، فالهداية بإحراق المداية ومكابدة النفس في الكتاب والسنة معبودة، وأرواح المهلدين المكابدين بأرواح القرب والرضوان مملودة.

فلو بدتكم المهمة في رفع المناع من شهود الخصرات الجمالية بماء الامتثال المطلق عن التقييد بقيد يلزم النفس الآية أو الروح الكمالية.

وهضمت إلى الوقوف في عمار محاربة الهوى بشهود المعية الألمعية الجلالية. وجردتكم فلكم المصارع كما عليه أرباب السمو عن مطلوب الروح الناصب، ومرعوب النفس الجارم، وأعطيتموه عقد من مدلوله الملازم لاندراجكم بذلك مرفوعات الأساء في المقام الأسى.

وعولتم على الفعل المتعدي لا اللازم فالقصور غير مصور كلا والله، ولا التقصير عند أرباب المسم العالية والمقاصد العالية من كل عارم حارم جارم، فما كان طني ضكم ببدل الروح في طلب المعاني فصلاً عن الأشباح، وكيف وإعاقها على العوالم هو الإساء الذي بالاتفاق ما فيه جناح.

وها هو ليل بيل وصل الملاح، أدن بطلوع صعره، وأذن ماديهم بناديهم ماديهم حي على العلاج.

عالمسعد العبد عن الأكوان الغريب من المعبد الذي كل يوم هو في شأن، الغريب عن الأوطان، والأهل، والأصحاب، والإخوان الذي أثار نار المجاهدة بأعاس شوقه، وأثار أثار الأعباء بعظيم عظم أحواله وتوقه، وأثار أودية العواد بواردات الأوراد وصحيح دوقه، وما انقضى إلا من فرح بره، وما برح، وما فتى عن بره، وقربه، وقربه، وشاهد الأشياء كالأفباء؛ وليس قيامها إلا بالوجود الحق، والحق في ذلك يسير به، وليس ملائس الجود، وجاد بالوجود، وحاد عن كل الوجود، وحان وما حاد اليهود إلى اليوم الموعود، وتم له الحنا بامتلاء كأس المنى، وشربه.

والإمام من أم أم المقاصد، وثبتت منه الأقدام، وكل ما رام المقام بمقام نادته هواتف حقيقة المطلقة أمام: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ لَشَيْءٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لكل شيء إذا فارقه عوص وليس لله إن فارقت من عوصي

من طلب الله وجهه، ومن وجده ما نقد شيئاً.
والصد بالصد، والجد بالجد، والجد أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن. فإن شاهدته
كانت الأكوان معك.

والفرق أظهر من شمس وسط النهار كلما خرجت عنك زاد اليقين منك.
«كان الله ولا شيء معه؛ والآن على ما عليه كان»^(١)، الباقي وكل من عندها فان:
«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»^(٢)

فيسمع ذلك الداء سماع قبول، وبوجه وجه قلبه إلى حصرة ربه لم يحط الرجال إلا
في عطف الرجال، ويدخل حضرة قدمه، ويحتج بلذة أنسه.
ويدرك من حصرات الأسماء والصفات جميع المرام، فيجند يقنّدي بأفعاله، ويهتدي
بأقواله. ويستمد من أحواله، فهو الممام ذو الهيام؛ حيث علت على الأكوان منه المهمة،
وعاين الخلق بالحق، وسار بالذل والانكسار.
وحار بذلك بين الناس أمة، وحلّ في بطن مولاه حين حلّ حمة رصاه، وبالحسنى
تولاه.

واستمد منه جميع من أمه من الأمة، وتطّيب يطيب الرجال الذي خفي نوبه عن
العيون، وظهر لدى أرباب الجهل سره المكنون، فهو وإن جهل بين العامة معروف، لدى
الخواص سر بهد الاحتصاص، ومربى العيون، وترك طيب القواعد من النساء اللاتي جهلن

(١) رواه الساني في الكرى (٣٦٣/٦)، وابن حبان في الصحيح (٨١١٤) بحقه، وقال الشيخ
مشعري: معناه أن الذات المتعالية لم تتردّ عما كانت عليه بوجود شخصية الخلق، بل جميع
الوجود مظاهر للذات، ففي حال عدم خلفه يكون التحلي في الاسم الباطن، وفي حال وجودهم
يكون التحلي بالاسم الظاهر، وهو تعالى صاهر لصفه، باهر في صفه؛ إذ ليس في الوجود حقيقة
إلا إياه، والمفرد من الكثرة مظهره وشعوره.

واعلم يا أخي أن تحلي الحق تعالى دائماً إما هو بالجلال المبروح بالجمال؛ لأنه لو تحلى بالجلال
انصرف لأسمى الوجود المقيّد، وهذا التحلي المبروح هو الذي يسرل فيه إلى سماء الدنيا كل
شيء، ثم لا يكون ذلك إلا في صورة الكامل، ومن هذا قال النسفي: ما في الجملة إلا الله؛ إذ كان
كامل عصره.

ولا إشكال في ذلك؛ لأن المعنى ما في الوجود إلا الله، كما لو قلت: ما في المرأة إلا من تحلى
فيها لصفك، مع علمك أنه ما في المرأة شيء أصلاً مما تحلى فيها. وانظر: الميراث المدرجة خمسة
لعقائد القرّة العلمية (ص ٨٨) بتحقيقها.

(٢) رواه البخاري (١٧٦٨/٤)، ومسلم (١٧٦٨/٤).

جهل، وأظهرن سرهن، ولم يفرقن بين الصباح والمساء، وعضل سمن الداء، وتحير في لذائهن الفاهرون من الأسى؛ لمتعتهن بما حفي ربحه، وعرف لونه بالطهور، وذلك أدنى حال؛ لأنه كما قيل: يقسم الطهور، ويقوي الفوس على الوقوع في المهالك والظلمات الخوالك، الماعة من دخول حصرة مائل المائل، ويضعف القلب عن استعمال الطهور. فإهل الوداد الطائين بيل المراد الأمر لا يتم إلا بخلق علي الكونين ومياية العباد والوقوف على الأصول المؤذن بالوصول، ومداومة الأوراد، أثناء الليل، وأطراف النهار مع مراعات الشروط، والآداب، والغبية عن جميع الأفعال.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ يَدَكَ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨].

فمنار الأمر عند رجال هذا الحال على واردات الأوراد التي تنج حسس الأحوال، ولكن لا تكون إلا بالجد والاجتهاد، وأصل تطهير القلوب من راد الذنوب ذكر علام العيوب على الوجه المطلوب فيه يرفع القباب، ويكشف الحجاب، وتعرف الأحباب مع ملاحظة ما يدل عليه قوله: ((أنا مجلس من ذكرني^(١))).

ولا شرف أعظم من هذا شمر، وأرحمكم الله عن مساعد الجد والاجتهاد، واتركوا ذي اللوم وهديان من هادا، ودعوا الوقوف مع فرائد السطور، ورغوا ما يوجب الخوف من فلائد الطهور، وسارعوا إلى ما يذهب البين، ويريل بقط العين عن العين. فيكشف لقلب ما هو عنه من غيوم العيب مستور موافقه لا علم إلا ما تعجز من بتابع الحكمة في أرض القلوب عن حصرات الأسماء والصفات بالإحلاص.

وهو الذي أشار إليه ﷺ بقوله: ((إن من العلم كهنة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله^(٢))).^(٣)

(١) رواه أبو نعم في حلية الأولياء (٢١٧/٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠٨/١).

(٢) رواه الذهلي في القفوس (١/٢١).

(٣) قال الشيخ الكافي رحمه الله في جلاء القلوب (١٥١) بتحقيقاً قنت: وحديث. إن من العلم، أخرجه الطيبي في ترغيبه من طريق عبد السلام بن صالح وهو أبو الصلت اهروي قال: حدثنا سفيان ابن عيينة عن ابن جريح عن عطاء عن أبي هريرة مذكور. وذكره المنذري في الترغيب في كتاب العلم. مصدراً له يروي ومن قاعدته أنه لا يتدرجها إلا الحديث الضعيف أو الواهي الذي لا يترقى إليه احتمال التحسين. وأورده القطب المصطفي في كتاب له في التصوف وقال: إن من شاهد من مرسل معهد بن المسب. وقال الشيخ الأكبر في موحته، في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة بعد أن أورده فيها بلفظ: «إن من العلم كهنة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله، فإذا

وقد عولت عليه الأكابر، وتنعت به أرواح الخواص الذين تحلصوا بالموت الاختياري من سجن النفوس، وصبق الألفاص، وخرجوا إلى فضاء التفويض والخروج عن المراد، وشاهدوا قيام الأشياء به حق يقين وسلموا له القيادة، وفي مرادهم في مراده، ومنبتهم في مشيخته فلا يشاعون إلا ما شاء، ولا يريدون إلا ما أراد، وهذا هو المقصود عندهم بالاتحاد^(١).

نظمو به لم يحركه عليهم إلا أهل المرة باقعه. هذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة، عرفوه وتحققوه. قلت: وهو في شرح المشاهد القدسية ليست عجم بنت النفيس (تحقيقنا).

(١) قال الشيخ الشمراني: ما بقي أحد من الخلق إلا قال بالاتحاد، مما سمع منه أحد، لا سيما العمارة بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه من شدة الوصلة والقرب، كما أنشد بعضهم:

فَجِئْتُ بِمَنْكَ وَمِنْـي أَذِنْتُ بِمَنْكَ فَتُـمْنِي
أَذِنْتُ بِمَنْكَ حَتَّى طُنْتُ أَتُوكَ أُنْـمِي

لكن منهم من قال به عن أمر الخي.

وصيغة من قال به بما أعطاه الوقت والحال.

ومتهم من قال به ولا يعلم أنه قال به، فهم مختلفون في الأحوال.

وقد أحال الاتحاد أصحاب النظر العقلي؛ لأن عندهم تفسير الذاتين ذاتاً واحدة، وذلك محال في العقل.

وأما أصحاب الكشف فلما قالوا به؛ لأنهم يرون ذات واحدة لا ذاتين، ويعملون الاختلاف في النسب والوجود والعين واحدة في الوجود، والنسب علمية.

وفيها (يعني النسب) وقع الاختلاف، فإن الذات الواحدة تقبل الصديق من ستن مختلفين، كما قال تعالى: «فَأَحْزَنَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ» [التوبة: ٦].

وقال ﷺ: «إِنَّهُ الْقَائِلُ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

وقال السيوطي في الحديث القدسي: «إِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ»، وغير ذلك قولاً شتياً؛ لأنه ذكر أحكامها.

فقل: سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.

ومعلوم أنه سمعه يسمع، أو يذاته يسمع، وعلى كل حال فقد جعل الحق هويته عين سمع عبده وبصره ويده ورجله، إما يريد ذات العبد، وإما صفته، وإما نفسه.

فهذا هو قول الحق الذي لا يترى فيه أصحاب العقول.

لكن اتحاد الملك قوله مع عبده بذلك:

«وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» [الفرة: ٣٠]، مضاف عمل السبح له.

والرسول كذلك يقول: «مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» [المائدة: ١١٧].

ومن السس من يقول: «يَقُولُونَ أَهْ نَا نَمُرُدُونُ فِي الْحَاظِرَةِ» [الدرعاب: ١٠].

مضافوا القول لأهسهم.

والسموات والأرض والجبال تنبئ، وتشفق من عمل الأمانة، وتقول:

«أَتَيْنَا طَائِعِينَ» [فصلت: ١١]، وتصيغ الإتيان لنفسها.

لما في العالم إلا من سبب العمل إلى نفسه دون الله مع علم العلماء بالله أن العمل لله لا لغيره.

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٦].

وعز الناس كون الحق تعالى أصناف العمل والفتول لهم، وفيهم أن الإصافة سائغة من سبب

مخلص، فانه تعالى خالق العمل وموحده والعد مطهره، إذ كان العمل لا يظهر إلا في جسم.

فمن إصافته تعالى الأمر حكاية قول المحدث لسيمان رحمه الله: «خُطْتُ بِمَا نَمَّ خُطْتُ بِهِ» [الشم: ٢٢].

بني من العلم.

وقال سله: «يَتَأَيَّهَا النَّمَلُ أَذْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَتَفَرَّوْنَ»

[الشم: ١٨].

وقال تعالى: «يَوْمَ نَنفُثُ عَنِّيهِمُ آتِسَتْهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ» [النور: ٢٤].

وقال من الجلود: «قَالُوا أَنْطَقْنَا آلَهُ الْيَدَى أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ» [فصلت: ٢١].

وقال: «وَإِنْ فِينِ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» [الإسراء: ٤٤].

لما ترك شيئاً من المخلوقات إلا وأصناف العمل إليه.

وهذا المقام لا يُمكن لمن دخله أن يرأس عليه أحد من جسده، ولا أحد من المخلوقين، فإن

الأمر واحد في نفسه، والواحد لا يرأس على نفسه.

وهو مقام عزيز، العالم كله والبع فيه، ولا يعلمه إلا أهل الشهود، ونكس من الأولياء من ستر

الاتحاد بالمعاط لا يفهمها إلا الأكابر.

ومتهم: من كشف ذلك لحال غلب عليه.

فمن ستر ذلك سيدي علي وفا رحمه الله، فقال مخرجاً ذلك في قلب لسان الحق تعالى:

«كَمْ تَطَّعْتُ مَعِيَ الْمَرَاتِبَ صَوْرَتِي» فإنا الذي لسك مسمى المشاهد شاهد

«وَإِذَا تَطَّعْتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ دَاتِمَا» فإنا وأنت ههناك شيء واحد

وقال عفا الله عنه:

«إِذَا مَا كَانَ لِحُضْرَتِكَ عَيْنٌ فَتَحْدِي» صمدان دسبل صمدك مسمى السوداد

«وَعَلَيْكَ أَنْ كُلَّ الْأَمْرِ أَمْرِي» هو المعنى المسمى بالتحاد

وقال رحمه الله:

هو أول وهو آخر
هو عزيز ومعاير
واحد في كل حال
مندان مهاب

وقال رحمه الله:

قال لي كل اتسلي
يا علي أنت سائلي
قل وطل لا تكتفم
أنت ينسلي أنت عرشي

وقال أيضاً رحمه الله:

هو ثلثا وثلثا
عيسى وحبس عيسى
مالك كل حبس يا فتي
والكل هو بلا مرء
ما نسم إلا واحداً

ومن كشف ذلك سيدي عمر بن الفارض رحمه الله فقامت عليه القيامة فقال:

وفي الصبح نعت المحم لم أك غمها
جلت في تجليها الوجود لناظري
فوصفي إذا لم أذع بالثمن وصفها
لإذا دُعيت كنت المجيب وإن أكن
وإن نطقت كنت المناجي كذاك إن
والد رُبعت نداء المحاط به يتنا
فإن لم يحوز رؤية الله واحد
سأجلو إشارات عليك خفية

وقال في بدائي إذ تحللت تجلست
ففي كل مرئي أراها برؤي
وعينها إذ وجدت نحو هجي
مناذا أجابني من دقاتي ولبت
فمنعت حديثاً إنما هي قمت
وفي رفعتها عن فرقة الفراق رفعتي
حجراك ولم يلبث لبعدي كبت
بها كهارات نديك جليلة

أولئك الذين هداهم الله، فهداهم اقتده، وأولئك هم أولوا الألباب.
 وفي هذا القدر كفاية لمن أدركه العناية من آرياب الدراية: «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ
 شَاءَ ذَكَرْهُ» [عبس: ١١، ١٢] «وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل

وَأَتَيْتُ بِالْبَهْرَةِ فَإِنِّي خَائِرٌ
 بِمَشُورَةٍ يُحِبُّكَ بَنِي الصَّرْعِ غَيْرُهَا
 وَمِنْ لَعْنَةٍ ثَبَتُوا بِعَمْرِ لِسَانِهَا
 وَفِي الْعِلْمِ حَقًّا إِنَّ مَبْدَأَ غَرِيبٍ مَا
 نَلُّوْ وَاحِدًا أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ وَاحِدًا
 وَلَكِنْ عَنَى الدَّرَكِ الْخَفِيِّ عَمَلْتُ لَوْ
 كَذَا كُنْتُ حَيًّا قَبْلَ أَنْ يُكْتَفَى الْعَطَاءُ
 أَوْ رُوحٌ يَلْقَاهُ بِالْعَبِيدِ مَوْلَانِي
 بِمُسْرَقِي تَكْسِي الثَّيَابَ بِحُضْرِي
 أَحْسَنَ حَضِيرُ الصَّحْوِ وَالسَّكْرِ مَرَجِي
 نَلُّوْ جَلُوتِ الْعَيْنِ عَنَى اخْتِيَتِي
 فَمَنْ بَعْدَمَا جَاءَهُتُ شَاعَدْتُ مُضْهِدِي
 وَبِي مَوْقَفِي لَا بَلَّ إِلَيَّ تَوَجُّهِي
 فَسَارِقُ ضَلَالِ الْقَسْرِ فَلَا يَجْمَعُ مَتَجٌ
 إِلَيَّ آخِرُ مَا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا التَّسْوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: دَلَّ فِي ذَلِكَ الظُّمُّ الْكَثِيرُ. بَلْ كُلُّ اشْتِعَارِهِ فِي الْإِتِّحَادِ مِمَّنْ قُوَّةُ:
 لَيْسَ لَكَ لَا تَنْظُرُ الْبَيْنَ لَا تَمِيعُ الْقَلْبُ أَتَيْتُ هُوَ قَطْ
 لَيْسَ نَمَّ سَوَى مَرْدٍ بِهِ عَيْرُ الْكَثِيرِ فَلَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ
 وَعِنْدِي أَنْ هُوَ الْإِتِّحَادُ كُلِّهِمْ لَمْ يَصْحُ لَمْ إِتِّحَادُ قَطْ إِلَّا بِالْوَهْمِ.

وَانْظُرْ كَلَامَهُمْ تَحْدِثُ مِنْ أَوْنِهِ إِلَى آخِرِهِ لَا يَرُوحُ مِنَ التَّوْبَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ مِنْ عَنَابِهِ وَمَخَاطِبِهِ.
 وَتَأْتِلُ مَوْلِ السَّيْرِ: (تَأْتِلُ لَا تَنْظُرُ أَيْ) مَضَى قُوَّةُ: (تَأْتِلُ) يَضَعُ التَّوْبَةَ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ بِهَا،
 وَلِلَّذَلِكَ دَعَا إِلَى خِلَافِهِمْ، وَعَايَةَ أَحَدِهِمْ أَوْ يَقُولُ أَحَدِهِمْ: «أَنَا هُوَ»، مَذْذُولُ (أَنَا) خِلَافَ
 (هُوَ) فَتَأْتِلُ.

المطهرة ﴿[المذثر: ٥٦]﴾.

وصلّى الله على سيدنا محمد الذي نور حبه للقلوب مطهرة.

وعلى آله وأصحابه الكرام البررة آمين آمين، سبحان ربك رب المعصرة عما يصنعون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت هذه المراسلة بحمد الله وعونه

حاشية الشيخ حسن رضوان

على

الوصية الجلية للمساكين طريقة الخلوتية

لمسيدي مصطفى البكري الخلوتي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد كتبت كتاب
استاذنا ايد الله تعالى بها مشيخة الشيخة الموصية
الجديدة للسالكين طريقه الخيرية على بعض كلمات
حوادث منها قوله عند قوله فيها فان من سلك
بغير دليل ناه وربما هدى مع السالكين قال
الشيخ ايد الله تعالى بتوفيقه وعرفه طريق الحق
وتمزيقه بسم الله الرحمن الرحيم والحمد
العظيم والصلوة والسلام على صاحب الخلق العظيم
وعلى آله واصحابه اهل المجد والكرام والنابغين
لهم باحسان الى يوم الدين في كل وقت وحين
الدليل باب وصل الى المدلول عليه قال تعالى وانرا
البيوت من ابوابها فاسلم بوابها هذا الاساقفة فن
رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشها قال بعضهم
لان تكون تحت حكم هرة خردك من ان تكون تحت حكم
نفسك فمن لم يخرج عن موافقة نفسه في هوانها فانه كاهن
ولا يمان عن اهل نفسه الاجمول ولا يركن اليها الله من على
الرد المجبول بعد ما سمع قول الحق جل وجلالات النفس
لا مارة بالسوء وقوله صلى الله عليه وسلم ليس عدوك
الذي يقتلك فيد خلك الله به الجنة وان قتلته كانت
ذلك دورا ولكن أعدا النفس التي بين جنبيك فاذا
رمت الخلاء من دنسها والنجاء من خباياها

2.4

سيد الطائفتين لايامن على نفسه ان يختلي بامرأة
اجنبية فالوقوف مع حدود الشريعة والتمسك
بها من علامات التوفيق والصد والصد بالصد
والله اعلم تمت هذه المقدمة بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
وصحبه وسلم تسليما دائما الى يوم الدين والحمد
للله رب العالمين ووافق تمام رفق هذه النسخة
الشريفة المصطفوية الطريفة في شهر شعبان سنة ٩٩٦

عليه السلام العبد الفقير الحقير

الذليل الكسير المعترف

بالذنب والحق والتقصير

الرحمن الرحيم

احمد حسن الزماوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَكَ
لَهُ

14

5

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطاهرين
الطهرين

الهم اغفر لنا ربنا ولفا ربنا ومن دعا لنا بالانقراض

امیر امیر امیر

و لا ينزع على المرسلين

وَأَحَدُ لَمَدٍ رَبِّ

العالمين

1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد كتب جناب أستاذنا أيده الله تعالى همامش نسخته الوصية الجليلة للسالكين طريقة الخلوتية^(١) على بعض كلمات حواشي منها قوله عند قوله فيها:

(فإن من سلك بهير دليل تاه وربما هلك مع المهالكين)

قال الشيخ أيده الله تعالى بتوفيقه، وعرفه طريق سحقه وضيقه:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله العظيم والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وأصحابه أهل المجد، والتكريم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في كل وقتٍ وحين الدليل باب موصل إلى المدلول عليه.

قال تعالى: ﴿وَاتَّوَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فالأبواب هنا:

الأساتذة فمن رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشها.

قال بعضهم: لأن تكون تحت حكم مرة خير لك من أن تكون تحت حكم نفسك، من لم يخرج عن موافقة نفسه في هواها مما ركاهها، ولا يأمر عوائل نفسه إلا جبول، ولا يركس إليها إلا من على الردى مجبول بعدما سمع قول الحق حل وعلا:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقوله ﴿لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي يَقْتُلُكَ﴾ فيدخلك الله به أخته، وإن قتلته كان ذلك دوراً، ولكن أعد الأعداء نفسك التي بين جنبيك^(٢).

فإذا رمت الخلاص من دسائسها، والحياة من خائسها، فلتجد خلاصها سيلاً^(٣).

(١) لسيدنا الشيخ مصطفى البكري الخلوتي قدس الله سره العزيز. وقد وضع الشيخ حسن رضوان حاشيته عليه. وقمنا بالتعليق قدر المستطاع حتى نعلم الفائدة إن شاء الله.

(٢) رواه المديني في المبرور (٣/٤٠٨)، والسبكي في الزهد الكبير (٢/١٥٧)، وذكره السبكي في بعض القدير (٥/٣٨٥)، والمجلوني في كشف الخفا (١/١٤٨).

(٣) فائدة عظيمة: قال سيدي مصطفى البكري الخلوتي: وأعلم أن النفس مشتقة من الماسسة وهي المسارعة؛ لأن الماسس تفاعل، فلا بد لها من رؤية وجود ودعوى مع موجدتها، فتحتاج إلى علاج

ودواء.

فقد جاء في بعض الأخبار وإن كان ليس بالمعوي عبد الأختيار أن الله تعالى خلق الدنيا وأوجدتها، وقال لها: من أنا؟ قالت له بحية: أنت الله الأحد. وخلق النفس فقال لها: من أنا؟ فقالت له: من أنا؟ صوّع لها العناب، فلم تدع حتى القاهها في بحر الجوع كذا كذا سنة، فأقرت له بأنوحها، واعترفت بالمودة، من هنا وجب الجهاد فيها بيردها صاحبها إلى الإقرار بهواها وحواسها، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال عبد الله بن المبارك: هو بمجاهدة النفس والهوى. وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر على ما روي في الخبر: أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وقال الحسن قنص الله سره في قوله: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَصِيَّةَ﴾ [المائدة: ١١]: هي والله عصية شديدة بمجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

وعن سهل بن عبد الله عليه السلام: يقول الله تعالى: «ما خلقت خلقاً يارعي في ملكي غير النفس. فإذا أودت رضائي فحافظها».

وفي الحديث: «أعدى أعدائك إليك نفسك التي بين جبيل» رواه البيهقي.

وقال أبو عثمان الموهبي رحمه الله تعالى: «بلى الله الحق بسمة أمشاج كل واحد يطلب صد ما يطلب الآخر: ثلاث معصيات، وثلاث كفرات، وثلاث مؤامات، فالثلاثة المعصيات: السمع والبصر واللسان، والثلاث الكفرات: النفس والهوى والشيطان، والثلاث المؤامات: الروح والعقل والملك الهب».

وإذا تب كبرها وجب الجهاد فيها، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَنُفِقُونَ مِنْكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣].

قال سيدي محيي الدين قنص الله سره في كتابه روح القدس في مصالحة النفس بعدما ذكر الأية: والمغرب عدو لك وأعداء عليك نفسك التي بين جبيل، فيها شغل ساعلي بمعاقل الهب. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَىٰ النَّفْسَ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التارعات: ٤٠، ٤١].

قال القشيري قنص الله سره في باب مخالفة النفس: أخبرنا علي بن محمد بن عثمان قال: أبياني أحمد بن عبد، قال: أخبرنا تمام قال: أخبرنا محمد بن معاوية الساموري قال: أخبرنا علي بن عتبة بن أبي حنبل عن محمد بن المسكين عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «الخوف ما أحاف على أصني اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة».

واعلم أن مخالفة النفس رأس العادة، وقد شغل المشايخ عن مجاهدة النفس، فقالوا: دبح النفس بسيف المحالمة.

واعلم أن من دحمت طوارق نفسه أفلت طوارق نفسه.

قلت: ولي الحديث عن صاحب القدر السيف: «اجاهد من جاهد نفسه في الله» رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن حبان، والعسكري في الأمثال عن فضالة بن عبيد.

وعن الصديق الأكبر رحمه الله: «من مفت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقته» رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن نوري أبي بكر ذكره في الجامع الكبير.

وقال ذو النون المصري: مصاح الحادة الصكرة، وعلامة الإصابة مخالفة الحوى والنفس، ومخالفتها ترك شهواتها.

وقال ابن عطاء: النفس محبوبة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس بحري بطنها في ملك المعانعة، والعبد يرددها بمحبة عن سوء المعانعة، فمن أطلق عصبها فهو شريكها معها في فسادها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرزدي يقول: سمعت أبا عمير الأنطاقي يقول: سمعت الحيد رحمه الله تعالى يقول: النفس الأماره بالسوء هي الدابة إلى هلاك المحبة للأعداء، الشبهة للهوى، التهمة لأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكسرونها في سائر أيامه كان معروفاً، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهملها. وكيف يصح لمالك الرضا عن نفسه، والكريم من الكريم من الكريم يقول: «وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء» [يوسف: ٥٣].

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسمه بعدد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: إن الحسد رحمه الله يقول: أرت داب ليلة، فمقت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجد من الخلاوة، فاردت أن أدم، فلم أفلد عليه، ففعدت فدم أطلق المقود، ففتحت الباب، وخرجت. فساد رجل ملتف بعبادة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه، وقال: يا أبا العاسم ألي ماعه، فقلت: يا سيدي من غير وعد؟ فقلت: بلى. لي سأل محرك لقلوب أن يحرك قلبك، فقلت: قد فعل، فما حاجتك؟ فقال: مني يصير داء النفس دواعيها، فقلت: إذا حانت النفس هواها صار دواعيها دواعيها، فأفلد على نفسه وقال: اسمي قد أحلك هذه الحوائج سبع مرات، فأبى ألا تسمعه عن الجنيد فقد سمعت، وانصرف عني، ولم أعرفه، ولم ألق عليه بعد.

وقال أبو بكر الطمستاني رحمه الله: البعة العظمى المرواح عن النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأنطاقي يقول: سمعت ابن عطاء وقد شغل عن أقرب شيء إلى ممت الله؟ فقال: أقرب شيء إلى مفت الله رؤية النفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها.

وسمعت يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن بصير يقول: سمعت إبراهيم الحواصي يقول: كنت في حل النكاح فرأيت رماناً، فاشتبهته، فمدوت فاحدث منه واحدة.

تشققها فوجدتها حامصة، فصبيت وتركت الرمان، فوجدت رجلاً مطروحاً قد اجتمعت عليه الرماهير، فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت: كيف عرسي؟ فقال: من عرسك الله لا يحصي عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله، فلو سأته أن يحسبك ويثبثك من الأذى من هذه الرماهير فقال: وأنا أرى لك حالاً مع الله، فلو سأته أن يثبثك شهوة الرمان، فإن لدع الرمان بعد الإنسان الله في الآخرة، ولدع الرماهير بعد الله في الدنيا مكرهه، ومصيب.

وحكى إبراهيم بن شيخان أنه قال: ما بك تحب سقوب ولا في موضع عنه علق إبراهيم سيفه، وكنت أنتهي في أودع أن أتناول شعبة من عذس، فلم يتفق لي، فكنت وقتاً بالشام وخملي إلى عصبارة فيها عذس، فتناولت منه، وخرعت، فرأيت قوبرير معلقة فيها شيء يشبه السمودجات. فطسه حلاً، فقال لي بعض الناس: إيش تنظر، هذه كمودجات الحمر، وهذه الذئبان حمر. فقلت: لمرمي فرحت، فدخلت حانوت اخمار، ولم أزل أصب تلك الذئبان، وهو يتوهم أنني أصبها بامر السلطان، فمما عنده صديقي إلى اس هوبول ورير مصر فأمر بضري مائتي حشبة، وطرحني في السجن، وبقيت مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربي أسناد ذلك البد فشمع لي. فلما وقع بصره عني قال: (إيش تعنت. فقلت: شعبة عذس ومائتي حشبة. فقال: يحوت بحاناً! أي بلا بدل.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس المعتزلي يقول: سمعت جعفر بن بصير يقول: سمعت الحيد رحمه الله يقول: سمعت السري يقول: إن عيسى تطالبي مدة ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغتس جزرة في ديس، فلما أظفعتها.

وسمعه يقول: سمعت جدي يقول: أفة العيد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

وسمعه يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرزاري يقول: سمعت الحسين بن علي المغربي يقول: وجّه عصام بن يوسف الملحني شيئاً إلى حاتم الأصم، فقله، فقيل له في ذلك: ثم فته؟ فقال: وجدت في أحدي لدنني وعزّه، ولي رده عزّي ودنّه، فاحترت عزه على عزّي ودنّي عني دنّه. وقيل لبعضهم: إبي أريد أن أخرج عني التحريد. فقال: جرد فيك أولاً عن أسبهو ولسانك عن اللغو، ثم اسلك حيث شئت.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من أحس في بهاره كومي في ليله، ومن أحس في ليله كومي في بهاره، ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤثها، والله أكرم من أن يعدب قلباً ترك شهوة لأجله.

وأوحى الله إلى داود الشيخ: يا داود حذر والنز اصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقوباً عني محبوبة.

وروي رجلاً جالساً في أهوى. فهيل به: ثم قلت هذه؟ فقال: تركت أهوى، فسمعت لي الهواء وقيل: لو عرس على المؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرس للماجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف.

وقيل: لا تصع رماحك في يد أهوى؛ فإنه يقودك إلى الظلمة.

وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مرعج أو شوق مقنق.

وقال الخواص: من ترك شهوة فلم يجد عوصها في قلبه فهو كاذب في تركها.
وقال جعفر بن بصير: دفع إليّ الحيد درهماً وقال: اشتر به اثنين الوريري، واشترته، فلما أنظر
أحد واحد، ووصعها في فيه، لم أذهب، وبكى، وقال: احمد. فقلت له في ذلك، فقال: عصف في
قلبي هاتفت: أما تستحي شهوة تركتها من أجل تعود إليها.
واعلم أن للنفس أخلاقاً دميعة، فمن ذلك الحسد، وقد قيل: ما على حسد من حسد فساد. بل
لا بد أن يلف ويدركه فساد.

وفي كتاب منازل القاصدين للحكيم الترمذي رحمه الله قال عيسى بن عيسى: يا بني إسرائيل أجمعوا
أنفسكم وأخذوها وعروها، تعل قلوبكم برب الله تعالى، وقال سيبا محمد بن لأصحابه: ما
يقولون في صاحب إن أتم أكرمتموه واسقيتموه وكسبتموه ألقى بكم إلى شر غاية، وإن
استم أقتنوه وأظمتهم ألقى بكم إلى شر غاية قالوا: يا رسول الله، هذا شر
صاحب في الأرض. قال: فولدي عيسى بيده إب لأفسكم التي بين جنوبيكم، حدثنا بذلك
محمد بن سبل، حدثنا عمر بن منصور القيسي: حدثنا عبد الواحد بن زيد عن الحسن بن
عيسى بن علي.

اعلم أن المراتب أربعة:

موت أسمى: وهو مخالفة النفس.

وأبيض: وهو الخروع؛ لأنه يور الباطن، ويبقى وجه القلب، فمن ماتت بطنته حيث فطنته.

والأصفر: وهو لس المرتفات من الخرف إلى ليس لها فية لا صرار عيش لا يسها بالقاعة.

والأسود: وهو احتمال الأذى وكفه.

وهذه المراتب تشأ عن ماء النفس: أي نحو صفتها الدميعة وبقاء الصعاب الحميدة، وهل صرت
منفس بالمجاهدة والمكاداة فيها، أو تصعب، أي ضللت، فتكون مقهورة ماسورة تحت حكم
مباحها، بعدما كانت حاكمة وذليمة، بعدما كانت عريرة وخادمة للروح بعد استئذانها لها.
وبكون التعبير منموت: أي موته عن مرادتها، وكلنت الضعف: أي قلة شيوته، ومذكها، أي
الحكم فيها، وانقيادها وطاعتها بعد نفورها وتجاهلها هذا ما عول عليه الأكابر.

وأما تسلاخها عما كان جنباً في شأنها بالرياضة فقير ممكن، لكنها متى ضعفت وانفادت
واستسمنت وملئت عليها صاحبها فادها إلى المراسي قهراً، ولكن يلزم المجاهدة فيها دهرًا، فإنه
مضى عملها وطلب الراحة عادت على ما كانت عليه، وفلت منه بعد دخولها في الراحة،
فاطف سراح آمالها العرصى الأرضي، وأوقد لها سراج مطلوبها الأصلي السماوي المرص.

واحذر أن تكون من أمر نفسه فطاب له في سجنها حسه، ومن سوا الله وأسأهم أنفسهم.
فتكون من التسخير: أي الخالدين عن دائرة الحق إلى دائرة الباطن، فإن أصل سبق الخروج عن
الغص.

قال رؤيه: مواسق عن فصلها جوائز، ويقال: سمعت البصة إذا سرت، والرمطة إذا خرجت من
قشرها، واجهد ألا تواقها في شهوة تطلبها منك، فجاهد فيها.

وقد كان سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب تقي وكرم وجهه يقول: من لم يحط به في صولاتها لم يرضي وبه في طاعته.

وقال بعضهم: مادام النفس حية تسعى فهي حية تسعى أي مادامت ساعية في مقاصدها فهي داعية إلى الهلاك راصدها.

ونقل الشيخ تقي الدين الحصني الكبير رحمه الله في بعض مؤلفاته فقال: قد رأيت مقولاً أن في الأدمي ثلاثين وصفاً ذمياً، والنفس الأتارة بالسوء تدعو إلى الوقوع في جميعها.

قال: وسعت من حصن المشايخ يقول: إنها حميون ألف وصف يروي، ولا غلط فيها إلا كما قال الله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، ومعنى الآية: إلا من عصاه ربه.

وقد قيل: لا يدرك الشخص حقيقة الإيمان إلا بدمع النفس بسبب المخالفة؛ وذلك لأن النفس بطبعها متالة إلى الشهالك والمعاصي، والأمر العسل في جميعها أن الشخص لا يخلص من شومها إلا بضعها بأسه المخاضه، حتى يشحنها جراحاً، ولا يفتّر عن ذلك؛ فإنه مهما كان لك حركة لا يؤمن عليك منها؛ فالدسبة واحدة تقتلك وأنت لا تشعر.

وروي مسمره بن عسده بن أوس أن النبي ﷺ قال: «الكفن من داء نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

وعنه أيضاً: «ثلاث مهلكات: شح مطاغ، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

وقال مطر القاري رحمه الله: لعل الحال بالأطمار حتى تقطع الأوصال تعود من مخافة الهوى إذا هلك في النفس.

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب متى تكون لي؟ قال: إذا لم تكن نفسك. قال: متى لا تكون نفسي؟ قال: إذا سبها كلها.

قال بعض العارفين: معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]: أي إذا نسيت نفسك أها.

أي من حيث نفسك ورؤيتك لها واحتجابك بها، فإذا عت عنها ولم ترها بانكليه واستغرقك مشهود عن كل مشهود هناك يقال لك: «واذكر ربك في نفسك» [الأعراف: ٢٠٥]، أي شاهد أنها أثر من آثار قدرته، وإذا عرفت نفسك ألا وجود لها من عساه عرفت وبك أنه هو المهيض عبيد الجود، فتبت من دعوى الوجود، وونت في هذه الرتب إلى يوم الورد المورود.

وقال سيدي عبد القادر قدس الله سره: متى ذكرته مات محب، ومتى سمعت ذكره لك فأت محبوبة، والخلق جميعاً عن نفسك ونفسك جميعاً عن ربك، ومادامت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

وعن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره أنه قال: رأيت رب العزة في السام حل جلاله، فقلت: يا بار حياء، كيف الطريق إليك؟ قال: أترك نفسك لم تعال.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿ومن جاهد فإنما

يُجَاهِدُ نَفْسَهُ [المكوت: ٦]. فَوَجَّهُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [الحج: ٧٨]. «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» [نصرت: ٤٦].

فالمجاهدة هي النفس نفس عبادة ورأس عبادة، وهي عين السعادة ورب السيادة، ومع بدنه مجهوده في عبادته ومصارعها ومعالجتها لا يمكن أن يتخلص منها بالكلية ما دام في حكم البشرية. فإذا اعتدلت منه الذات وانسجحت إلى عالم الذات هناك يتخلص من شرها ويخرج من حلوها ومرها.

واما قوله تعالى: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» [يوسف: ٥٣]، سواءً قلنا: إنه من كلام يوسف عليه السلام أو من كلام ربه المراد أن ذلك عزم لها بالخروج من غير، لا أنه من أصل شائتها؛ فإنها من عالم النفس والطهارة، فاعلموا ذلك أيها الخاب. والله يتولى هداكم اهـ.

لأن النفس الباطنة جوهر مجرد عن المادة في ذاتها طاهرة مقدسة في صفاتها، لكنها لما أدمت لنفس الشهوانية الحيوانية والهاضعات لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت أمارة، ولما دمعسها ولامعسها على تفكيرها في عباده مولاهما شُيِّبَتْ نومة، ولما راد ميلها إلى عالم النفس وبغيت الإلهامات الربانية شُيِّبَتْ ملهية، وعندما سكنت تحت مجاري الأقدار وروى طرفها ولم يبق لنفس الشهوانية حكم شُيِّبَتْ مضطربة، فإذا ترقت وبرقت لها بوارق القرب وقبت عن مسرعاتها وطلابها الشرية وكسبت بعد النقاء ثوب برصا فأشرف وجه توجهاتها وأضاء شُيِّبَتْ راضية، ثم إذا قلت جميع الأسرار وتقلبت في سائر الأطوار ورجعها الحق ولها يتخلص المحض الحق مستمرحية، وإذا أمرت بالرجوع إلى العباد للكمال والإرشاد والسانة والخلقة والتفني والإنهاء بها لا يسمع انقلاب حاله وطهرت عليها علامات العوالم وأمرات التعريف المخصوصي والوصول سميت كاملة، وعدت محمولة حاملة، وهناك يحق لها أن تصدر للإفادة وتجلس على سجادة السيادة، وإلا فقبل: السلوك في هذه الملائك والحفاة من هذه المعاطب والمجالات. فكيف يليق التقدريم والإقدام على مرحلة الرؤساء من كان حقه الوقوف في مواطن الأقدام.

واعلم أنه لا يتم لسائر أسير في معارج هذا الخير إلا بإساعه لشيخ مرشده سلم من الصبر، وشهدت له الأكابر أنه قد خلص من العسر، ويحق له أن يحاب إذا دعا بلى ونعم وخير. ليتخلص من النفس المكلفة بين الطير كل من كنهها حسن السير المشاهدة فعل محبوبها المحبوبة عن شهود مر: «مَوْطُ عَذَابٍ» [الحجر: ١٣]. مع أنه عين الرحمة به بدون ارتباب الظالة معوقا إلى جوراء العرف بمور ارتقاء سلم اشرف المقاسية عصر الموت فيما حصل لها من الموت، ومع ذلك فلا تنبه من رفاها ولا تتروذ التقوى لتقوى في يوم معاده ترى في الطاعات كرب الدواء، وتتجرع في ساعات القرب مرارات الموتى، سمر حظوظها لزوم الريق، ويود أن لو أظفقت من الريق فما هي إلا مطية جهل ومضة أن تكون أبا جهل، فإذا ظمرب بمن يتخلص من قبائحها ويسد أذنيك عن سماع بصائرها ويدل على عيبك سترًا، فلا تشهد لواجبها، ويشفق عرفا من معارفه فلا تشفق روائعها. ويظهر لك معانيها، ويبرك عفافها وعراقها، فقد صُفرت بكسر يسر وحده ويقبل لقص، ويحب قربانه، فإذا أدركه وما وفقت لمواقفه حتى ماتك وصيحت أوقدك وأقوتك حتى عديت، وفانك فستندم بدم الكهسي لما اسبان السهار، والفرزدق

لما أبان النوار فيه أفعال عقلت من كراهها، وقل، يا صبيحة الأعمار، ويا حسرتي، ووافد واغدا،
ومسي كالمسبات خطاء ماير التحقيق وسجاء أئمة محارب التصديق المؤدى فوق صابر التدقيق
والمرلين من أدهم عني أعلى بجانب التوفيق لا يكسب حلقاً إلا من أربابه، ولا يرتقي إلى مقام
إلا برؤية أصحابه، فمن وافق الكرمه نكرتم، ومن عاشر الخساء حتم، أو العاد نعت، أو الزهاد
نرهد، وإلى هذا أشاد سيد الأحر والأوائل: «المرء على دين خليله؛ فليظفر أحدكم من
بطلان»، وكم رأينا من عاشر الأخيار فما اتفع لما ترفع بعينه كالدخان. فما ارتفع بل اتفع،
فما كل مصاحب تنفع بصحته الأصحاب الأحباب إلا أن رآهم لحنًا مساوية وبسه صبرها لهم
نربأ، ولما دعوه أحباب.

قال سيدي عبيد الله بن عبد الله بن محمد في كتابه «مواقع السجود ومطالع أهل الأسرار والعلوم»:
واعلم أن الله تعالى إذا أهدك بالتوفيق لنعلم والعمل على الإخلاص فتح لك باباً إلى مسكونته يمسك
مشاهدة ما تحلى لك وراء ذلك الباب من طوارق العجالات والرجوع إلى عالم الشهوات،
واستعانت بموارد الحق عليك من لطائف وأسراره وكشف حقائقه، وذلك هو العلم اللدني وعلم
القلبي، فاسع في تحصيله مداومة الذكر والخلوة وطيب الأصعدة وقلة الأكل والورع في المطلق
وتصرف النفس في فصول الحواطر، واسعى فمست تحت أمر بأمرك وببهاك، وتعلم له. واحده
فصيحاً مرشداً؛ فإنه إن لم تخرج نفسك على مراد غيرك لم يصح لك الاعتدال عن هواك، وحو
جاهدتك نفسك عمرك بما ترتبه عليها، وإن صعب لم ترن عن رغبتها ورياستها التي لا يمكن
حسروها منها إلا بالانقياد إلى طاعة نفس أخرى مثلاً، وتصرفها تحت أمره وجه؛ وذلك
لكنامة وعظم إشراكها، حتى ترتقي إلى الأمر على الإخلاص، ويكون ذلك مستملاً لها إليه؛ وذلك
قال المحققون: كل عمل لا يكون عن أمر فهو هوى النفس، وأحر ما يخرج من قلوب المصدقين
حب الرقابة.

وقيل لأي سريد النظامي قدس الله سره في بعض مشاهدته معه: تقرب إلي بما ليس لي الدنية
والانقياد بهذه إشارة إلى إزالة الرياسة، فاسع يا سي في طلب شيخ يرشدك، وبصم حواطرك،
وبكمل دانتك بالوجود الإلهي، فحيته تدبر نفسك بالوجود المكشفي الاعتصامي اهـ.

فانظر قوته؛ وإن فتح لها في لطائف المشاهدة.. إلخ.

ولا تنظر نتائج الأعمال وصغر الأحوال؛ فكم صفت ثم تكدرت، وكم عنت وغلبت ثم تعددت
السر الخلو الجديد كل آن، وهو كل يوم في شأن، وما لم تعزل النفس عن يطبك سره فيك،
فأنت عرباها غير باصحب لها، ما الذي يروم إغلاقتك من حبسك؟ يقول: لأن تكون تحت حكم
هرة خير لك من أن تكون تحت حكم نفسك.

وكسان سيدي عبد القادر قدس الله سره يقول: أخرج عن نفسك، وسخ عنها، وانزل عن
منك، وسلم الكل إلى مولاك، وكس بوابه عني باب فلتك، فأدخل ما يأمرك بإدخاله، وأخرج
ما يأمرك بإخراجه، فلا تدخل أفوى قلبك فتهلك اهـ.

واجتهد في أن تتحرر من رقها ولو بسحقها في مقام المعاهدة وعقبا.

قال سيدي أبو مدين قدس الله سره: ما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية. ولا يمكن النجس من مهامها إلا بالذيل المعارف والمسلك الذي من يحور العلوم غارف.

قال سيده السدي الميرغالي في أحد نلامه سيدي محمد القوموي ربيب سيدي محي الدين وتسميته قلنس الله سرهما في مقدمات شرح التاليف الفارصيه: من أهم المهمات لسالك الطائفة إعلام الطالب، وأولى الأسباب والشروط في مسلكه حصول شيخ مرشد وأصل عالم بالمعوم الثلاثة: الشريعة، والطريقة، والحققة، بصير عاملاً بحقائق الأمراض انفسية، والأدوية المبرمة لها، ودقائق شهبوات العلوم. وتركها الخفي في كل مطلوب أو حاج؛ فإن السالك نفسه الواقع في مرض جهله وعقله وأنواع الأمراض المذكورة إنما هو بمقامه مريض غير خبير بحقيقه مرضه وعلاجه، فيعالج مرضه بهواه وشهوته عن جهل به ويسببه وبما يصاد من الأدوية، فلهذا توهم شيئاً أنه دواء، وفيه يكون حقه، والذي شاهده من بعض من طلق أنه من السالكين الفارفين معجناً بنفسه مدعياً بوعيه أنه داق وشرب شراباً من الشهود، ولم يشم رائحة ولا خطرته، ويظهر عرفاناً كسباً منه كنهاً شهودياً وتوجعاً باقياً بحال الإحاجة توجعاً والبردة معرفة حقيقة، حتى طرأ بعضهم وادعى أنه مهدي أو عيسى أو قطب أو نذل أو نحو ذلك، صبح ذلك من نتائج السوء نفسه من غير شيخ مرشد، والظن بأن الخوة والرياسة والاشتغال بالذكر شهبوة النفس وإزائها وإخبارها بآفاق أو موصل إلى حضرة من حضرات الحق تعالى حل حلاله وحل حجاب الحق أن يكون مورداً بكل وارد أو يطلع عليه إلا واحداً بعد واحد: يعني واحداً في نفسه أو إصالة عنه، بعد واحد: يعني على متابعة واحد لا يصح قدم في سيرة إلا بعدة ومتابعة قدمه، فكان داء السالك نفسه من حيث دوائه وحته في غير علاجه، أعادها الله وسائر الصادقين من شروا أنفساً وظنوها المردية وأوهامها التحقية أهم.

ومما يؤكد عليك إذا عرمت على طلب أمام سالك يفتك في ميراث من المهارث، ويجيك من ظلام أوهامك الخائت، وبذلك على ما فيه بحادث يوم تقف بين يدي أمانك ألا تنهات على من أثبتته يدعي الإرشاد، وينصدي لصبح الصباد، ويريك بعض شقائق لسانه، ويشير إليك موارق حبه حتى تصحبه، وتري كيف أتباعه لئس المحمدية، وتسال عنه المعارفين به من أهل المراتب المسبية، ثم بعد أن يشهد له أهل الصدق والأمانة وتري أثر الهداية لانتخا عليه والتقوى لباسها رايه، فهناك فاستبحر الله سبحانه، فإن وقع لك إذن فأقبل بنفسك لهامة طمأينة فارعة، من السوى داعرة فهاهنا ليل الدواء ناجوى، ملأه مقدرة مدعه لييه كالحيرانية، واصدق في الخمة والإقبال عسبه، وألق بصفت سلماً بين يديه بفتح الله أن شاء لك الأبواب، وتبعد دوح الاقتراب، وما جعلني أسبك على هذا الأمر إلا لئلا يفسد الرمان وكثرة الدعوى التي لا تدخل تحت ميراثكم من مدع مثلي لم يدك من مطاعم أهل الطريق حردنة أصبح يدعي الإرشاد؟ وما ذلك به.

فياك قلت: أين أخذت الطريق عن بعض رحاله من أهل التحقيق، فهل لي أن أأخذ عن غيرهم وأسلك سبيله وأبذل حسن سيرهم؟

قلت: إن حصل لك المرام من مسج أولئك الأقوام وحدثت من عمنات نفسك وسمعت من

واستعمل المجاهدة فيها ليلاً طويلاً فإذا لانت بعد فسوتها، وحضعت بعد شلتها، وأست بعد وحشتها، وأقبلت بعد عرتها فاستنصتها لعالي الأخلاق، وشوقها لرفع الأدواق فإذا مالت لذلك، وأقبلت على ما هانك، ونشعت عنه، وظهر لها من الحق ما كان هواها بحميم، حنت نحو الغريب لأوطانه، وناحت على ما صبعته نواح القمري على أعصابه، ورجعت طالبة إليها القديم، وباديتها التي كانت به تهيم، ثم بعد هذا إياك من فلتاتها، ثم إياك أن تغتر بتركها لعاداتها بل لا تغفل عن الجهاد فيها أن تكن عرفت طواجرها وحلاقيها، وانظر قول الفائل: ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى، فمتى ما عملت عنها ربما رجعت بك إلى وراء، وأنت تظن أنك أمام لما اعتمدت عليه من حسن سلوكها والسلام.

وكتب عبد قوله فيها أيده الله: ومعلوم من هذه المراقبة أن يكون كثير الأدب مع من هو مراقب له.

جائز وهمت وحديثك وعرفت نفسك المعرفة الخاصة التي لأحنحة العبد فاضد، وكشف لك عن عوالم الغلب وأسراره وعلومه وأنواره وعن السر وسره وسر السر ومكون دره، واكتفيت بما لاح لك من أثر الرحيم، فما عليك إذا لب على طريقك من حاج، لأنك ستكت به المصحف مقصود، وإن قصرت عن نوع مشاهد هذه المفاخر فما عليك إن أسمع الأول بالآخر، وأنتعت الثاني لتكون هوذا كالساحر، وتكرع من بحر العلوم الزاخر.

فإن قلت: أليس نقض العهد مضموم؟

قلنا: نعم، لكن طلب معرفة النفس أمر مضموم معلوم، والمرضا عنها بما هي به جهل يبقى صاحبه محموراً، وإذا شاهدت أن سائر الدعاة بواب السيد المضموم وأن مقصودك الجهاد في نفسك لا الحظ العسائي المسموم، وقد وجب عليك الداوي من الكموم ويسون طبيب حادق لا يبرئ مسموم، فم بعد إذن أخذت لهذا المقصد المضموم بقصاً ولا قصاً، بل تنميماً للأول عند المعوص في العلوم، سيما إذا كان بعد الاستحارة، وأذن في ذلك الحق القيوم.

واعلم رجعت الله أن داء النفس داء عسير، ودواها حطر عمر يسير، فلا بد لك إن سمعت طبيباً قد وصف لك الدواء من العمل به والمبادرة إليه بلا تكاسل والتواء.

ومس الشروط اللازمة أيضاً دوام صحته سراً وحضراً لأن العمل متى غاب الأسى فقد أوى، ورنسب لم يسر، سبل له الماء برعاً، فإن نر من رفقاً، وللصحة أثر في المحنة، وللمواعظ تأثير، وللملاحظ تعمير، وللخدمة فائدة، وللحضور عوائد.

فيل لأي العباس بن مهدي ج. بما يرؤس المريد معه؟ فقال: بالصبر على الأوامر، واحباب الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومحاسبة الرفقاء، والمرء حيث وضع نفسه امر. وانظر: المراسم القدسية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

وقد ورد الأمر لما في قوله ﷺ: ((اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١))).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، ﴿وَتَقْلُبُ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

فإذا كان الحق تعالى هو الرقيب على عبادته في حركاتهم وسكناتهم وهو الذي لا يجهل عليه شيء من ذلك فكيف لا يلزم من يكون مشاهدا لهذا المقام الأدب مع الحق بل إذا وجب عليه وعلى غيره من العباد لكان في مثل هذا أكد فإن العبد إذا كان مراقبا لله سبحانه وتعالى لرمه الأدب ومن لرمه الأدب وحيث له الهبة من الحق فإن أهل الأدب هم أهل الإكرام من الحق فإنه قد خص أهل الأدب بأمور وعطايا إليه أما نكر عدم التوفيق منه وغفلة العبد عن ذلك أوجبت له البعد والمراقبة مع سوء الأدب تورث العطب فإن كان بين يدي ملك وأساء الأدب عنده لا يؤمن عليه أن يعتك به وأما إذا كان بحسب عقله عن ربه عائنا عن حصرتهم، وأساء الأدب كان بالنسبة لمن هو في حصرتهم ومشاهد له على الكشف والشهود أحق جناحه ولهذا كات هوة الأكاير بألف هوة من هفوات غيرهم بل حسسات غيرهم سيئات بالنسبة لهم فانهم أهل حضور ومراقبة ومعانيه وأما غيرهم فلحجهم بذلك غدروا وإن كان الجهل ليس بعذر عن إمكان الوصول إلى العلم وإنما قلنا عذرا حلالا لهم عن عدم إمكان الوصول إلى العلم فأهل المراقبة له تعالى هم الذين لا يفعلون ما نهاهم عنه بل ولا يحظر لهم ذلك في حاضر وتماوتون في مراقبتهم واحترامهم للجباب الإلهي على قدر دوقهم ومعرفتهم به تعالى، فعلى قدر سعة المعرفة يكون الخوف والأدب حتى أن بعض المراقبين ماتوا بحضر الشول، ولم يكشفوا لهم عورة حياء من الله وأدبا معه لأنهم يعلمون أنه تعالى يراهم أينما يكونوا وبعضهم كان لا يقدر على مد رجله لتحفقه أنه بين يدي ربه وأنه مطلع عليه، وبعضهم كان لا يتكلم مع أحدا لأن الكلام مع الغير في حضرة الملوك سوء أدب إلا عن مروره فيستأذن ربه ويتكلم مع ذلك بقدر الحاجة.

حكى ما شيحا أن بعض الشيوخ كان يقرب تميدا له على بقية جماعته فسألوه عن سبب ذلك، فأعطى كل واحد منهم طيرا، وقال له: ادبح هذا الطير من مكان لا يراك فيه أحد، وأعطى ذلك التلميذ المقرّب أيضا فدهسوا، وجاء كل منهم بطيره مذبوحا إلا ذلك

(١) رواه أبو نعم في حلية الأولياء (٢٦٦/١٠)، وذكره الصدري في الترهيب والترهيب (١٢٤/٤).

التلميذ فإنه جاءه غير مدبوح، فقال: لأي شيء لم تدبحه يا ولدي فقال: يا سيدي أنت قلت لي ادبحه في مكان لا يراك فيه أحد، وقد درت لأرى لي مكانا أدبحه لا يراني فيه أحد فلم أجد لأني أينما كنت أراه يراني، فقال لجماعته وكانوا حاضرين لهذا: أخدمه عليكم لأنه صاحب حضور ومراقبة، فهو كنتم مثله مراقبين لما أمكنكم دبح ما أعطيتكم إياه. انتهى.

وقد ذكرها القشيري في باب المراقبة، فالمراقبة تنجر المراقب إلى القرب من المراقب بواسطة الأدب الحاصل منها؛ إذ المراقبة أصل في الأدب، فمن كان صاحب مراقبة كان صاحب أدب، ومن كان صاحب أدب كان صاحب قرب، ومن كان صاحب قرب كان من أهل الحصرة، ومن كان من أهل الحصرة كان صاحب شهود، ومن كان صاحب شهود بلغ المقصود من المقصود^(١).

(١) قال الشيخ الشرقاوي: عرف بعضهم المراقبة بقوله: هي مراعاة السر سلاطة العيب مع كل لحظة ولحظة.

قال في الفتوحات في الباب السادس والعشرين ومائة ما حاصله: اعلم أن المراقبة إما من الله تعالى للعالم جواهره وإعراشه، وهي: إمداده الجواهر بالإعراش المفتضى ذلك سعتها، فكما أن عدم عرض خلقه عرض آخر مثله أو صده يحفظه به من العدم في كل زمان، فهو خلاق على مداوم، والعالم معتقر إليه على الدوام، فهذه مراقبة الحق خلقه وهي المراقبة بقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [فرص: ٢٩].

وله مراقبة أخرى في عباده وهي: نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره وبواهي. ورسم لهم من حدوده وهي مراقبة كبرياء ووعيد وهي المراقبة بقوله تعالى: ﴿مَا يُلْقِطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿كَرَامًا كَانَ يُثَمِّنُونَ مَا تَقْتَضُونَ﴾ [الاسطر: ١١، ١٢]، ويقول: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَتَمَنَّوْنَ﴾ [شعرة: ٧٤]، ويقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وأما مراقبة العبد فهي على ثلاثة أقسام:

الأولى: أن يرآه تعالى وهو لا يعلم ذاته ولا نسته إلى العالم، قال بعضهم: وهذه لا يتصور وجودها؛ لأن المراقبة متوعدة على العلم بذات المراقب بفتح العاقل، وقالت طائفة أخرى: تصورها؛ لأنه قد عرفنا إله تعالى كما يسعى لجلاله فهو معنا أينما كنا وهو على العرش استوى. وهو في الأرض يعلم سرنا وجهربنا، وهو في السماء كذلك ويسرل رايها، وهو الظاهر في عين كل مظهر من مميزات، فند علمنا هذا الثقل به مراقبة على هذا الحد، فمراقبتنا لأنفسنا هي عين مراقبتنا لياؤه؛ لأنه الظاهر في كل شيء ولذا قال بعضهم: (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه).

وقال آخر: بعده، وآخر: معه، وآخر: فيه، فمثل هؤلاء يصححون المراقبة.

الثانية: مراقبة الحياء أحد من فوّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْلُغُوا إِلَى هَذِهِ الْأَعْيُنِ﴾ [الحق: ١٤]، بأن يراقب روجه وهو

ولقد قلت في المراقبة :

إن رقت تدبوا نحو المائي وترقى أحس المسالك
وتحطى بالمرب والتدلي وتسجو أبصاً من الممالك
وعك حجب السعاد تجلى وبحرى ما شئت في الممالك
وينجلي عنك كل غمهم وتفمى ظلمة أخوالك
ففرع القلب مما سواه وراقب الله في لعالك

فتأمل، وانهم، والله تعالى أعلم.

ومنها عند قوله فيها أيده الله:

(فالشرعية أصل، والحقيقة فرعها، فكل من لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع).

ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان النازمي قدس الله سره يقول:

«ما حرّموا الوصول إلا بتصحيح الأصول، مشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا
شرعية باطلة»^(١).

قال الشيخ أيده الله:

فإن من لم يلمس لا يستقيم له بناء، ومن لم يحكم ما بلى لا ينال المنى.

يراقبه فهو يراقب مراقبة الحق لها، فهذه مراقبة المراقبة وهي مشروعة.

والثالثة: أن يراقب قلبه وبصره الظاهرة والباطنة يرى آثار ربه فيه، وكذلك الموجودات الخارجة
عنه يراقب يرى آثار ربه فيها قال تعالى: ﴿مُسْتَبْهِطٌ آيَاتِنَا فِي الْأَقْصَادِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت].
٥٣]، وهذه المراقبة تعلق بالحق لا بالخلق، لا ماعل إلا هو. والمراقبة دوام المراقبة بحيث لا يحلها
وقت يكون العبد فيه مراقباً، فاعلم ذلك وتحققه تعلم شؤون ربك في نفسك، وفيما يدركه
بصرك من الموجودات. وما يصل إليه فكرك وعقلك، وما يشهدك في مشاهدك، وما يطعم من
الغيب في كوكبك، أو حيث كان، ومن هنا تعرف خواطرك، وتعرف حاجات الموارين الشرعية
وهي حسنة: المحرص والسدب والإباحة والمحظر والكراهة، ولها درجات عند أبواب الأسس
والوصول من العارفين. انتهى.

(١) وبخية النفس: علامة من صح وصوله: الخروج عن الطبع، والأدب مع الشرع، وأتبعه حيث
سلك، والشعاع انشائي والنداء الكلامي هذا النداء العصال العلم، بشرط التوحيق، فإذا اجتمعا فلا
حائل بينك وبين التحقيق. كما في شرح الحكم الكردية لشرقاوي (ص ١١٩).

فالشريعة باب لا يدخل منه من لم يكن متبعاً للشريعة، فهو في دركات الفطيرة^(١).
 كيف يتيسر الوصول لمن يخالف ما جاء به الرسول ﷺ وشرف وكرم.
 فكل من خالف طهر من الأحكام فهو زنديق ولا يتمسك له بكلام.
 وإياك أن تفرح على من لا تراه ذا اتباع للقدم المحمدي.
 فإن كان من أهل الجذب والتولة فدعه وحاله فإنك لا تدرك مقامه، ولا تدري مرامه،
 ولا تعرف ما يشير إليه ممن هو غائب عنك، مسلم له حاله، فإن الإيمان بالعيب من
 صفات المؤمنين (لا إذا كان ما جاء به يكره طهر الشرع ولا يقبل تأويلاً فارم به، فإنك
 ما كلمت بقبوله، هذا إذا كان ما طهر لك على يد محدوب مسلوب الاختيار^(٢).
 وأما إذا كان ذلك من عارف كامل شهد بمعرفته أهل المعرفة والوجدان، وإذا أقرت

(١) قال أبو بكر الرافق: كان سب دهب بصري، أتى حرجب في وسط أسنة أريد مكة، وفي
 وسطى مصف جل، وعلى كعبي مصف جل، مرمدت إحدى عيني، فمسحت الدموع بالخل.
 ففرح الممك، فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وفرحتي، وأما من سكر لؤاذني لم أحسن
 به. وإذا أترب الشمس في يدي فلسها، ووضعها على عيني رضاء مني بالداء، وكنت في أنيه
 وحدي، فخطر بعني أن عدم الشريعة يباين علم الحقيقة، فهتف بي هاتف من شجر النادية: يا أبا
 بكر كل حقيقة لا تبعها شريعة فهي كفر.

وقال الشيخ ابن طهيف: التصوف: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومعارضة الطبيعة وإحصاء
 صفات البشرية، ومحاربة الدواعي النفسانية وموازلة الصفات الروحانية.

والتعلل بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمديه، والصح لجميع الأمة، والنواء لله
 تعالى عن الحقيقة، وإسراع الرسول في جميع الشريعة. وانظر: كتابا الحميد (ص ٥٦، ١١٩).

(٢) والمحدوب جمع محدوب، وهو من صادفته حدة إبطية، وهي كما قال بعضهم: تقرب العبد
 ببعض الصاية الإلهية، مهتماً له كل ما يحتاج إليه في هي الممارس إلى الحق بلا كعفة وسعي.
 انتهى.

بكل حذبة من جذبات الحق نواري عمل المتعبين، ولها علامات فنية يعاينها السالك بطريق
 الوجدان، ويتأكد ذلك بأن يرى نفسه طائرًا أو في السماء أو غير ذلك.

وأهل الجذب على ألسانهم كما أن أهل السلوك كذلك:

لهمهم بمحبوب سالك.

ومهم: محذوب فلم له الجذب.

ومهم: محذوب وقف بعد سيرة.

والأول: هو الذي يصلح للإرشاد لمعاينة مآزل المسائرين من الرجال في حال سلوكه بخلاف
 غيره، وبعضهم يكشف له في هبة واحدة عن مبادئ السلوك بعرف حقائقها، وهذا عبد اعنى
 الله به بعبه شامخاً عادته إليه. وانظر: شرح الحكم الكردية لشيخ الشرفاوي (ص ٩٧) بتحقيقها

يعلم مشربه أهل الاطلاع بالكشف والإيقان، فسلم له ما يقول.

وإن ما عه فملك القاصر لصيق عطف، وقلة نظر، وعده تبحر في السعة، وتوسع في الشرب من عين العنة؛ لأنه لا يطلق إلا عن دوق صحيح، لكن عاب عك من أين ما حنته لذلك، فالتسليم في هذا مطلوب لتلا بفع المكر في الحرمان؛ لأن من أكر شيئاً حرم بركة ذلك الشيء، ولا يمكنه الوصول إليه.

فالخاص أن كل من لم يتمسك بما جاءت به الشريعة المحمدية فهو جاهل ناقص المعرفة بصاحب الملة الحيمية فاعرف قدر ما نهتك عليه، والزم حتى الشريعة تصل إليه والسلام.

ومنها عند قوله فيها ﷺ:

(ومن أوصاهم ألا يقول أحد منهم لي ولا متاعي. ولا كتابي ولا ثوبي؛ لأن العبد لا ملك له مع سيده). انتهى.

قال الشيخ أيداه الله:

إذ الملك لله وسعة ما بأيدينا لنا بسعة محاربة بل ليس لنا ملك، ولا فعل ولا حول ولا قوة إلا بالله فكيف يدعي العارف بمقام توحيد الأعمال ملكاً لشيء أو فعل ذلك بحال، وإنما إضافة الأشياء لنا إضافة معنوية لا حقيقية.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

فأثبت لنا قتلاً وهذا من طريق الظاهر، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَلَمَّ تَفْلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا من طريق الحقيقة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١].

فأثبت لنا ملكاً على طريق المجاز مع إنه تعالى المالك الحقيقي.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فمن كان مشهده الظاهر^(١) بأذن له الشرع في أن يسلم ما بيده لغيره، فإنه ملكه وله المددعة عنه، ومن كان صاحب هذا المشهد عند المحققين صاحب حال، وأما صاحب المقام فهو وافق مع الشريعة المطهرة، وإن كان صاحب الحال أيضاً مستنده في عدم المع الشرع، لكن الوقوف مع ظاهر الشرع صفة المحققين من أهل الطريق.

ثم اعلم أن العارف بالله ميت بين يدي عاسل لا حركة له إلا بره، واقف في مقام

(١) الظاهر: هو المفعول والمفعول من العلوم الشائعة التي تكون بها الأعمال المصاحبة.

التسليم له تعالى وعدم الاعتراض عليه في أمر ما، وكيف ينكر فعلاً من الأعمال وهو لا يرى غيره تعالى فاعلاً، ولهذا كان العارف بهذا المقام إذا أعطى من الوجود ما عسى أن يعطى، ثم يسلب منه جميع ما أعطى لا يتعير له من ذلك شعرة إذا الذي أعطى هو الذي أحد، والوكيل إذا أحد صاحب المال منه ماله عسى لا يقول له لأي شيء أخذته؟ إذ هو ما أحد إلا ما هو له، ولو لأمه في ذلك لعد منه العقل ذلك الملام حينئذ حتى ولو سبوا مقاماً ما كانوا فيه لا يصحرونا من نفلهم عنه إلى ما هو دونه إلا عن رلة، فإنه إذا كان عنها ربما لا يعود إلى المقام الذي أخذ منه؛ لأنه قد أخذ بالجلال.

ولهذا قال بعضهم: هموت هموة مطردت وكان لي مع الله بعض حال فم أجد بعد إلى الآن، وأما إذا كان السلب لا عن رلة فإن ذلك إما للاختيار أو لترقي المسلوب السلب إلى ما هو أعلى مما سلب، أو لسر يحيى عن المسلوب في وقت سلبه، فإذا أسلم سلم، وقد تكون الرنة لترقي مرتبة صاحبها فإذا أدب ربما حصل له ندم، وذلل، وانكسار فيكون دله وانكساره ويندمه موجة له الترفي عما هو فيه إلى ما هو أعلى منه، بل لو استقام في مقام الانكسار، والذل لكان أعظم مما كان فيه لأن مقامات الانكسار، والذل أعظم مقامات العبودية ولكن إذا نادر فلا يقاس عليه، ولا يقترب به دا حرجاً وعليه قول الفاتل: وربما صحت الأحسام بالعلل وكذا إذا سلبوا حالاً ومهماً فهم مع رهم على بساط التسليم والانقياد لا يعترضون في أمر من أمورهم، ولا فعل من أفعاله، ولا حكم من أحكامه والسلام.

ومنها: أيضاً عند قوله فيها:

(ومما يجب عليهم القيام بشروط الطريق الثمانية قياماً كلياً وهي الصمت، والجوع، والسهر، والاعتزال، ودوام الطهارة طاهرًا وباطنًا، ومداومة الذكر^(١)) ونهي

(١) قال الشيخ ماء العينين في فضيلة الذكر: وأما الذكر: فقد ورد به من الأحاديث كثير، ومن الأسماء كذلك، ويكفي من ذلك قوله ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً» [الأحراب: ٤٦]، وقوله ﷺ: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» [البقرة: ١٥٢].

قال الشيخ عبد القادر الجليلي، فعسا الله بركاته، في كتابه «الغية»: اختلف العلماء في ذلك: فقل ابن عباس رضي الله عنهما: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله تعالى: «والذين جاهدوا لينا لشدائهم مبلى» [العنكبوت: ٦٩].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله تعالى:

وقيل: اذكروني باهد والثناء اذكركم بالعطاء والحرارة.

وقيل: اذكروني بالثوبة اذكركم بفقران الخوبة.
 اذكروني بالدعاء اذكركم بالمطاء.
 اذكروني بالسؤال اذكركم بالتوال.
 واذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة.
 اذكروني بالندم اذكركم بالكرم.
 اذكروني بالمعلومة اذكركم بالمغفرة.
 اذكروني بالإرادة اذكركم بالإفادة.
 اذكروني بالثقل اذكركم بالثقل.
 اذكروني بالإخلاص اذكركم بالإخلاص.
 اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكروب.
 اذكروني بلا نسيان اذكركم بالإيمان.
 اذكروني بالاعتذار اذكركم بالاعتذار.
 اذكروني بالاعتذار والاستغفار اذكركم بالرحمة والاعتذار.
 اذكروني بالإيمان اذكركم باليمان.
 اذكروني بالإسلام اذكركم بالإكرام.
 اذكروني بالقلب اذكركم بكشف الحجب.
 اذكروني ذكراً ثانياً اذكركم ذكراً ثانياً.
 اذكروني بالانتهال اذكركم بالإعصال.
 اذكروني بالتدليل اذكركم بسفرة الليل.
 اذكروني بالاعتراف اذكركم بمحو الاعتراف.
 اذكروني بصفاء السر اذكركم بصفاء السر.
 اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق.
 اذكروني بالصبر اذكركم بالعفو.
 اذكروني بالضعف اذكركم بالشكر.
 اذكروني بالكبر اذكركم بالنجاة من السحر.
 اذكروني بترك الجفاء اذكركم بحفظ الوفاء.
 اذكروني بترك الخطأ اذكركم بأنواع العطا.
 اذكروني بالجهل في الخدمة اذكركم باتهام العمة.

اذكروني من حيث أنتم اذكركم من حيث أنا: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال الربيعي رحمه الله في هذه الآية: إن الله تعالى ذكراً من يذكرك، وذاتاً من يشكرك، ومعدن لمن يكفره.

وقال السري رحمه الله فيها: ليس من عبد يذكر الله تعالى إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب.

وقال سفيان بن عيينه رحمه الله: بصا أن الله يحجز قال: أعطت عادي ما لو أعطته جبريل وميكائيل كنت قد أحترلت لهذا، فقلت هم: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى: قل للطفلة لا يذكروني؛ فهي أذكر من ذكرني، وإن ذكرني (ثأهم أن العبيد).

وقال أبو عثمان النهدي رحمه الله: إني أعجب حين يذكرني ربي، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إن الله يحجز قال: «فأذكروني أذكركم» [البقرة: ١٥٢]، فإذا ذكرت الله ذكرني.

قلت: وهذه الآية أعني: «فأذكروني أذكركم» إحدى ثلاث آيات في القرآن، في كل آية منها مائة قول، الثانية: قوله تعالى: «إِنْ غَدَّكُمْ غَدَاً» [الإسراء: ٨]، الثالثة: قوله تعالى: «هَلْ حَرَّاءَ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، ومما قيل في هذه الأحرة: هل جراء التوحيد عر اجنة: أي جراء من قال (لا إله إلا الله) إدخال الجنة.

ومما قيل في آية: «فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» [البقرة: ١٥٢] ما قدمته من أسير وأربعين قولاً، وحسب لم سمعت يتضمنها من التصويل الذي يقع بآخره في تكميل.

وقال صاحب كتاب مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، وهو الإمام الفخر الرازي: اعلم أن الله تعالى كلّفنا في هذه الآية بأمرين: الذكر والشكر.

أما الذكر: فقد يكون بالنسب.. إلى آخر الكلام المتقدم المنسوب لعرفي وروح البيان.

ثم قال أما قوله: (أذكركم) فلا بد من حمله على ما بين بالموضع، والذي له على ذلك الثواب والمدح وإظهار الرضا والإكرام، وبهجاب المصرفة، وكل ذلك داخل تحت قوله: (أذكركم)، ثم ذكر عشرة أقوال كلها تقدم إلا العاشر منها.

وهو قوله: «أذكروني بالربوبية في الماتحة أذكركم بالرحمة والهداية في الخاتمة»، وهذا القول تكمل ثلاثة وأربعين قولاً أثبت بها في هذه الكلمات.

ثم إني أقول عبر الله لي ما أعمل وما أقول: إن الذي نسي لي في هذه الآية أن قولهم أن فيها مائة قول لعله إما هو تمريض للأذهان، أو أن بعض العلماء ذكر فيها ذلك، والذي يظهر لي أن فيها كثيراً كثيراً غير ذلك، ومما يقرب بك ذلك ويصدقه عندك أن كل حال أو وضع كان فيه العبد ذكر الله ذكره الله بما يطابقه من فضله، وذلك لا عدد له كثرة الأعراض والأغراض في الليل والنهار، وكثرة المصل في جميع الأذهان، إلا إني نظرت في أكثرها فإذا هو لا بد أن يرجع لأحد هذه الوجوه التي تقدمت، إما بواسطة وإما بلا واسطة، والذي يحصى على الأكثر محل الترابط، ومما يصدقه عندك أيضاً قولهم فيما تقدم، فصار الأمر بقوله: (أذكروني) متضمناً جميع الطاعات والمضاعات أكثر من مائة.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود بي فافرحوا وابدكروني لتعموا».

وقال الثوري رحمه الله: (لكل شيء عشوه، وعشوه المارفة انفضاعه عن ذكر الله)، يعود بالله من عقابه دنيا وأخرى.

الخواطر عن القلب، وربط قلب العابد بالأستاذ.

قال الشيخ أبده الله: لأد المشروط لا يتم بدون شرطه، وفي تسميتها شروطاً إشارة إلى أنها كالمروص التي لنصلاه فكما أن الصلاة لا تتم بغير النظارة فلدلك ملوك الطريق لا يمكن بدون هذه الشروط الثمانية حتى قالوا: بذل المريد في طلب حق من أخلاق الطريق روحه لم يكن أسرف في ذلك، وقد قلتُ :

بذل الروح في طلب المعالي يسير للذي يرحو العوالي

ومن يرحو الوصال بغير بذل فذلك ممالك طريق الخصال

فمن أحلّ بشرط من الشروط المعلومة المأمور بها والمندوب إليها وعاقبه ما حصله الرجال من أهل الطريق. فلا يلزم إلا نفسه؛ لأنه هو الخلق المتصّر في طلب ما أرشده إليه عرفوه به، ومن لم يكن في التخلق بجهت هذا فسلوكه في الطريق سداً.

فإن السلوك لا يكون إلا بالخلق في الصفات المرضية، والتخلي بالكفايات النسبية، ومن لم يكن كذلك فليس يسأل، فإن من لم يتأدب بأداب أهل الحضرة الإلهية فكيف يرحو الوصول إلى المراتب العلية فإن رمت القور بالكمال فعليك بصفات الرجال والسلام.

قال أبده الله تعالى في حاشية أخرى عند قوله الخامس ((دوام الطهارة)): (لأنه ذكر قبله أربعة شروط وهي:

الجوع، والصمت، والسير، والاعتزال).

وقيل: إذا حكى الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان ضرع، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه شيطان، يمولون: ما لهذا؟ فقال: قد منه الإنسان، ويعولون من ذلك المعنى فلان مأثور، كما تقول بنو آدم ليس منه الجن: يهتون.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: ما اعرف معصية تقيح من سيئات هذا الرب الكريم. قلت: وذلك لما به من الدلائل الناصحة والآلاء الواضحة التي لا يحصى معها سيئات وما بالقلب، وما باللسان.

وقيل: تذكر احصي لا يرميه الملك؛ لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سرّ بين العبد وبين الله تعالى. وقال بعضهم: وصف لي ذاكر في الأحمه دأبته، فيسما نحن جنوس و(دا) سبع عظيم أفضل، فصره صرة و(هش) مة فطمة، فعنى عليه وعنى، فما اكتفت قلت له: ما هذا؟ فقال: فبشر الله على هذا مسبح كلما دحني صره عن ذكره، جاني معني كما رأيت، سأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وانظر: صيل العبد منه (ص ١٦٢) بتحقيقنا.

فقال: وهذه الشروط الأربعة المتقدمة هي التي بصير بها الأبدال أبدالاً، كما ذكر ذلك سيدي عبي الله قنص الله سره. وأهل الطريق قد راووا أربعة أخرى وهي المذكورة هنا إشارة إلى أن طريقتهم تحتوي على طريق الأبدال، ويريد عليهم نفس صديق في سدوكة من أهل الطريق، واترم ما شرطوه عليه، وقام بذلك قياماً كلياً لا بد وأن يصير من الأبدال. والبدل عندهم هو: من تبدلت أوصافه الذميمة بالحميدة^(١).

(١) قال سيدنا الشوقاوي: (والأبدال): جمع بدن. وهو من له قدرة على أن يقيم غيره بدلاً عنه إذا أراد معارقة محله مثلاً.

قال في الفتوحات في الباب الثالث والسيهين ما مضى: اعلم أنه لما انتقل رسول الله ﷺ بعد أن حرر الدين الذي لا يبدن، وكانت الأرض لا تخلو من رسول حي جسمه يكون قطب العالم الإنساني، أُنهي بعده من الرسل ثلاثة متعاقباً عليهم، وهم زكريا وإلياس وعيسى، وواحد مختلف فيه عند عربنا لا عدداً وهو اختصر عليهم السلام، فهؤلاء الأربعة بالقول بأجسادهم في الدنيا. واحد منهم القطب وثالث منهم الإمامان وأربعتهم أولاد، فالواحد: يحفظ الله الإمام، والثاني: يحفظ الله الولاية، والثالث: يحفظ الله السورة، والرابع: يحفظ الله الرسالة، والخامس: يحفظ الله الدين الحسبي. ولكل واحد منهم في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه، فيتناول كل واحد من الأمة ليل هذه المقامات، فإذا حصنها عرف أنه نائب. فالثاني القطب يعرف أنه نائب القطب، والثالث الإمام يعرف أنه نائب الإمام، وكلما نائب الوتد، فمن كرامة رسول الله ﷺ على ربه أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وارثين مقام الرسالة إلى يوم القيامة.

واعلم أن رجال الله في هذه الطريق هم المسمون بحال الأتاس، فهذا اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة: فمنهم من تجمع له الصفات كلها، ومنهم من يحصل ما شاء الله منها، وما من أهل طبقة إلا وهم اسم خاص، فمنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له.

فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب: وهم الجامعون للأحوال والصفات بالأصالة أو النيابة كما ذكرنا، وقد يوسعون في هذا الإطلاق فيسمون كل من دار عنه مقام ما من المقامات، وانفرد به عن أساء حمته قطباً، وقد يسمي رجل البلد قطب ذلك البلد، وسيمما شيع الجماعة قطب تلك الجماعة، لكن القطب المصطلح عليه الذي يصرف إليه الاسم عند الإطلاق لا يكون في الزمان إلا واحداً وهو الغوث أيضاً، وهو سيد اجتماعه في زمانه، ثم قد يكون ظاهر الحكم في محور الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة السطوية كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعبي، والحسن، ومعاوية، وعمر بن عبد العزيز والمتوكل، وقد يكون لا حكم له في الظاهر، وإنما حكمه في الباطن كأحمد بن هارون السني ونبي يريد السطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر.

ومنهم رضي الله عنهم الأئمة، وهم لا يريدون في كل زمان عن اثنين، أحدهما يسمى عبد الرب، والثاني عبد الملك، والقطب عبد الله قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الحج: ١٥]: يعني محمداً ﷺ، وهذا اسم إلهي يحصر كل واحد من الثلاثة، وإن كان له اسم آخر غيره.

وضع عليه عدد ولادته، والإمامان تلقى بمسجلة التورميرين له، أحدهما مقصوراً على مشاهدته عامه المذكوت، والآخر على مشاهدة عالم الملك. وإذا مات انقطعت حكمة واحد منهما. ومنهم الأوتاد: وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، أحدهم يحفظ الله به المشرق. والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال والتقسيم من الحكمة. وقد يعبر عنهم بالجمال أحد من قول الله تعالى: ﴿الَّذِي يَخْلُقُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ وأنجيل أوتادهم [السا: ٦، ٧]، فكما أن الجمال يسكنها مبدأ الأرض كذلك هؤلاء في العالم، يحفظ الله بهم هذه الجهات، وليس لتسقط عنهم سلطاناً إلا لا دخول له على من آده إلا من هذه الجهات. ومنهم الأبدال: وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليم واحد.

أحدهم: على قدم الخليل.

والثاني: على قدم الكليم.

والثالث: على قدم هارون.

والرابع: على قدم إدريس.

والخامس: على قدم يوسف.

والسادس: على قدم عيسى.

والسابع: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارمون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار.

ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحى، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد العادى، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وبقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال، كما ينظر الحق إليه وهي الغاية عليه.

فما من رجل إلا وله نسبة إلى اسم إلهي منه يتقنى ما يود عليه من المحصرة الإلهية. وسُمي هؤلاء أبدالاً لأن أحدهم إذا فارق موصفاً وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمر يريده في مصحة وقرية كان له القدره على ذلك، يترك شخصاً على صورته لا يشك من رآه أنه عن ذلك الرجل، وبس كذلك بل هو شخص روحاني مقامه مقامه، فكل من به هذه القوة فهو من الأبدال.

أما من يقبض الله بدله شخصاً لأمر ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى فهم: (فلان على قدم فلان) أنه مثله في عيونه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية بما ترد على القلوب، وكل علم يرد على قلب الشخص الكبير من مناجاة أو رسول فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.

وقد يقولون: (فلان على قلب فلان)، ومعناه: ما ذكر: أي يتقلب في عيونه ومعارفه.

وقد تطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمون أيضاً الرحيمين، وهم رجال لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثِقِيلًا﴾

[انمرمل: ٥]، سُمُّوا رجبين؛ لأنَّ حاضه لا يكون هم إلا في شهر رجب من أوله إلى انقضائه، ثم يعتقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السد. وقيل من يعرفه من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضاً، فمنهم باليمن وبالضام وبديار بكر.

ومنهم رضي الله عنهم القباء: وهم اثنا عشر نصياً في كل زمان لا يريدون ولا يقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجاً؛ كل غيب عنهم بحاصه برح منها، وقد جعل الله بأيديهم عبود المشرقة، ولهم استخراج حيايا النفوس وغوايتها، ومعرفة مكرها وحداها، وإبليس مكشوف لهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض، ولو حجرة علم أنها وطأة سعيد أو شقي، كالعلماء بالآثار والقيامة إذا رأوا صاحب ذلك الآثار عرفوا أن الآثار له، وبأديار المصرية منهم كثير.

ومنهم رضي الله عنهم النجباء: وهم ثمانية في كل زمان لا يريدون ولا يقصون، وعليهم علامة اقبول من أحوالهم تطهر عليهم، وإن لم يكن لهم فيهم اختيار، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو موافق، لا من هو دوسم، وهم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة والإدراك ولهم القدم المراسخة، وعلم تسير الكواكب من جهة الكشف والاضلاع، لا بالطريق المصنوعة عند الصماء بهذا الشأن، فهم حائرو عدم الثمانية أفلاك في كل ذلك كوكب، والصفاء حاروا عدم الفلك التاسع.

ومنهم رجال الفتح: وهم أربع وعشرون في كل زمان لا يريدون ولا يقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتح من المعارف والأسرار، وحلهم الله تعالى على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم، فكل من فتح الله عليه شيء من العلوم من ساعة من ساعات كان مدده من رجل تلك الساعة، وهم معروفون في الأرض لا يحتمون أبداً، كل شخص منهم لا رة مكانه لا يرح عنه، فمنهم اثنا عشر، وأربعة بلاد المشرق، وستة بالمغرب، والباقي في سائر الخبايا.

ومنهم رجال الغيب: وهم عشرة لا يريدون ولا يقصون، أهل خشوع لا يكلمون الناس إلا همساً لعل له تحلي المرحس عليهم دائماً في أحوالهم، وهم مستورون لا يعرفون، حتاهم الحق في أرضه وسائه ملا يباحون سواه ولا يريدون غيره، دأهم أحياء، إذا سمعوا أحداً يرفع صوته في كلامه نرعد من الصميم، ويحجبون من ذلك؛ لأنهم محببون أن لا تحلي الذي أورث عندهم الخشوع والحياء قائم بكل أحد.

وقد يظنك رجال الحب على من ينجب عن الأنصار من الإس، وقد يطلقون على رجال من الجس من صاحبي مؤمبيهم، وقد يطلقون على الذين لا يأخذون شيئاً من العلوم والبرق المحسوس من احس، بل يأخذون ذلك من الغيب، ومنهم ثمانية عشر ظاهرون بأمر الله عن أمر الله، فانمون بحقوق الله، يحبون إظهار الطاعات وحرق العوائد، وكـ الشيع أبو مدني منهم، فكان يقول لثلامده: أظهِروا للناس ما عندكم من المواقفة كما يظهرون بالمخائفة، وأظهِروا ما أعطاه الله من نعمه الظاهرة: يعني حرق العوائد، والباطنة: يعني المعارف، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

وهذا المرید إذا تحقق هذه الأوصاف الأربعة وما تنجمه يكون قد نال من هذه الصفة الدلية، فإن كان مرادًا لها وقف عندها، وصار من أهلها وإن كان مرادًا إلى ما هو أرفع منها تخطاها، وصار في ما هو أرفع منزلة منها.

وبعض المريدين من يقيم في مقام الدلية أمانًا وأكثر، ويرتحل عنها إلى غيرها إلى أن يصل إلى مقام الفردية.

وبعضهم لا يكون له ذلك بل يكون ملائمتي الشرب لا يقف عند مقام ولا حال، بل لا يزال في سير وارتقاء إلى أن ينتهي أحله المحتوم، وينتقل إلى الدار الآخرة وقد حصل من المقامات، والأحوال، والعلوم ما قدر له في الأزل أن يناله والسلام.

ومنها عند قوله فيها:

(وأجمعوا على أنه ينبغي للمريد أنه إذا ذكر الله تعالى أن يهتز من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حال يستدل بها على أنه صاحب هبة يرجى له الفتح عن قريب).

قال الشيخ أبده الله:

واستدل بها أيضًا على أن صاحب شوق وعزم يس يدكر وكل ما كان شوقه وغرامه أكثر كان ذكره لمحويه أكثر، وكل ما كان ذكره أكثر كان فتحه أكثر، وكل ما كان فتحه أكثر كان تمكنه في المقامات أكثر، والتمكن فيها دليل على الرجولية، وهي لا تكون إلا عن امرئ: إما لمحبس الجود، أو بمكانة شديدة مقرونة بالعناية الإلهية، والتوفيق الأروبي فعلم أن ذكر الحق تعالى بالشوق، والعزم، والهمة الزائدة له مريد تقرب وإمداد من ربه تعالى.

من أحب مولاه أكثر من ذكره، ولكن مع المرافقة للمذكور، واليه فيه عن الذكر، فإن التذكر إذا كان دائم الذكر، أوزنه الذكر العينة في المذكور وهي المقصودة منه، فإذا غاب التذكر عن الذكر في المذكور يوجب الحق عنه في ذكره، فيكون الحق ذاكر لنفسه بنفسه.

ويكون الحق في هذا المقام هو التذكر والمذكور فباب الحق هنا عن العبد عن ربه عند قوله في الصلاة: ((سمع الله لمن حمده))، وإن كان التذكر بحس طاهر العبد، فإن الحق

رَبَّنَا فَحَدِّثْ [المحج: ١١]، وقال رسول الله ﷺ: «التَّحَدُّثُ بِالْمَعِ شُكْرٌ» انتهى.

هذا ما أردت إيراده من كلامه، وقد ذكر طوائف كثيرة رضى الله عنهم، وذكر أن جميع هذه الطوائف قد يكون فيهم لسان، لكن يغلب ذكر الرجال عليهم، انتهى.

تعالى هو الناطق في ذكره على لسان عبده.

ويؤيد هذا ما ورد في الحديث القدسي:

((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به. ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)).

وهذه الحانة هي نتيجة عن الذكر ودوامه، وتُسَمَّى بالعناء والسحق، والمحق، والطمس والعبث فمن عرف قدر هذه المرتبة، وأراد أن يدوقها من نفسه، فلينجد الذكر المنقش به عن الأستاذ العربي.

ومما عند قوله فيها أبدى الله: (وأن يبادروا في الأعمال الصالحة ولا يمهلوا وقت العبادة إلى غيره لما فات لا يعود).

قال الشيخ عفا الله عنه: مما فات الآن من الأعمال لا يمكن قصاؤه عن الماضي أو اليوم الداهب، فإن أمس الداهب لا يعود أبدًا فصار في العبد غاية حتى يُقال في المثال: أبعث من أمس، فالعبد في كل أب مكلف بالقيام بالأوامر الإلهية، فإذا أخرها لأن بعده، مما يفعله في الآن الثاني هو ما وجب عليه فيه لا قضاء عن ذلك؛ لأن الماضي لا يعاد فإن فرض الوقت متقدم فرض مضى، ولقد قلت في معنى بعد الأُمر:

وكنيت وحيي مثل عبي وحاجبي قريبين في المعنى كذلك في الحسبي

ومد فرقي الزهر المشتت بسا غلبونا كما قد قيل أبعث من أمس

ومعنى أن ما مضى لا يُعاد، ومن قال يتدارك ما فات فإن مراده بهصر همة السالك لكي يتدارك ما بقي فعسى يصلح الثاني يصلح الأول، وأما النفس الداهب فقد أخذ نصيبه ومضى، وأما الآتي فإن العبد إذا لم يتداركه باحضور فيه والمراقبة لتمدد المودع عنده فإن حظه مه ومضى كما مضى غيره، والأنفاس والإثبات متراحمة الوجود على العبد لا تقصي إلا بالقضاء الأجل المحتوم، فإذا فات الأول لا يمكن قصاؤه في الثاني، فإن قلت لأي شيء إذا فاتنا صلاة من الصلوات ومضى وقتها وجب علينا قصاؤها في الثاني، فلنا كان القياس عدم القضاء كما هو مذهب بعضهم، لكن لما ثبت القضاء بالأحداث الصحيحة، قضينا ما فات على طريق التعبد لا انقياس، وأيضًا فإن قصاؤنا لما فات من الصلوات والقيام وغيرها من العبادات إنما هو إثبات ما للصورة التي كما توقعها في الوقت الأول وليست هي عيبها، ولو كانت كذلك لما كان الأداء يريد على القضاء، وإنما

(١) رواد البخاري (٢٣٨٤/٥)، والبيهقي في الكبرى (٢١٩/١٠).

رأينا أن ما وجب علينا في الوقت الأول معنى أوقعنا بطبره في الوقت الثاني رجاء من الحق تعالى أن يجعل ما قصناه في الوقت الثاني في مقابلة ما فات في الوقت الأول.

فمن جد في العبادات بعد التعريط لا يمكنه تداركه أوقات التعريط، نكس الله إذا قل عبداً من عباده ثقيل منه الحسرات، وبذل السيئات، فصارت كل أوقاته التي مضت في التقصير طاعات فافهم، والله أعلم.

ومنها عند قونه فيها: وأنهم لا يأتون بكلام العدل من أهل العدل، ومن لم يسلك الطريق ولا ذاق حلاوة التمييز، والجمع، والتفريق .

قال الشيخ أيده الله: لكل مرید أثر فيه كلام الأعيان، وما إلى به عن اشياء في الطريق إلى القرار، فذلك لا يصلح أن يكون من أهل الأسرار، ونسبها من حضار الأخطار، فإن من لم يستهون الصعاب، ويستعذب العذاب فليس هو من الصادقين في سلوك طريق المقربين، ولا عرف قدر ما هو ضائب له، فإنه لو عرف ذلك لاقبح في طله المهالك، ولا جعل أدبه، وعاء لكلام العناء، ولو علم أنه يال مسبه الرداء لتحققه بأن ما هو طاليه لا بد نه منه، ولا يمكنه الرجوع عنه هذا نعم يدق من شراب القوم بل هو مطروب بالسماع ولم يكشف له بعد القناع.

كما قال سيدي عمر بن الفارسي قدس الله سره العزيز: مفصفاً عن حاله في بديع مقال، ويطرب من لم يدرها عند ذكرها كمشتاقي يعنى عنه كل ما ذكرته نعم، وأما من ذاق ولاحت له لوائح ذلك المقام، ثم خاف من سطوة الغيرة، وميدية القواطع عن إضام السير فذلك ذليل على عدم صدقه في أوائل الدخول؛ لأنه لو كان صادقاً ما ألواه عن مرامه مدلول، ولو كان في مطالبه قائماً بوطائف الأدب^(١) ما مال، ولو داره إلى ما هو

(١) قال الشيخ الشرفاوي: قال الحداد رحمه الله: التصوف كنه أدب، ولكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن صلب شيئاً منها فهو بعيد من حيث يقرب القرب، مردود من حيث يطمئ القبول. وما أماء أحد لأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، ولا باصاً إلا عوقب بباطناً انتهى. وقال شيخ الشيوخ أبو مدين قدس الله سره: ومن لم يأخذ الأدب عن المؤيديين أسد من نعه، فلا ينتفع به إلا أن أخذ عنهم.

وفي الحديث: أدبي ربي فأحسن أدبي . قال العراقي: أدبه بمثل: «أخذ العفو» [الأعراف: ١٩٩] الآية، وما وصل الأولياء إلى الله تعالى بكثره العمل بل بالأدب، وبه تنال السيادة في العباد حيث ما سار في البلاد.

قالت أم مالك لما وجهته بالأخذ عن ربيعة: حد من أدبه قبل علمه، انتهى، وانظر: شرح الحكم المكرمة (ص ١٤٨) بتحقيقنا.

طالبه إلى المطب.

ونقد شاهدنا بعض المريدين ولو كملوا الأساء لم يتحققوا في التمسى بل ولا عرفوا حقائق الأمور، ولا شربوا من كأس الحضور، وهم إلى الآن بالخلق محبوسون، وفي الدنيا راعبون، فإذا كانوا في الزهد لم يتحققوا، وهم في أول درجة من درجات الطريق فكيف يطمعون في نيل مقامات التحقيق؟

فإن قلت: فهل ترى بذلك من سب؟ فإن الحجاب للمريد ممن هو مثل هذا عجب. قلنا: نعم السب الداعي لذلك أن غالب الطلاب في هذا الزمان إذا أخذوا الطريق لا يأخذونه إلا ليعرفوا ما حصى عنهم فيه، وليلبسوا الكسوة، وليتمموا الأساء، ولعبر ذلك من المقاصد المعلومة التي ليس فيها إخلاص، بل أعمال لعبير الله فكيف تتمر أعمال مثل هذا الإخلاص؟ ثم أنهم إذا دخلوا الطريق يجدون أياماً يستنهبوا فيها نفوسهم، ويقولون لها: جدي يسيراً فإن إذا تحققت ما عليه أهل الطريق رجعنا إلى الكسل والبطالة فيجدون أياماً قبيلة من أيام الطلب فإذا لاحت عليهم بارقة من بوارق الطريق قالوا قد وصلنا، وحكموا لأنفسهم بالوصول مع أنه من شهبه نفسه فما وصل، وما عرف فإن الوصول لا يكون إلا محدود، وتعالى الله عن المحدود.

ونقد أنشد سيد عمر بن الفارسي قدس الله سره:

وكنيت أحسب أنني قد وصلت إلى أعلى وأعظمى مقاماً بين أقوامي

حتى بداني مقام لم يكن أربى ولم يمر بأفكاري وأوهامي

فكم من سائل ظن أنه في الحاصل وهو في الفائت، وإذا قامت الطائفة: الوصول فمرادهم: القرب من حضرات الحق، فهذا حال غالب على الطلاب.

وأما القليل من أهل السلوك فلهم إذا سلکوا في الطريق، ويطروا إلى أحواله ونما بأمر به أهله من الأعمال والأخلاق، فيرونها كلها موافقة للكتاب والسنة مأموراً بها، ويقولون لعنفسهم هذا الطريق هو المقصود الموصول، فإياك يا نفس أن تظلي عنه براحاً فإنه من مائل عنه فقد ضل؛ لأنه طريق المصطفى ﷺ الذي كان هو وأصحابه عليه، فما عنه من عجب فيتمسكون فيه جهدهم، ويسبرون على حسب حالهم، فإذا كشفوا مهماً كشفوا لا يزيدهم ذلك إلا اتباعاً، وثباتاً في الطريق، وعبية في أهله، واعتنى به.

وأما الفريق الأول فقد يقع إذا منك أحدكم على سبيل الاختيار والاستكشاف لله، وضر له بعض أمور، ورأى أنها هي الحق انصرف، وعرف أن طريق انقوم هو الطريق المقرب إلى الله، ورجع عما أصبره من الرجوع بعد التفريط. وجه وجه الحرم، وأحد

يسير في سبيل الحرم، وعرف قدر ما هو سائل فيه، وأقبل فقبل ما كان المهوى يريده.

ومها عند قوله فيها عما الله عنه: (وليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه في تقديمهم له، وإياه وحب الرئاسة فإنها سبق قاطع يقطع ظهور المرئيين الذين ليسوا بصادقين، وإن الرئاسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك).

قال الشيخ أيده الله:

أي لأن الرئاسة سيادة، والسيادة ضد العبودية، والكاملون لا يخرجون عن مشهد العبودية بحال؛ لأن مقام العبودية أشرف المقامات.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

فلو كان ثم مقام أشرف منها؛ لوصف به سبه ممن طلب التقدم على الأقران فقد عرض نفسه للبلاء من مدارات من تقدم عليهم، والعسر على ما يحالفون به، وردتهم بالحسنى إلى ما يوافق الطريق، وليس للمتقدم أن يتمير على من قدم عليهم من إخوانه، فإنهم قالوا: التتمير من إخوان الشيطان، ثم إن كانوا إخوانه قدموه، أو قدمه الشيخ، فيرى نفسه أنه لا يصح لتقدم إلا من لم يكر في القوم أرفع منه وهو يرى نفسه أنه دونهم يبقين من نفسه، فإن كل إنسان يعرف ما فيه من الذنوب أكثر من غيره، وإذا كان يشهد نفسه دور المتقدم عليهم وهو أعلى منه ثم تقدم عليهم فقد أساء الأدب مع من هو أعلى منه هذا إن تقدم بنفسه، وأما إذا كان معهوراً في تقدمه فلا بأس عليه في ذلك التقدم.

ولقد قال بعض العارفين: إن من أمر بالتقدم والظهور كثيراً فليزهد في تقدمه، فإن ذلك أولى في حقه، وإن كان بأمر محتم، فليتقدم فإنه ليس للعبد يتأخر عن ما أمر به على سبيل الوجوب.

ونقد نفل سبدي محيي الدين فنس الله سره المتين في فتوحاته أنه قبل لأبي يزيد السطامي: أخرج إلى خلقي بوصمي، فلما خطا خطوة ضعف، فقبل: ردوا علي عيدي فلا صبر له عني مع كونه خرج بالأمر.

وكان أبو العباس الموصي رحمه يقول: ما جلست للناس حتى هددوني بالسلب.

فهكذا ينبغي للعبد يزهد في الركافة حتى أنها لو عرضت عليه لا يقبلها خوفاً من غوائل نفسه ودسائسها.

ولقد قال بعض السادة الصالحين:

آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، فحب الرئاسة داء دفين؛ لأن النفس تطهر لصاحبها عدم الميل للتقدم؛ فإذا حصل لها ذلك تطهر كراهيتها له، وأنها مقهورة فيه، ودليل من ليس له رغبة في الرئاسة، ولا ميل لو أنها زالت عنه أو عُزل عنها عزلًا مؤثماً لا رجوع فيه إليها لا تخفى منه شعرة بل يفرح بذلك.

قال في ((الحكم)): ^(١) «ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يُدفن لا يتم نتاجه» ^(٢).

(١) يعني الشيخ ابن عطاء الله في الحكم.

(٢) قال الشيخ ابن عحية: النفس هي النخلة والنسر. والخمول سقوط لتسيرة عد الناس. ونتاج الشجرة ثمرتها أسعرها للحكم والمواهب والعلوم التي يجنيها بعدد من المعرفة بالله، وذلك عند موت نفسه وحياء روحه.

قلت: استر نفسك أيها المرید وادفنها في أرض الخمول حتى تنأس به وتستعليه، ويكون عندها أحلى من العسل وبصير الظهور عندها أحر من الحطيل، فإن دفنتها في أرض الخمول وامسدت عروقها فيه، فحينئذ تنمي ثمرتها، ويثم لك نتاجها وهو سر الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص، وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول وتركبتها على ظهر الشهرة جوارح ماتب شجرها أو أسقطت ثمرتها، فإذا جرى معارفون ما عرسوه من حبات معارفهم من العلوم، وما دفنوه من كنوز الحكم وعناوين الفهم بقيت أنت فقيراً مائلاً أو سارقاً صائلاً.

قال سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه: أين تبت الخبز؟ قالوا: في الأرض.

قال: كذلك الحكمة لا تبت إلا في قلب كالأرض. انتهى.

وقال بعض العارفين: كلما دبت نفسك أرضاً أرضاً ما فلك سماء سماء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رُبَّ مُشْعَبٍ أَعْبَرَ دِي ضَمِيرٍ لَا يُؤْبَهُ بِهِ، تَبَوَّأَ عَنْهُ أَحْيَى النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ فِي قَسَمِهِ».

وكان عليه الصلاة والسلام جالساً مع الأقرع بن حابس كبير بني تميم فمر عليه رجل من فراء المسلمين فقال: يا أقرع بن حابس: ما تقول في هذا؟ فقال: هذا يا رسول الله من فراء المسلمين حتى إن حطبت أن لا يروح وإن استأذن أن لا يؤذن له وإن قال أن لا يسمع به ثم مر بهما رجل من المتروكين فقال له: يا أقرع بن حابس: ما تقول في هذا؟ فقال: هذا حقيق إن حطبت أن يروح وإن استأذن أن يؤذن له، وإن قال أن يسمع به فقال له: يا أقرع بن حابس: «هذا يعني الفقير خسر من ملء الأرض من هنا».

وفي مدح الخمول أحاديث كثيرة ومضائل مشهورة، ولو لم يكن به إلا الراحة ومراعاة القلب لكان كافياً.

وقال بعض الحكماء: الخمول لعمدة النفس تأباه والظهور لعمدة النفس تنواه.

وقال آخر: طريقنا هذه لا تصلح إلا بقوم كسبت بأرواحهم المرائل.

قلت: ويجب على من اتلى بالخاء والرباسة أن يستعمل من احراب ما يسقط به حاحه وإن كان مكروهاً دون الحرام المنفق عليه بقصد الدود، كالسؤل في الخوايب أو اديار وكالأكل في المسوق، وحيث يراه الناس وكاترقاد فيه، وكالسقي بالقرب، وحل الربل على الرأس بوقاية. وكامشي بالخاء وإظهار الحرم والمحل والشح، وكليس المرفعة وتعليق السمعة الكبيرة وكل ما يتقل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام.

قال النبح رروي يث: وكما لا يصح دفن الررع في أرض رديئة لا يحور المحمول بحاله عبر مرسنة، وقياس ذلك بالهنة لا يصح لأن موت الحياة الحسية مانع من كل خير واحماً ومسدواً وتوبيخ مع إمكان إيقاظه عزم إحصاء بقوله تعالى: «وَلَا تُفْنُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى تَهْلُكَةٍ» [البقرة: ١٩٥] بحلاف المحمول لا يموت به شيء من ذلك إنما يموت به الكمال، وهو بقي الخاء والمنزلة وأصله الإباحة. انتهى.

واحباب محصيه بأن إذا جار يموت الحياة الثانية فأولى أن يحور يموت الحياة الدائمة وهي المعرفة فتأمل، وقصة لمن الحسام تشهد له، والله تعالى اعلم، ولقد سعت شيخنا رحمه يقول:

المفسر الصديق: يقتل نفسه بأدى شيء من المباح، وتفقير الكذاب: يقع في الحرم ولا يقتلها. وكان كثيراً ما يهوى عن الأحوال الظلمانية، ويقول: عدنا من المباح ما يحا عن الحرم والمكروه وأما السؤال فلما هو مكروه أو حرام لقصد قوت الأشباح مع الكفاية أما لقصد قوت الأرواح فليس بحرام. وقد ذكر «فسطاطي» في «شرح المحاري»، عن ابن العربي الغفيرة أنه قال: «واحب عسى الفقير في بدايته فاطره، وقد ذكره في «الساحات الأصلية» مستوفى فاطره. وسأني الكلام عليه إن شاء الله عند قوله: لا عدنا بذلك إلى الأخذ من الخلاف الخ.

إن فس: هذا الحراب الذي ذكرت فيه شهره أيضاً إذ المحمول هو الخفاء عن أعين الناس، وهذا فيه ظهور كبير.

قلت: المحمول هو إسقاط المسرلة عند الناس، وكتمان السر الولاية وكل ما يسقط المسرلة عندهم وسفي شهمة الولايه فهو حصول، وإن كان في الحس ظهوراً ولمت كذا شيخنا رحمه يقول: طريقنا منها المحمول في الظهور والمظهر في المحمول.

وقال المحصي في «الإبارة» ما نصه: ومن يعمل من الصومية أن المرفعة شهرة مجواه أن سلمان العامري سمر في ريادة أبي اندرداء من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء عبط عبر مصموم فقل له: أشهرت نفسك فقال: الخير خير الآخرة وإنما أنا عد الس كما ليس العدد فإذا أعفت ليست حلة لا تبلى حواشيه. انتهى.

ومن ذلك قصة الغزالي يث من حملة جلد النور على ظهره عند ملاقة شيخه الحرار وكسبه السوق واستعماله الفرة يسقي الناس كذا سمعتها من الشح مراراً ولم أقف عيباً عند أحد من عرف به. ونظر ما جرى له مع ابن العربي عند فوته: رب عمر سمعت أماده وفنت أماده.

وكذلك قصة المشتري بده، مع شيخه ابن سبعين لأن المشتري كان وريراً وعالماً وآبوه كان أميراً فلما أراد الدخول في طريق الموم قال له شيخه: لا تدخل معها شيئاً حتى تنبع مباعك وتلبس قشاة وتأخذ بديراً وتدخل السوق تفعل جميع ذلك فقال له: ما تقول في السوق؟ فقال قل: بدأت بذكر الحبيب، فدخل السوق بهرب بديره ويقول: بدأت بذكر الحبيب فبقي ثلاثة أيام وحرقت له الحبيب، فحمل يمي في الأسواق بهرب الأذواق. وكذلك قصة الرجل الذي كان مع لبي بيريد السهامي بقي معه ثلاثين مئة فكان لا يقطع غير بحسه ولا يفارقه فقل له يوماً: يا أستاذ أنا منذ ثلاثين مئة أصوم النهار واليوم الليل وقد تركت الشهوات، ولست أجد في لبي شيئاً من هذا الذي تذكر البتة وأنا أؤمى بكل ما تقول وأصنعه.

فقل له أبو بيريد بده: لو صليت ثلاثمائة مئة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة. قل: فلم يا أستاذ؟

قال: لأنك محجوب بنفسك.

قال: أنلها دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟

قال: نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بل أقبل وأعمل ما تقول.

قال له أبو بيريد: اذهب الساعة إلى الحمام وأحلق رأسك ولحيثك وأبرع هذا اللبس وأسرر بعباءة وعلق في عنقك حلالة وأملأها حوزاً وأجمع حولك صبياناً وقل بأعصى صوتك: يا صيد من يصممني صمعة أعطيه حوزة وأدخل سوفك الذي تعظم فيه وأنت على هذه الحلافة حتى يسطر إليك كسل من عزمك فقال: يا أبا بيريد، سبحان الله أيقال لعل هذا وتحسب لبي لعله؟ فقال له: فلو لك سبحان الله خرك. فقال له: وكيف؟

فقال أبو بيريد: لأنك عظمت نفسك فسيحدها.

قال: يا أبا بيريد لست أقدر على هذا ولا أفعله ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله. فقال له أبو بيريد: انذا بهذا قل كل شيء حتى تسقط جاهك وتدن نفسك ثم بعد ذلك أعزمك بما يصلح لك.

قال: لا أطيق هذا.

قال: إنك قد قلت أنك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعد فيما حجب عن العامة من أسرار العيب حتى يموت نفسه ويحرق عوائد العامة فحيثما تحرق به الموائد وتظهر له الفوائد انتهى.

وكذلك قصة أبي عمران البردعي مع شيخه أبي عبد الله التباودي عباس من خلق وأمه ولبسه حلابة، وأحله حبرة مادي عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك، وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المديوب من أكنه ابن عبد أشجار الدس وعالاه بالأسواق وخربه بانقصر مشهور حتى طوفوه بها مراراً، وكذلك قصة سيدي علي العمري، فخرانه عباس مشهور كبار على علم سكن السمليات حتى مات في، وكذلك قصة شيخنا مولاي العربي

والذي صاحب هذا المقام أثار عليه الصلاة والسلام بقوله:
 ((رُبَّ أَسْعَثَ أَغْبَرِ ذِي طَمَرِينَ، تَبَوَّعَهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
 لِأَبْرَةٍ^(١))).

فالمترس مصدر لتتقي كل وارد، ورد كل شارد فالجفاء موطن الصفاء، والجمل إنما
 يحملونه الأتقال لكونه قد اشتهر عنه، قصدوا بذلك.

وقد وقع لبعض الصالحين أنه ضحى مما يقاسيه من إنكار أهل المدينة عليه، وعظم
 أديبهم له، فأتى بحمل له، وصار يحمل عليه أمتعه لقصد المباخرة من تلك المدينة.

فقال صبي: يا عم حمله أيضاً، فإن الحمل يحمل أكثر من هذا، فهم ما في ضمن ذلك
 من الإشارة، ورجع عما كان قاصده من السير والرحلة عن البلد، والصدارة لا يشت
 عليها إلا المحول لكن صاحبها ترمي كل رام له من علام وجهول.

من ليسه الحرارة وسقيه بالمرية وغير ذلك مما هو معلوم بهذه الحكايات تدل على أن الحمل
 ليس هو ما يهيمه العوام من بروم البيوت والغرار إلى الجبل، بذلك هو عين الطهور عند المحققين
 وإنما الحمل هو كما قال الشيخ رروي عنه: تحقيق النفس بوصفها الأدنى وشعورها به أيضاً،
 ووصفها الأدنى هو الدل وكل ما ينقل عنها فمرجه للمحقق بوصف خواصه، ومائدته: حصول
 الفعل وكسب الحقيقة، انتهى.

فإن قلت في فعل هذه الأحوال التمرض لكلام الناس، وإيقاعهم في القية.
 قلت: هذا مبني على القصد والنية وكل من فعل شيئاً من ذلك وإنما قصده قتل نفسه وتحقيق
 إخلاصه ودواء قلبه وهم مساحون من قال فيهم عاذرون له، قال مبدي عني في كتابه. نحن
 نعلم من عقوبنا ونعلم من لم يعذربنا.

وقال الشيخ رروي عنه: في قواعده: قاعدة حكم الفقه عام في المصوم لأن مقصوده إقامة رسم
 مسدين وروسخ ماره وإظهار كسماته، وحكم التصوف خاص في المصوم لأن مقصوده إقامة رسم
 وره من غير زائد على ذلك فمن ثم صح إنكار الفقه على المصوم ولم يصح إنكار المصوم على
 الفقه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه في الأحكام لا في الحقائق، انتهى.

تنبيه: هذه الأدوية التي ذكرنا إنما هي في حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكمل شفاؤه فهو
 عبد الله سواء أظهره أو أخفاه.

وفي مسند إسماعيل الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله من أحب الطهور فهو عبد الطهور ومن أحب
 الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أم أخفاه، انتهى.

ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفس لا يكون في الغالب إلا بالفكرة ولا يتم
 الفكرة إلا بالمرلة، وانظر: إيقاظ المهمل (شرح الحكمة رقم: ١١).

(١) رواه الترمذي (٦٩٦/٥)، وأحمد (١٤٥/٣) بنحوه.

ومنها عد قوله فيها أيده الله: (ومن شأنهم التباعد عن مخالطة الأحداث).

قال الشيخ أيده الله:

لأن مخالطتهم تنفس المرید، والنفس ترخص في معاشرتهم وفي تكرار النظر فيما يحضون به من المحاسن لكونهم رجالاً فيدع المرید الصادق هذه الترخصة ويأخذ بعزيمة ترك النظر إلا عن ضرورة.

ويشغل مذهب السوي في تحريم النظر إليهم خوفاً أن يقع منه فتورفة حسرة، وتؤثر في قلبه، فتصير عشقاً؛ لأهم قالوا: لا يتعلق القلب في غير الله إلا في حال عقلته عن الله كما أنه لا يقع في الشبكة سكة إلا هي غائلة عنه تعالى.

وإذا تعلق قلب المرید بقلب أحد تنشت عزمه، وتفرق منه مسقطع بذلك عما هو طالبه له وتكون النفس قد نالت أرحا منه.

وقد قيل: كم نظرة جلبت فترة، وأعقت حسرة، وأكست قوت بصره، وببقي ترك النظرة الأولى التي هي لك لئلا تقع في الثانية التي عليك.

قال بعضهم: ما اختلى رجل أجنبي بامرأة إلا وكان استيطان نائهما.

وقال آخر: ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان معهما سبعون شيطاناً.

فكيف النظر عنهم وعدم صحبتهم متأكد، حتى لو لم يكن في مخالطتهم إلا ميل القلب إليهم لكفى المرید قطيعة، فإنه مأمور بأنه لا يشغل قلبه إلا برؤيه، وأن يتفرغ للحضور معه، وإشغال القلب بالغير يمنع من جمعة القلب عبه تعالى، ولهذا حذرت الأشياح من صحبتهم خوفاً على الطالب من الافتتان بهم.

ومنها عد قوله فيها: (وكذلك النساء ومواحاتهن والاجتماع بهن كما عليه فقراء هذا الزمان الحسرة):

فقال الشيخ أيده الله: أي على سبيل الانفراد؛ لأن الخلوة بالأجنبية حرام ومواحاتهن على الطريقة التي يجعلها غالب فقراء هذا الزمان من وضع يدها في يده من غير حائل، فذلك لم يثبت في السنة.

بعم ثت أنه يجوز كان إذا أراد مياعة النساء يقول كما روي عن عائشة رضي:

((قد بايعتك كلاماً وما مسئت كف رسول الله ﷺ كف امرأة قها^(١))).

وقيل: لما فرغ من مياعة الرجال يوم الفتح: شرع في مياعة النساء فدعا بقذح من

(١) رواد البخاري (١/٨٥٦)، وأحمد (٢٧٠/٦).

ماء فعمس فيه يده الشريفة، ثم غمس أيديهم.

وروى أنه ﷺ ((بايعهم وبين يديه وأيديهم ثوب قطري))، وقيل: كلف امرأة وقعت على الصفا فبايعهم.

وروى أنه ﷺ ((جلس بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الصفا ومعه عمر بن الخطاب، فعمل معه محمل ﷺ لا يقر على محرم ويقف)) هي ما في آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [المتحنة: ١٢].

ومصافحة سيدنا عمر بن الخطاب حين حضرته ﷺ فيها تصرح بحوارها بحائل، ويُقاس عليها المباحة وليس لأحد من المشايخ أن يسامح بالانفراد ممن يدعي أنها قد صارت أخته، فذلك لا يجوز في الشريعة المحمدية.

والصوفية من أهل الطريق لا الصوفية الذين يتشبهون بهم بحمل العكاز، والسحادة، والمسحة وغير ذلك مما لا يخرجون عن سياج الشريعة أصلاً، ويتبرؤون مما يفعل ذلك من أتباعهم^(١).

(١) وعرفنا الإمام الجنيد التصوف والصوفية بقوله:

سبي التصوف على أحلال شامية من الأبياء عبيد الصلاة والسلام: السجدة وهو لإبراهيم. ومرصا وهو إسحاق، والصر وهو داوود، والإشارة وهي لكرام، والعربية وهي ليعقوب، وليس التصوف وهو لموسى، والسياسة وهي ليعسى، والفقر وهو لعماد بن محمد ﷺ وعليهم أجمعين. وقال: التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع اسماع. وعمل مع اتباع. وقال: إما هذا الاسم (يعني التصوف) نعمت أقيم الصد فيه. فقال أبو بكر الملاحقي: يا سيدي، نعمت للبعد أم نعمت للحق؟ فقال الجنيد: نعمت للحق حقيقة، ونعمت للبعد ومنا. وقال: الصوفي كالأرض، يُطرح عليها كل صبح، ولا يخرج منها إلا كل مبيح. وقال: الصوفي كالأرض يطؤها النمل والعنكبوت، وكالسحاب يفضي كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيء.

وسئل عن التصوف؟ فقال: هو أن يبتك الحق عنك، ويحبك به.

وسئل عن التصوف؟ فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وقال: التصوف هو غنوة لا صلاح فيها.

وقال: لا يكون اعتراف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤها النمل والعنكبوت، وكالسحاب يفضي كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

وقال: ما أحداً التصوف عن القال والعلل، لكن عن الخوف، وترك الدنيا، وقطع مملوهمات، والمستحسبات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله المعروف عن الدنيا، كما قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظلمات ناري.

وسئل عن التصوف؟ فقال: بصفية القلب عن موافقة البرية، ومعارفة الأخلاق الطبيعية، وإحسان الصفات المشريه، ومجاهدة الدواعي البهيمية، ومباراة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الخفية. واسمعنا ما هو أولى عن الأديبه، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة.

وقال: التصوف حفظ الأوقات، وهو ألا يطالع الصد غير حظه، ولا يوافق عمر ربه. ولا يفارق غير وقته.

وسئل ما التصوف؟ قال: لحوق السر بالحق. ولا سأل ذلك إلا عشاء النفس عن الأسباب لقوة الروح والقيام مع الحق.

وقال: الصوفية هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال: إذا رايت الصوفي يفتي بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وقال: لكل أمة صوف، وصفوة هذه الأمة الصوفية.

وقيل للحيد مرة: ما بال أصحابك يأكلون كثيراً؟ فقال: لأهم يحوعون كثيراً. قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوة؟ فقال: لأهم لم يلقوا ضعم الرما يأكلون الخلال. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يظربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يظرب في الدنيا، القرآن حق برل من عند حق، لا يلقى بصفات الخلق. كل حرف منه على الخلق واجب، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله بخفي، إذا سمعوه في الآخرة من فائده أظرفهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والمعاني يظربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين. قيل له: فما بالهم يحرمون من أموال الناس؟ فقال: لأن الله تعالى يرصي لهم ما في أيدي الناس. فلما يعيلوا إلى الخلق، فيقتضوا من الخلق تعالى، فألرد المقصد منهم إليه اختفاءهم.

وسئل فليس الله سره عن الصوفية: من هم؟ فقال: آثره الله في حبه، بحبهها إذا أحب، وبظفرها إذا أحب.

وقال: إذا أراد الله تعالى بالصد خيراً أوقفه على الصوفية ومنحه صحبة القراء.

وسئل الحيد فليس الله سره عن الصوف ما هو؟ فقال: اجساد كل حقي دين، واسمعنا كل خلق سني، وأن تعمل لله، ثم لا ترى أنك عملت.

وقيل لبعض المتكلمين: قد ذكرت الطوائف، وعارضتهم، ولم تذكر الصوفية؟ فقال: لم أعرف لهم علماً ولا قولاً، ولا ما راموه؟ قيل: بل هم السادة، وذكروا به الجسد، ثم أتوا الجسد مسأوه عن التصوف؟ فقال: هو إيراد القديم عن الحديث، والخروج عن النوط، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل. وأن يكون المرء راعياً فيما عند الله، راعياً فيما لله عنه، فإذا كان كذلك خطبه إلى كشف المنوم، والمارة عن الوجوه، وعلم اسرار، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا والله علم حسن، فهو أعدته حتى يكتبه. قال: كلا، من إلى مكان الذي منه بدأ السيان، وذكر مصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إن كان رجل مهذب ما بنيت بالعقل بكلمة من كلامه مبداء فإن كلامه لا يحتمل المعارضة.

وقد نقل عن سيد الطائفتين الجليل البغدادي قدس الله سره أنه أتاه الليل إلى مغارة، وكانت ليلة شاتية، وكان معه حمار فأخرجها من المغارة.
وقال: مغارة، وحمار، وليلة مطارة، ونفس أمار.
فما أس قدس الله سره أن يبيت هو وحمار في مكان واحد مع جلالة قدره وعلو منصبه وكان ذلك منه إرشادًا وتعليمًا وعضًا لنفسه.
فإذا كان سيد الطائفتين لا يأمن على نفسه أن يحتل بامرأة أجنبية فالوقوف مع حدود الشريعة، والتمسك بها من علامات التوفيق، والصد والصد بالصد والله أعلم.
نمت هذه المقدمة بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، ووفقني تمام رقم هذه النسخة الشريفة للطبعة الطريفة في شهر شعبان سنة ١٢٩٦ هـ على يد العبد الحقير الحقير الدليل الكسير المعرف بالذنب، والعجز، والتقصير الراجي عفو ربه الهادي:
أحمد حسن البنهاوي البغدادي الشافعي الأحدي غفر الله له.
اللهم اغفر لكتابها وقارئها ولمن دعا لها بالمغفرة آمين آمين آمين.
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين^(١).

قال الجليل: الصوفية أهل غيب، لا يدخل فيهم غيرهم.

واظر: كتابنا الإمام الجليل سيد الطائفتين (٢٣٩) بتحقيقنا.

(١) كتب هامش الأصل: بلغ مباحثه بحسب الطائفة، بمرور الشيخ محمد مكاوي في ٩ محرم سنة ١٢٩٧ هـ.

فهرس المحتويات

٣	مقدمة التحقيق
٥	ترجمة مختصرة للشيخ المصنف
١٢	مقدمة المصنف
١٥	من أخلاقهم تعظيم قدر المشايخ
٢٩	من أخلاقهم طلب الشيخ القوي
٣٩	من أخلاقهم طاعة الشيخ العربي
٣٥	من أخلاقهم امتثال أمر الشيخ وحيه
٣٥	من أخلاقهم احتمال المرء الأذى
٣٦	من أخلاقهم حود المرء لشيءه
٣٦	من أخلاقهم خوف المرء على شيءه
٣٨	من أخلاقهم قرح المرء بجهل شيءه له
٣٩	من أخلاقهم عدم طمع بصر المرء إلى رفع الإذن من شيءه
٤٠	من أخلاقهم المحافظة على الأوراد
٤٠	من أخلاقهم الاشتغال بالله
٤١	من أخلاقهم تحمل الجوع
٤١	من أخلاقهم الاحتياط في العمل
٤٢	من أخلاقهم التدبؤة على القرآن
٤٢	من أخلاقهم التصديق بالشواهد
٤٢	من أخلاقهم استحضار التقوى هم
٤٤	من أخلاقهم ذكر مناقب إخوانهم في الطريق
٤٤	من أخلاقهم حبيب لتلايد الشيخ
٤٤	من أخلاقهم كراهية من ينادي شيخهم
٤٥	من أخلاقهم مفاسدة إخوانهم في أموالهم
٤٥	من أخلاقهم مفاسدة إخوانهم في حسناتهم
٤٥	من أخلاقهم الشكر على نعمهم
٤٥	من أخلاقهم بغضهم لأهل المناصي
٤٦	من أخلاقهم محبة من يكرههم
٤٦	من أخلاقهم اهتمامهم بصلاح أخيه
٤٦	من أخلاقهم بغضهم للفتنة
٤٧	من أخلاقهم عدم الدعاء على عتوهم
٤٧	من أخلاقهم شهودهم لأنفسهم أقل من غيرهم
٤٨	من أخلاقهم شهودهم الشئ لأنفسهم
٤٩	من أخلاقهم محبتهم لندائهم أسألهم بحدة
٤٩	من أخلاقهم عدم الحسد لإخوانهم
٥٠	من أخلاقهم شهودهم الفعل من الله
٥٠	من أخلاقهم عدم اعتراضهم بحاشهم
٥١	من أخلاقهم عزيم على وفاة من آذاهم
٥١	من أخلاقهم تحمل صوم إخوانهم
٥٢	من أخلاقهم لوم أنفسهم
٥٢	من أخلاقهم تحلم مع جار السوء
٥٢	من أخلاقهم عدم التمثل بالأكابر
٥٤	من أخلاقهم رفع مقام إخوانهم فوقهم
٥٥	من أخلاقهم فناء العلماء بأنفسهم
٥٥	من أخلاقهم كراهية إظهار تفاصلي القبي
٥٥	من أخلاقهم صباحتهم لمن اختلهم

٥٦	من أخلاقهم مساعدتهم للمسلمين
٥٧	من أخلاقهم مراعاة الله بخلوهم
٥٨	من أخلاقهم الاستعداد قبل الانحراف في الطريق
٥٩	من أخلاقهم رياضة النفس
٦٠	من أخلاقهم مراعاة الشيخ
٦٠	من أخلاقهم مخالفة الهوى
٦٠	من أخلاقهم حفظ القلب مع الشيخ
٦١	من أخلاقهم عدم ازدواج الشيوخ
٦١	من أخلاقهم الالتزام بأحكام الشرع
٦٢	من أخلاقهم الشدة مع نفس
٦٢	من أخلاقهم محبة الليل
٦٤	من أخلاقهم الالتزام بظاهر الكتاب والسنة
٦٤	من أخلاقهم العرف عن الشهوات
٦٥	من أخلاقهم الأخذ بعزائم الأمور
٦٥	من أخلاقهم كتمان الأعمال فصاحتها
٦٥	من أخلاقهم الحرص على التواضع
٦٦	من أخلاقهم أن يحصى أحدهم بالعبادة والإقبال على حضرة ربه
٦٧	من أخلاقهم عدم زواج الفريد البندى أكثر من واحدة
٦٨	من أخلاقهم عدم النوم في بيت فيه جنب
٦٨	من أخلاقهم عدم النوم إلا عن غلبة
٧٠	من أخلاقهم عدم تعلق أحدهم من وفروحه في الدنيا له
٧١	من أخلاقهم مخالفة هوى النفس
٧٢	من أخلاقهم عدم الإقامة في موضع يحقده الشئ فيه
٧٢	من أخلاقهم السفر للبحث عن الشيخ
٧٢	من أخلاقهم الصبر عند جماع الشيخ
٧٥	من أخلاقهم مجاورة العفيفات الثلاث
٧٥	من أخلاقهم غرض البصر عن رؤية الصور المستحبات
٧٦	من أخلاقهم العمل بكل خلق سمعه من لعل الطريق
٧٧	من أخلاقهم إخبار الشيخ بالمعصية
٧٧	من أخلاقهم عدم أخذ الآخر إلا عند الضرورة
٧٨	من أخلاقهم عدم الأكل من كسب امرأة
٧٩	من أخلاقهم التباعد عن أبناء الدنيا
٨٠	من أخلاقهم عدم الأكل بالدين
٨٥	من أخلاقهم محبتهم لسنة الخير إلى غيرهم
٨٥	من أخلاقهم عدم احتضارهم لمن كان قليل العبادة
٨٦	من أخلاقهم التحفظ من دخول مقام التوجه
٨٩	من أخلاقهم عيبتهم لتحجير الشيخ عليهم
٨٩	من أخلاقهم التبرد عن الدنيا
٨٩	من أخلاقهم عدم الخروج على الأئمة
٩٠	من أخلاقهم غرض البصر عن زينة الدنيا
٩٢	من أخلاقهم عدم الأكل إلا عند شدة الجوع والعطش
٩٣	من أخلاقهم تقبيل النفس كل ساعة
٩٣	من أخلاقهم علم رؤية النفس أعلى من الفلسفة
٩٤	من أخلاقهم عدم تصدعهم لإزالة منكرات عصرهم
٩٤	من أخلاقهم عدم التكبر من عدم الإذن
٩٥	من أخلاقهم أن يكون أمرهم أمر جد

٩٦	من أخلاقهم الفرح بالحسرة والإغماع بالريح
٩٧	من أخلاقهم مبادرتهم إلى السعي في إزالة الخجل من حليتهم
٩٧	من أخلاقهم عدم سيطرة الشبع بالإجابة
٩٨	من أخلاقهم عدم القور بطلو الصحة
٩٩	من أخلاقهم عدم قناعة أحفهم في المحصور مع الله
٩٩	من أخلاقهم كثرة العمل على جلاء مرارة القلوب
١٠٠	من أخلاقهم كثرة نعمهم على فوات هنس الذكر
١٠٠	من أخلاقهم الخذل في الأمر
١٠٠	من أخلاقهم كثرة محبتهم للفقراء
١٠٦	من أخلاقهم عدم ترك المأمورات الشرعية
١٠٧	من أخلاقهم الأخذ بالآمال الحسن
١٠٣	من أخلاقهم النظر في أخلاق الشيخ
١٠٤	من أخلاقهم محبة من يحب الشيخ
١٠٤	من أخلاقهم تقديم ذكر الله على غيره
١٠٥	من أخلاقهم إخبار من مياطة الشيخ
١٠٥	من أخلاقهم كراهية تقيل الناس لأبيهم
١٠٦	من أخلاقهم عدم الانشراح بأثروا الحسنة إلا عن استقامة
١٠٧	من أخلاقهم رؤية الذكر المأمور به أفضل من الاشتغال بغيره
١٠٧	من أخلاقهم الرحمة بالعالم كله
١٠٨	من أخلاقهم الخذل في معرفة كلام الشيخ
١٠٨	من أخلاقهم عدم الدخول على الشيخ إلا للخدمة أو الإرشاد
١٠٩	من أخلاقهم عدم رؤية مقامه في المجلس على من لم يحضر
١٠٩	من أخلاقهم عرض صحفهم بوضاً على شيخهم
١١٠	من أخلاقهم اللوم عند رجوع الثياب ثانياً
١١٠	من أخلاقهم التصديق بدل الإراض
١١٠	من أخلاقهم عدم الانقادات إلى المروءة إذا مشوا
١١١	من أخلاقهم التصديق بأعرانهم على العالمين
١١١	من أخلاقهم عدم الازدراء لأحد من خلق الله
١١٢	من أخلاقهم عدم التصبر للقضاء حاجات التلى إلا بعد الرياضة
١١٣	من أخلاقهم القناعة باليسير
١١٣	من أخلاقهم الشكر على السرور والضراء
١١٤	من أخلاقهم نظيف القنوب
١١٥	من أخلاقهم غلبة الرضاء عليهم
١١٥	من أخلاقهم طرح الميل إلى الكونين فتوحهم إلا بالضرورة
١١٦	من أخلاقهم التباعد عن شهوات النفس
١١٧	من أخلاقهم العمل على تحصيل المحصور مع الله
١١٨	من أخلاقهم زيادة الاحترام لإخوانهم الضعفاء
١١٨	من أخلاقهم ليس الرافع من الثياب لا للتصير
١٢٠	من أخلاقهم عند ومع الله عليهم لا يأكلوا اللذيد من الطعام
١٢٠	من أخلاقهم بذل وسعهم في حضور القلب
١٢١	من أخلاقهم الإحسان إلى الضعيف باعنا وظاهراً
١٢١	من أخلاقهم الإحسان إلى كل من صحبهم
١٢٣	من أخلاقهم سواهم الله الحفظ من الخطايا
١٢٣	من أخلاقهم عدم الاعتراض لتصديق شيخهم على غيرهم
١٢٤	من أخلاقهم احتساب المسند لأمر شيخهم

١٢٤	من أخلاقهم حفظ المنافع نطفة العلم
١٢٥	من أخلاقهم عدم تشطغر بالأخلاق المتدبرسة خوف الفتنة
١٢٦	من أخلاقهم الخلق على الظالم
١٢٨	من أخلاقهم طلبهم صلاة الجنازة عليهم لمن عرف نوالصهم
١٢٩	من أخلاقهم عدم الشعور بالفضل على من تصدق عليهم
١٣٠	من أخلاقهم الدعاء للأكابر والأمرأه
١٣٠	من أخلاقهم سد باب الإنكار على شيعهم
١٣١	من أخلاقهم تركية الإخوان في غيبتهم
١٣١	من أخلاقهم انظر من تولوع سرأ في المعصية
١٣٢	من أخلاقهم كتمان الفقر والغنى
١٣٢	من أخلاقهم الإنكار من عمل الآخرة
١٣٢	من أخلاقهم عدم الخوض في أمراض الموتى
١٣٣	من أخلاقهم حلاء الطوب من الشهوات
١٣٣	من أخلاقهم اتخاذ النقاء من الكهول
١٣٤	من أخلاقهم صحة الولاية في الخير
١٣٥	من أخلاقهم تفويض الأمر لله
١٣٦	من أخلاقهم العمل على تحصيل محبة الله
١٣٧	من أخلاقهم الحكم بالعمل بين الفقراء
١٣٧	من أخلاقهم نفي الأعمال من الثواب
١٣٧	من أخلاقهم حياء المعصية
١٣٨	من أخلاقهم ذكر أمرأه للشيخ
١٣٩	من أخلاقهم عدم لطم الفقراء
١٤٠	من أخلاقهم النور من صحة الولاية
١٤١	من أخلاقهم تخطب أخلاق الإخوان
١٤٢	من أخلاقهم عدم قبول الهدية عند التجهيزات
١٤٣	من أخلاقهم عدم طلب الثواب على العمل
١٤٣	من أخلاقهم إعانة الملبوط
١٤٤	من أخلاقهم عدم حساب الختم
١٤٤	من أخلاقهم عدم اختيار الشيوخ
١٤٥	من أخلاقهم تعليم الولاية الأدب
١٤٦	من أخلاقهم عدم المبادرة إلى تصريف المتكرين
١٤٧	من أخلاقهم رد المسكرين للكتاب والسنة
١٤٧	من أخلاقهم التحف عن أموال الناس
١٤٩	الوصايا والنصائح الخلوتية
١٥١	ترجمة مختصرة للشيخ حسن رضوان
١٥٣	ترجمة مختصرة للشيخ الكري
١٥٧	نماذج من صور المخطوط
١٦١	مقدمة المؤلف
١٧٣	حاشية الشيخ حسن رضوان على الوصية الملحة للمساكين طريقة الخلوتية لسيدى مصطفى الكري الخلوتي
١٧٥	نماذج من صور المخطوط
١٧٧	المقدمة
٢١٣	فهرس المحتويات